حسن مغنية

سلسلة أخبار العرب

المرأة العربية
حمية العرب
عفاف العرب
جمال العرب

عز الدين

المرأة العربية

سلسلة أخبار العرب

المرأة العربية

تأليف

حسن مغنية

مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر

١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

مؤسسة عز الدين
للطباعة والنشر

هاتف: ٢٧٣٦٣٦-٢٧٥٥٣٢-٢٧٥٥٦٣-٢٧٥٨٦٧-ص.ب: ١٣/٥٢٠١ بيروت - لبنان

المحتويات

كلمـــة التمهيـد

بسم الله الرحمن الرحيم . . . وله الحمد والمنة .

كـانت المجتمعات البشـرية منـذ فجر التـاريخ بحاجة ماسة، وبضرورة ملحّه لبناء الأسرة الفاضلة ، تدعيماً للكيان الإجتماعي الناضج؛ وكانت المرأة ولا تزال روح الأسرة وقلبها النابض بالحياة.

ولا يمكن اكتشاف حقيقة المرأة ، إلا من خلال معالجة القرآن للنواحي الخاصة بها ، لذا كان لا بد لنا من اعتماد بعض الآيات القرآنية أساساً للبحث عن المـرأة واطاراً صـالحاً لمعـرفة التعـاليم الحقيقيـة والاحكام المتعلقة بها.

ولقد كان للمرأة في القرآن الكريم نصيب وافر وحظ كبير من الآيات الشريفة ولا سيما في سورتي النساء والنور وغيرهما

ففي التنزيل العزيز: «واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم . يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون»[1]

فقد دلَّ الله سبحانه وتعالى على جهل المشركين بأفعالهم وأد البنات ، وإذا بشر واحد منهم، بانه ولد له بنت تغير لون وجهه الى السواد لما يظهر فيه من أثر الحزن والكراهة، وهو ممتلىء غيظاً وحزنا فيستخفي من القوم الذين يستخبرونه عما ولد له ، استنكافاً منه وخجلاً من سوء ما بشر به، من الأنثى وقبحه عنده ، أيمسكه على ذل وهوان ، أم يخفيه في التراب حياً ، وهو الوأد الذي كان من عادة العرب ، ذلك ان أحدهم ، كان يحفر حفيرة صغيرة ، فإذا ولد له أنثى جعلها فيها ، وحثا التراب عليها ، حتى تموت تحته ؛ وكانوا يفعلون ذلك مخافة الفقر والعار ، فبئس الحكم ما يحكمونه .

وقال تعالى : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي

---

١ ـ سورة النحل آية ٥٨ و ٥٩ .

خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء. . . »[1]

وهذه موعظة وأمر بالتقوى وخطاب للمكلفين من جميع البشر ، لاتقاء معصية الله ومخالفته، واتقاء حقه ان تضيعوه ، فهو الـذي خلقكم من نفس واحدة وأوجدكم ؛ ومن عظمت عنده النعمى ، فهو بالتقوى أولى ؛ وبتعبير آخر ان الذي قدر على انه خلقكم من نفس واحدة ، فهو على عقابكم أقدر ؛ فيحق عليكم ان تتركوا مخالفته ، وتتقوا عقوبته ؛ والمراد بـالنفس الواحدة هنا آدم عليه السلام ، وخلق منها زوجها يعني حواء عليها السلام ؛ ثم نشر وفرّق من هاتين النفسين على وجه التناسل رجالاً ونساءً ؛ فانما منَّ الله علينا تعالى بأن خلقنا من نفس واحدة لأنه أقرب الى ان يعطف بعضنا على بعض ؛ ويرحم بعضنا بعضاً ، لرجوعنا جميعاً الى أصل واحد ، ولان ذلك أبلغ في القدرة ، وأدل على العلم والحكمـة .

وقال تعالى : « يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ،ولا يسرقن ولا

---

١ ـ سورة النساء آية ١.

يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن إن الله غفور رحيم »[1].

هذه الآية تظهر بجلاء ووضوح طبيعة المرأة الجاهلية وما كانت عليه من الصفات والسجايا. فالمرأة الجاهلية كانت تلتقط المولود فتقول لزوجها هذا ولدي فيك ؛ ذلك هو البهتان[2] المفترى .

وقال تعالى : « .. فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة . . »[3].

كان الرجل في الجاهلية يتزوج الأربع والخمس والست والعشر فلا يعدل بينهن فكان العدل الالهي بالدعوة لاختيار الطيبات من النساء، أي الحلال

---

١ - سورة الممتحنة آية ٣ .

٢ - البهتان: هو قذف المحصنات والكذب على الناس وإضافة الأولاد الى الناس على البطلان في الحاضر والمستقبل من الزمان .

٣ - سورة النساء آية ٣.

منهن ، أثنين أو ثلاثاً أو أربع ؛ وإن خفتم ألا تعدلوا بين الأربع او الثلاث في القسم أو النفقة ، وساير وجوه التسوية ، فتزوجوا واحدة.

وقال تعالى: « ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم . . . »(١) لن تقدروا أبدا ان تسووا بين النساء في المحبة والمودة بالقلب ولو حرصتم ، وبتعبير آخر لن تقدروا ان تعدلوا بالتسوية بين النساء في كل الأمور من جميع الوجوه ، من النفقة والكسوة والعطية والمسكن والصحبة والبر والبشر وغير ذلك.

وقال تعالى: « حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الاخت وامهاتكم اللاتي أرضعنكم واخواتكم من الرضاعة وامهات نسائكم . . . »(٢)

وهذا بيان المحرمات من الفساد.

وقال تعالى: « . . . ولهن مثل الذي عليهن

---

١ ـ سورة النساء آية ١٢٩ .
٢ ـ سورة النساء آية ٢٣ .

بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم »[1]

إن للنساء على ازواجهن مثل الذي عليهن من الحق بالمعروف وهذا من الكلمات العجيبة الجامعة للفوائد وانما أراد بذلك ما يرجع الى حسن العشرة وترك المضارة والتسوية في القسمة والنفقة والكسوة، كما ان للزوج حقوقا عليها مثل الطاعة التي اوجبها الله عليها له وان لاتدخل فراش غيره وقوله (وللرجال عليهن درجة) اي فضيلة منها الطاعة والميراث، او منزلة في الاخذ عليها بالفضل في المعاملة، حتى يقول ما احب استوفي منها جميع حقي ليكون لي عليها الفضيلة؛ وقيل حق الرجال على النساء افضل من حق النساء على الرجال (والله عزيز حكيم) اي قادر على ما يشاء يَمنع ولا يُمنع ويَقهر ولا يُقهر فاعل ما تدعو إليه الحكمة وما تستلزمه الموعظة.

وفي الحديث ما روي عن رسول الله (ص) انه قال:

« عيال الرجل أسراؤه، وأحب العباد الى الله عز وجل أحسنهم صنيعاً الى اسرته »

---

١ - سورة البقرة آية ٢٢٨.

« انما المرأة لعبة فمن اتخذها فليصنها »

« نعم الولد البنات المخدرات، من كانت عنده واحدة جعلها الله سترا له من النار، ومَن كانت عنده اثنتان، ادخله الله بهن الجنة وان كن ثلاثا او مثلهن من الاخوات وضع عنه الجهاد والصدقة »

«أفضل نساء امتي اصبحهن وجها واقلهن مهرا »
« من أحب فطرتي فليستن بسنتي ومن سنتي النكاح »
خلقت المرأة من ضلع آدم (ع) إن أقمتها كسرتها وان تركتها وفيها عوج استمتعت بها. »
«ما استفاد امرؤ فائدة بعد الاسلام، أفضل من زوجة مسلمة، تسره اذا نظر اليها، وتطيعه اذا امرها، وتحفظه اذا غاب عنها في نفسها وماله »

وروي أن امرأة معاذ قالت: يا رسول الله ما حق الزوجة على زوجها؟

قال: « ان لايضرب وجهها ولايقبحها وان يطعمها مما يأكل ويلبسها مما يلبس ولا يهجرها »

وروي عنه (ص) انه قال: « اتقوا الله في النساء فانكم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم

فروجهن بكلمة الله، ومن حقكم عليهن ان لايوطئن فراشكم من تكرهونه فان فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غَير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف »

وفي الخبر المنسوب الى علي بن الحسين (ع) انه قال: « خير نسائكم الطيبة الريح، الطيبة الطعام التي ان انفقت أنفقت بمعروف، وان أمسكت أمسكت بمعروف، فتلك من عمال الله، وعامل الله لايخيب ولا يندم ».

وعن الصادق (ع) قال: « الخيرات الحسان من نساء أهل الدنيا هن أجمل من الحور العين ».

وعن الصادق (ع) قال: « رحم الله عبدا احسن فيما بينه وبين زوجته فان الله عز وجل قد ملكه ناصيتها وجعله القيم عليها ».

وروى عطاء بن السايب عن سعيد بن جبير قال: لقيني ابن عباس في حجة حجها فقال: هل تزوجت؟

قلت: لا!

قال: إذهب فتزوج.

قال: ولقيني في العام المقبل فقال: هل تزوجت؟

قــلت: لا.

قال: اذهب فتزوج، فان خير هذه الامة كان اكثرها نسا،ء يعني النبي (ص).

وقيل للحسن (ع): فلان خطب الينا فلانة. قال: أهو موسر من عقل ودين؟ قالوا: نعم. قال: فزوجوه.

وسئل أعرابي أي النساء أعجب اليك؟ قـال: أعجبهن التي ليست بالضرع الصغيرة، ولا الغانيـة الكبيرة، وحسبك من جمالها ان تكـون فخـمة من بعيد مليحة من قريب اعلاها قضيب واسفلها كثيب كانت في نعمة، ثم اصابتها فاقة، فاثر فيها الغنى وأدبها الفقر.

وسئل أعرابي عن النساء فقال:

أفضل النساء أطولهن اذا قامت واعظمهن اذا قعدت واصدقهن اذا قالت؛ التي اذا غضبت حلمت واذا ضحكت تبسمت واذا صنعت شيئـا جـودت التي تطيـع زوجـهـا وتلـزم بيتهـا العزيـزة في قومها الذليلة في نفسها الودود الولود، وكل أمـرها محمود.

وهكذا فان كتاب « المرأة العربية » يضم مجموعة من الاخبار التي توضح مكانة المرأة في المجتمع العربي قبل الاسلام حيث تعم الفوضى في العلاقات الجنسية ونظام الاسرة فالمرأة اداة للتمتع واشباع للغريزة ينظر اليها باحتقار واستصغار وتعيش في ظل الظلم والاضطهاد والفساد وحينما أشرق الكون بنور الاسلام وبزغ ضياء الرسالة الاسلامية وانتشر الهدى والعدل بقانون السماء الذي جاء متمما لمكارم الاخلاق تحقق للمرأة الكرامة الكبرى والحصانة المنيعة والنزاهة الحقة واثبت ان مؤونتها على خالقها وباريها فارتفعت الكلفة عن آبائها ومواليها وعظم مقامها وقدرها وتساوت مع الرجل في ميزان الاسلام حيث لاقيمة لبدن الانسان وحسنه وجماله، ولا لماله ورياسته، بل الميزان عند الخالق هو التقوى

ولقد كان القرآن ولا يزال ولن يزال قانون العدل المبين الذي ميز به بين عباده وخلقه وميزان التقوى الامين للعمل الصالح الذي يتفاضل به الناس وتتمايز به المخلوقات ويظهر به الطيب من الخبيث

فذلك هو الحق المبين والفوز العظيم والله من وراء القصد والعاقبة للمتقين.

أحمد النساء وأبغضهن *

عن محمد بن سلام قال: سأل الحجاج ابن القِرِّيَّة: ايُّ النساء أحمد؟

قال: التي في بطنها غلام، وفي حجرها غلام، ويسعى لها مع الغلمان غلام.

قال: فأي النساء شرٌّ؟

قال: الشديدة الاذى الكثيرة الشكوى المخالفة لما تهوى.

فقال: أي النساء اعجب اليك؟

قال: الشفاء العطبول[1] المنعاج الكسول[2] التي لم يشنها[3] قصر ولا طول.

قال: فأي النساء أبغض اليك؟

---

* المسعودي - مروج الذهب ج ٣ ص ١٨١.

١ - العطبول: المرأة الطويلة العنق في اعتدال وحسن.

٢ - النعج: الابيضاض الخالص وامرأة ناعجة: حسنة اللون

٣ - شانها: ضد زانها. المشاين: المعايب.

قال: **الرعينة**(١) القصيرة، **الباهق**(٢) الشريرة.

قال: فاخبرني عن أفضل النساء مخبراً وأطيبهن **اعطافا**(٣).

قال: أفضل النساء الغضة **البضة**(٤) التي أعلاها قضيب واسفلها كثيب اللعساء **الورهاء**(٥) التي لم تذهب طولا في انحطاط ولم تلصق قصرا في افراط، الجعدة **الغدائر**(٦) السبطة الضفائر، الضخمة المآكم (٧)، الطَّفْلَة **البراجم**(٨) اذا رايت انامِلها شبهتها

---

١ - الرعونة: الحمق والاسترخاء يقال: رجل أرعن وامرأة رعناء.

٢ - البهق: بياض في الجسد لامن برص.

٣ - العطف من كل شيء: جانبه وامرأة عطيف: هينة لينة ذلول مطواع لاكبر لها. والعطف: المنكب.

٤ - الغضة من النساء: الرقيقة الجلد الظاهرة الدم. والبضة: الرقيقة الجلد الناعمة البشرة.

٥ - لعس: كان في شفته لعس اي سواد مستحسن. ولعست الشفة كانت لعساء. وامرأة ورهاء: خرقاء في العمل.

٦ - الغدائر: المضفور من شعر النساء.

٧ - المأكمة: العجيزة. والمأكمتان: اللحمتان اللتان على رؤوس الوركين.

٨ - الطفلة: المرأة ما دامت صغيرة. والبراجم: هي مفاصل =

بالمداري[1] واذا قامت خلتها سارية من السواري
فتلك تهيج المشتاق وتحيي العاشق بالعناق.

= الاصابع التي بين الاشاجع والرواجب وهي رؤوس السلاميات من ظهر الكف اذا قبض القابض كفه نشزت وارتفعت والمقصود هنا صغر مفاصل الاصابع.

١ ـ المداري م مِدْرَى ومِدْارة ومَدْرية: شيء يعمل من حديد او خشب على شكل سن من اسنان المشط واطول منه يسرح به الشعر المتلبد.

الزوجة الموافقة*

قدم قيس بن زهير على النمر بن قاسط فقال:

يا معشر النمر نزعت اليكم غريبا حزينا، فانظروا لي امرأة اتزوجها قد اذلها الفقر وأدّبها الغنى، لها حسب وجمال.

فزوجوه على هيئة ما طلب فقال: إني لااقيم فيكم حتى أعلمكم أخلاقي: إني غيور فخور نفور[1]: ولكني لاأغار حتى أرى، ولا أفخر حتى أفعل ولا آنف حتى أظلم.

فأقام فيهم حتى ولد له غلام سماه خليفة ثم بدا له أن يرتحل عنهم فجمعهم ثم قال:

---

* ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ج ٧ ص ٧٩.

١ ـ نفر من كذا: أنفِ منه وكرهه يقال: « نفرت من صحبة فلان » اي كرهتها.

يا معشر النمر، إن لكم علي حقا وانا اريد ان أوصيكم وآمركم بخصال وأنهاكم عن خصال: عليكم وآمركم فان بها تنال الفرصة، وسودوا من لاتعابون بسؤدده، وعليكم بالوفاء فان به يعيش الناس وباعطاء ما تريدون إعطاءه قبل المسألة، ومنع ما تريدون منعه قبل القسم، وإجارة الجار على الدهر وتنفيس المنازل عن بيوت اليتامى، وخلط الضيف بالعيال وأنهاكم عن الرهان.. وعن البغي فانه صرع زهيراً[1]، وعن السرف في الدماء،... ولا تعطوا في الفضول فتعجزوا عن الحقوق ولا تردوا الاكفاء عن النساء فتحوجوهن الى البلاء فان لم تجدوا الاكفاء فخير ازواجهن القبور.

---

١ - يقصد أباه.

الأولياء يزوجونك*

قال ابو حمزة الغساني: نزل أعرابي من بني اسد ببيت أعرابية من بني تميم ضيفا فأتته بقرى[1] حاضر وماء بارد. فجعل ينظر اليها من وراء الستر، ثم راودها عن نفسها فقالت له: يا هذا أما يقرعك الاسلام والكرم؟ كُل وان اردت غير ذلك فارتحل.

فقال لها: زوجيني إذاً نفسك.

فقالت: الأولياء يزوجونك.

فخاف ان لايزوجوه للعداوة بين الحيين فانتسب الى بني عذره، فزوجوه فأقام عندهم زمانا ثم علموا انه اسدي فقالوا له: والله إنك لكفء كريم، ولكن

* ابن قيم الجوزيه ـ أخبار النساء ص ٧٤.

١ ـ القرى: ما يقدم للضيف.

نكره ان تنكح فينا، وانت حرب لنا فخل عن صاحبتنا. وكان يحبها حبا شديدا فطلقها وقال:

أحبك يا عم حُبَّ الحياة
ونيل المنى وبلوغ الظفر
ويعجبني منك عند اللقاء
حياء الكلام وموت النظر

خيَّروها فاختارت أهلها*

ذكر أبو عمر الشيباني:

أنَّ عروة بن الورد[1] أصاب امرأة، من بني كنانة بكراً يقال لها سلمى، وتكنى أم وهب، فاعتقها واتخذها لنفسه، فمكثت عنده بضع عشرة سنة، وولدت له أولاداً، وهو لا يشك في أنها أرغب الناس

* الأصفهاني: ابو الفرج - الأغاني ج ٢ ص ١٩٠ / إبن قتيبة - الشعر والشعراء - ص ٢٦٠.

١ - عروة بن الورد بن زيد: شاعر من شعراء الجاهلية وفارس من فرسانها وصعلوك من صعاليكها المعدودين المقدمين الاجواد، وكان يلقب عروة الصعاليك لجمعه اياهم وقيامه بأمرهم، اذا اخفقوا في غزواتهم، ولم يكن لهم معاش ولا مغزا. ويقال ان عبد الملك بن مروان قال: من زعم ان حاتما اسمح الناس فقد ظلم عروة بن الورد.

فيه ، وهي تقول له : لو حججت بي، فأمرّ على أهلي وأراهم !

فحجَّ بها ، فاتى مكة ، ثم أتى المدينة ، وكان يخالط من أهل يثرب بني النضير، فيقرضونه إن احتاج ، ويبايعهم[1] اذا غنم .

وكان قومها يخالطون بني النضير، فأتوهم وهو عندهم ، فقالت لهم سلمى : إنه خارج بي قبل ان يخرج الشهرُ الحرام، فتعالوا إليه ، واخبروه أنكم تستحيون ان تكون امرأة فيكم معروفة النسب صحيحته سبيَّة ، وافتدوني منه ، فإنه لا يرى أن أفارقه ، ولا أختار عليه أحداً ، فأتوه فسقوه الشراب ، فلما ثمِلَ قالوا له : فادنا[2] بصاحبتنا ؛ فانها وسيطة[3] النسب فينا معروفة، وإن علينا سُبةً ان تكون سبيَّة ، فإذا صارت إلينا، وأردت معاودتها ، فاخطبها الينا، فاننا نزوجك .

---

١ ـ يبايعهم : يعقد معهم البيع .
٢ ـ فادى الرجل : أطلقه واخذ فديته .
٣ ـ وسيطة النسب : حسيبة كريمة .

فقال لهم: ذاك لكم ؛ ولكن لي الشرط فيها ان تخيروها ، فإن اختارتني انطلقتْ معي الى ولدها ، وان اختارتكم انطلقتم بها .

قالوا : ذاك لك.

قال : دعوا ذلك الى غد !

فلما كان الغد، جاءوه فامتنع من فدائها ؛ فقالوا له : قد فاديتنا به منذ البارحة ؛ وشهد عليه بذلك جماعة ممن حضر.

فلم يقدر على الامتناع وفاداها ؛ فلما فادوه خيَّروها فاختارت أهلها ؛ ثم أقبلت عليه، فقالت : يا عروة، أما إني أقول فيك ـ وإن فارقتك ـ الحق : والله ما أعلمُ امرأةً من العرب القت سترها على بعل خيرٍ منك ، وأغضّ طرفاً ، وأقلَّ فحشاً، وأجود يداً، وأَحمى لحقيقة ، وما مرَّ علي يوم منذ كنت عندك، إلا والموت فيه أحبُّ إليَّ من الحياة بين قومك، لأني لم أكن أشاء ان أسمع أمرأة من قومك تقول: قالت أمةُ عروة كذا وكذا ؛ ووالله لا أنظر في وجه غطفانية أبداً، فارجع راشداً الى ولدك وأحسن إليهم !

ثم تزوجها رجل من بني عمِّها ، فقال لها يوماً: يا سلمي، أثني عليَّ كما اثنيتِ على عروة ـ وقد كان قولها فيه شِهر ـ .

فقالت له: لا تكلفني ذلك؛ فإني ان قلت الحقَّ غَضبتَ ، ولا واللاتِ والعزّى لا أكذب.

فقال: عزمت عليك لتأتينني في مجلس قومي ، فلتثنينَّ علي بما تعلمين .

وخرج فجلس في نَدِيّ[1] القوم، وأقبلت، فرماها القوم بأبصارهم فوقفت عليهم، وقالت: أنعموا صباحاً ؛ إن هذا عزم عليَّ أن اثني عليه بما أعلم. ثم أقبلت عليه فقالت : إن شربك **لاشتفاف**[2]، وإنك لتنام ليلة تخاف ، وتشبع ليلة تضاف ، وما ترضي الاهل ولا الجانب[3] ثم انصرفت.

فلامه قومه، وقالوا: ما كان أغناك عن هذا القول منها!

---

١ ـ الندي : النادي بمعنى المجلس.

٢ ـ شف الماء: شربه كله. واستشف ما في الاناء: شرب كل ما فيه.

٣ ـ الجانب: الغريب وتقصد الضيف.

وفاء حتى النهاية*

قال الأصمعي[1] : قال لي الرشيد: امضِ الى بادية البصرة، فخذ من تحف كلامهم، وطرف حديثهم.

فانحدرت، فنزلت على صديق لي بالبصرة، ثم بكرت أنا وهو الى المقابر، فلما صرت إليها، إذا

---

* ابن قيم الجوزية ـ أخبار النساء ص ١٢٦

١ ـ الأصمعي: شيخ رواة الأدب ابو سعيد عبد الملك بن علي بن أصمع الباهلي البصري. ولد سنة ١٢٣ هـ ونشأ بالبصرة، فأخذ العربية والحديث والقراءة عن ائمة البصرة، وأخذ عن فصحاء الاعراب وساكنهم، وتعلم من (خلف الاحمر) نقد الشعر ومعانيه؛ وكان أحفظ أهل زمانه حتى قال مرة: اني احفظ اثني عشر الف ارجوزة فقال له رجل: منها البيت والبيتان فقال: ومنها المائة والمائتان وعمّر حتى ادرك زمن المامون. له مؤلفات كثيرة. مات سنة ٢١٦ هـ.

بجارية نادى إلينا ريح عطرها قبل الدنو منها، عليها ثياب مصبغات وحلى، وهي تبكي أحرَّ بكاء.
فقلت : يا جاريةما شأنك ؟

فأنشأت تقول:

فـإن تسألاني فيمَ حُـزني ؟ فـانني
رهينـة هـذا القبـر يـا فتيـان
أهابك إجـلالاً، وإن كنت في الثرى
مخـافـة يـومٍ ان يسؤك مكـاني
وإني لاستحييـك والتـرب بيننـا
كـما كنت استحييـك حـين تـراني

فقلنا لها : ما رأينا اكثر من التفاوت بين زيِّك وحزنك فاخبري بشأنك؟!

فأنشأت تقول:

يـا صـاحب القبـر يـامن كـان يؤنسني
حيـاً، ويكـثر في الـدنيا مـواساتي
أزور قـبـرك في حِـلي وفي حِـلَلٍ
كـأنني لستُ من أهـلِ المصيبـات
فـمن رآني رأى عَبْـرىً مـفـجعـةً
مشهـورة الزِّي تبكى بـين أموات

فقلنا لها: وما الرجل منك؟

قالت: بعلي، وكان يحب ان يراني في مثل هذا الزي، فآليت على نفسي أن لا أغشى قبره إلا في مثل هذا الزي لأنه كان يحبه أيام حياته، وأنكرتماه أنتما عليّ.

قال الأصمعي: فسألتها عن خبرها ومنزلها. وأتيت الرشيد فحدثته بما سمعت ورأيت، حتى حدثته حديث الجارية.

فقال: لابد ان ترجع حتى تخطبها إليّ من وليها، وتحملها إليّ؛ ولا يكون من ذلك بد؛ ووجه معي خادماً ومالاً كثيراً.

فرجعت الى قومها فأخبرتهم الخبر، فأجابوا وزوجوها من أمير المؤمنين وحملوها معنا وهي لا تعلم. فلما صرنا الى المدائن[1]، نما إليها الخبر، فشهقت شهقة فماتت، فدفناها هنالك.

وسرت الى الرشيد فاخبرته الخبر، فما ذكرها وقتاً من الأوقات إلا بكى أسفاً عليها.

---

١ ـ المدائن: اسم اطلق على مدينة او مجموعة مدن في العراق على مسافة ٣٠ كلم جنوبي بغداد واقعة على جانبي دجلة فتحها سعد بن ابي وقاص سنة (٦٤٧ م).

بقية الله خير لـــكم*

قال عامر الشعبي :

وفدت سودة بنت عمارة بن الأشتر الهمدانية، على معاوية بن ابي سفيان فاستأذنت عليه، فأذن لها، فلما دخلت عليه سلمت عليه، فقال لها: كيف أنت يا بنة الأشتر؟

قالت : بخير يا أمير المؤمنين.

قال لها: انت القائـلة لاخيك يوم صفين(١)

---

* ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ج ١ ص ٢٩١.

١ ـ صفين: مكان بالقرب من شاطىء الفرات الايمن دارت فيه معركـة كبرى في سنـة ٦٥٧ م بين اتبـاع علي (ع) ومعاوية. انتهت بخدعة التحكيم وظهور الخوارج بعد قتال مرير.

شمر كفعل أبيك يا بن عمارة
يوم الطِّعان وملتقى الأقران[1]
وانصر علياً والحسين ورهطه
واقصد لهند وابنها بهوان
إن الإمام أخا النبي محمدٍ
علم الهدى ومنارة الايمان
فَقُدِ الجيوشَ وسِرْ أمام لوائه
قدماً بأبيض صارم وسِنان

قالت : إي والله، ما مثلي من رغب عن الحق، أو اعتذر بالكذب!

قال لها : فما حملك على ذلك ؟

قالت : حبُّ علي، واتباع الحق.

قال : فوالله ما أرى عليك من أثر عليٍّ شيئاً.

قالت : أنشدك الله يا أميرَ المؤمنين؛ مات الرأس وبتر الذنب، فدع عنك إعادة ما مضى، وتذكار ما قدنسي.

---

١ ـ الاقران: الأكفاء في الشجاعة او العلم وغيرهما.

قال: هيهات! ليس مثَل مقام أخيك يُنسى!
وما لقيت من أحدٍ ما لقيت من قومك وأخيك!

قالت: صدق فوك، والله يا أمير المؤمنين؛ ما كان أخي ذميم المقام، ولا خفي المكان، ولكن كما قالت الخنساء:

وإن صخراً لتأتمُّ الهداة به
كأنَّه علم في رأسه نار

وبالله أسأل يا أمير المؤمنين، إعفائي مما استعفيت منه.

قال: قد فعلت، فقولي حاجتك.

قالت: يا أمير المؤمنين؛ إنك أصبحت للناس سيداً، ولأمورهم متقلداً، والله سائلك عما افترض عليك من حقنا، ولا تزال تقدم علينا من ينهض بعزِّك، ويبطش بسلطانك، فيحصدنا حصاد السُّنْبُل، ويدوسنا دياس البقر، ويسومنا الخسيسة، ويسلبنا الجليلة؛ هذا ابن أرطأة[1] قدم علينا من قبلك، فقتل

١ ـ بسربن أرطأة الفهري: وجهه معاوية الى الحجاز واليمن =

رجالي، وأخذ مالي، يقول لي: فوهي بما استعصم الله منه، وألجأ إليه فيه، ولولا الطاعة لكان فينا عزٌّ ومنعة! فإما عزلته فشكرناك، وإما لا فعرفناك!

فقال معاوية: إياي تهددين بقومك! والله لقد هممت أن اردَّك اليه، على قتبٍ أشرس[1]، فينفذ حكمه فيك؛ فأطرقت تبكي ثم أنشأت تقول:

صلى الإله على روح تضمنَّه
قبر فاصبح فيه العدلُ مدفونا

قد حالف الحقَّ لا يبغي به بدلاً
فصار بالحق والإيمان مقرونا

قال لها: ومن ذلك؟

قالت: علي بن أبي طالب رحمه الله تعالى!

وما صنع بك حتى صار عندك كذلك؟

= لقتل شيعة علي بن ابي طالب (ع) فقتل الرجال وسبى النساء اللواتي كن اول مسلمات سبين في الاسلام.

١ ـ قتب أشرس: أي بعير لم يرض.

قالت: أتيته يوماً في رجل ولاه صدقاتنا، فكان بيننا وبينه ما بين الغثّ والسمين، فوجدته قائماً يصلي، فانفتل عن الصلاة[1]، ثم قال برأفة وتعطف: ألك حاجة؟

فأخبرته خبر الرجل. فبكى، ثم رفع يديه الى السماء، فقال: اللهم إنك أنت الشاهد عليَّ وعليهم، إني لم آمرهم بظلم خَلْقِك، ولا بترك حقك، ثم أخرج من جيبه قطعة من جراب[2] فكتب فيه:

« بسم الله الرحمن الرحيم: قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان بالقِسط ولا تبخسوا[3] الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين، بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ». إذا أتاك كتابي هذا فاحتفظ بما في يديك حتى يأتي من يقبضه منك والسلام.

---

١ ـ انفتل: انصرف.
٢ ـ الجراب: الجلد.
٣ ـ بخسه: نقصه وظلمه. ومنه « لاتبخس أخاك حقه ».

فأخذته منه يا أمير المؤمنين، ما خزمه بخزام، ولا ختمه بختام فقرأته.

فقال معاوية: اكتبوا بالإنصاف لها والعدل عليها!

قالت: إليّ خاصة أم لقومي عامة؟

قال: وما أنت وغيرك؟

قالت: هي والله إذن الفحشاء واللؤم. إن كان عدلاً شاملاً، وإلا يسعني ما يسع قومي!

قال: هيهات! لمظكم[1] ابن ابي طالب الجرأة وغرّكم قوله:

فلو كنت بواباً على باب جنّةٍ لقلت لهمدان: ادخلوا بسلام. اكتبوا لها ولقومها!

---

١ ـ لمظه من حقه: اعطاه شيئا قليلا منه، ذوّقه.

كل فتاة بأبيها معجبة*

خرجت العجفاء بنت علقمة السعدي، وثلاث نسوة من قومها، وتواعدن بروضة يتحدثن فيها، فوافين بها ليلاً في قمر زاهر، وليلة طلقة ساكنة وروضة معشبة خصبة.

فلما جلسن قُلن: ما رأينا كالليلة ليلة، ولا كهذه الروضة روضة، أطيب ريحاً ولا أنضر. ثم أفضن في الحديث، فقلن: أي النساء أفضل؟

قالت احدهن: الخرود(1) الودود الولود.

---

* الميداني - مجمع الامثال ج ٢ ص ٧٢.

١ - الخرود: البكر لم تمس قط / الحيية الطويلة السكوت الخافضة الصوت.

قالت الأخرى : خيرهن ذات الغَنَاء ، وطيبِ الثناء، وشدةِ الحياء.

قالت الثالثة خيرهُنَّ السمُّوع[1]، النفوع غير المنوع.

قالت الرابعة: خيرهن الجامعة لأهلها، الوادعة، الرافعة لا الواضعة.

قلن: فأي الرجال أفضل؟

قالت إحداهن : إن أبي يكرم الجار، ويعظُم النار، وينحر العِشار[2]، بعد الحوار[3]، ويحمل الأمور الكبار، ويأنف من الصغار.

فقالت الثانية : إن أبي عظيم الخطر، منيعُ

---

١ ـ السموع: السامعة.

٢ ـ العشراء ج عشار: التي مضى لحملها عشرة اشهر او ثمانية او هي كالنفساء من النساء.

٣ ـ الحوار: ولد الناقة من حين يوضع الى ان يفطم ويفصل فاذا فصل عن امه فهو فصيل / وقيل: الفصيل اول ما ينتج.

الوَزَر[1] عزيز النَّفر، يحمُد منه الوِرد والصَّدَر[2].

فقالت الثالثة: إن أبي صدوق اللسان، حديد الجنان؛ كثير الأعوان يُروي السِّنان عند الطِّعان.

قالت الرابعة: إن أبي كريم النِزال، مُنيف[3] المقال، كثير النوال، قليل السؤال، كريم الفعال.

ثم تنافرن[4] الى كاهنة معهن في الحي، فقلن لها: اسمعي ما قلنا واحكمي بيننا واعدلي؛ ثم أعدن عليها قولهن، فقالت لهنّ: كل واحدة منكنّ ماردة بأبيها واجدة، على الإحسان جاهدة، لصواحباتها حاسدة، ولكن اسمعن قولي: خير النساء المبقية على بعلها، الصابرة على الضراء مخافة ان ترجع الى أهلها؛

---

١ ـ الوزر: الملجأ واصل الوزر الجبل المنيع وكل معقل وزر وفي التنزيل العزيز: كلا لا وزر: اي لاشيء يعتصم فيه من امر الله.

٢ ـ الصدر: نقيض الورد، صدر يصدر صدرا ومصدورا. وقيل «وماله صادر ولا وارد» اي ماله شيء.

٣ ـ جبل منيف: مرتفع مشرف / يقال: «له عز منيف» على وجه المجاز / امرأة منيفة: تامة الطول والحسن.

٤ ـ نافرة. حاكمه / فاخره في الحسب والنسب.

فهي تؤثر حظ زوجها على حظ نفسها، فتلك الكريمة الكاملة، وخير الرجال الجواد البطل، القليل الفشل، إذا سأله الرجل ألقاه قليل العلل كثير النفل[1]. ثم قالت: «كل فتاة بأبيها معجبة»

١ ـ النفل: الغنيمة.

لسان فطن*

قال سعيد بن أبي حذافة، حَبس مروان وهو والي المدينة، غلاماً من بني ليث في جناية جناها، فأتته جدة الغلام، وهي أم سنان بنت جُشمَة المذحجية فكلمته في الغلام، فأغلظ مروان لها، فخرجت الى معاوية، فدخلت عليه فانتسبت فعرفها فقال: مرحباً بابنة جشمة، ما أقدمك أرضنا، وقد عهدتك تشتمييننا، وتحضين علينا عدونا؟

قالت: إن لبني عبد مناف أخلاقاً طاهرة، وأحلاماً وافرة، لا يجهلون بعد علم، ولا يسفهون بعد حلم، ولا ينتقمون بعد عفو، وان أولى الناس باتباع ماسن آباؤه لأنت.

---

* ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ج ١ ص ٢٩٦.

قال : صدقت، نحن كذلك، فكيف قولك ؟

عزب[1] الرقاد فمقلتي لا ترقد
والليل يصدر بالهموم ويُوردُ
يا آل مذحج لا مقام فشمروا
إن العدو لآل أحمد يقصد
هذا علي كالهلال تحفه
وسط السماء من الكواكب أسعُدُ
خير الخلائف وابن عم محمد
إن يهدكُم بالنور منه تهتدوا
ما زال مذ شهد الحروب مُظفراً
والنصر دون لوائه ما يعقد

قالت : كان ذلك يا أمير المؤمنين، وأرجوا أن تكون لنا خلفاً.

فقال رجل من جلسائه : كيف يا أمير المؤمنين؟ وهي القائلة :

إما هلكت أبا الحسين فلم تزل
بالحق تُعرف هادياً مهديا

---

١ ـ عزب: بعد وغاب وخفي.

فاذهب عليك صلاة ربك ما دعت
فوق الغصون حمامةٌ قُمْرِيّا[1]
قد كنت بعد محمدٍ خلفاً كما
أوصى إليك بنا فكنت وفيا
واليوم لا خلف يؤمل بعده
هيهات نأمل بعده إنسيا

قالت: يا أمير المؤمنين، لسان فطن، وقول صدق، ولئن تحقق ماظننا فحظك الأوفر، والله ما ورثك الشنآن[2] في قلوب المسلمين إلا هؤلاء، فادحِض مقالتهم، وابعد منزلتهم، فإنك ان فعلت ذلك تزدد من الله قرباً، ومن المؤمنين حباً.

قال: وإنك لتقولين ذلك.

قالت: سبحان الله! والله ما مثلك، مُدِح بباطل، ولا اعتذر اليه بكذب، وإنك لتعلم ذلك، من رأينا وضمير قلوبنا.

---

١ ـ حمامة قمرية: ضرب من الحمام حسن الصوت.
٢ ـ الشنآن م شنآنة وشنأى: المبغض.

أجود بما يرفعني*

قال تميم بن عدي اليربوعي:

كنت مع عبد الله بن العباس[1] عند منصرفه من دمشق، فسألته في بعض الأيام، وقلت له: بماذا يتم عقل الرجل؟

فقال: اذا صنع المعروف مبتدئاً به، وجاد بما هو محتاج اليه، وتجاوز عن الذِّلّة وجازى عن المكرمة، وتجنب مواطن الإعتذار، فقد تمَّ عقله.

فحفظت ذلك منه، وألصقته بقلبي.

---

* ابن ابي طلحة: ابو سالم محمد ـ العقد الفريد للملك السعيد ص ١٣.

١ ـ عبد الله بن العباس: هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف احد أكابر الصحابة في العلم سمي بالحبر لسعة علمه ومات بالطائف سنة ٦٨ هـ.

ثم بعد أيام نزلنا منزلاً، فطلبنا طعاماً فلم نجده ولا قدرنا عليه، فقال عبد الله لوكيله: اخرج الى هذه البرية، فلعلك تجد بها راعياً معه طعام، فمضى الوكيل ومعه غلمان؛ فاطالوا التوقف، فلما كادوا يرجعون لاح لهم خِباء، فأمُّوه؛ فوجدوا فيه عجوزاً، فقالوا لها: هل عندك طِعام نبتاعه منك؟

فقالت: أما طعامٌ بيعٍ فلا؛ ولكن عندي أكلة لي، وبأولادي إليها أمسُّ حاجة.

قالوا: وأين أولادك؟

قالت: في رعيهم، وهذا وقت عودتهم.

قالوا: فما أعددت لهم؟

قالت: خبزة تحت مَلَّتها[1]، أنتظر بها ان يجيئوا.

قالوا لها: فجودي لنا بنصفها.

قالت: لا؛ ولكن بها كلها.

---

١ ـ الملة: الجمر / الرماد الحار. والملى: الخبزة المنضجة في الرماد الحار.

قالوا: ولِمَ منعتِ النصف وجُدتِ بها كلها، ولا خبز عندك غيرها؟!

قالت: إن إعطاء الشطر[1] من خبزة نقيصة، فأنا أمنع ما يُنقصِني، وأجود بما يرفعني.

فأخذوا الخبزة لفرط حاجتهم إليها وانصرفوا. ولم تسأل من هم ولا من أين جاءوا.

فلما أتوا عبد الله، وأخبروه خبر العجوز عجب من ذلك وقال: ارجعوا إليها، فاحملوها في دعة وأحضروها.

فرجعوا إليها، وقالوا لها: إن صاحبنا أحبَّ ان يراكِ.

قالت: ومن صاحبكم؟

قالوا: عبد الله بن العباس.

قالت: ما أعرف هذا الاسم!

قالوا: العباس بن عبد المطلب، وهو عم النبي (ص).

---

١ ـ الشطر: النصف.

قالت: والله هذا الشرف العالي، وذروته الرفيعة، وماذا يريد مني؟

قالوا: يريد أن يكافئك على ما كان منك.

قالت: لقد أفسد الهاشمي ما أثَّلَ[1] له ابن عمه عليه السلام، والله لو كان ما فعلت معروفاً، ما أخذت عليه ثواباً؛ وإنما هو شيء يجب على كل إنسان أن يفعله.

قالوا: فإنه يحب ان يراك ويسمع كلامك.

قالت: أصير اليه؛ لأني أحبُّ أن أرى رجلاً من جناح النبي (ص) وعضواً من أعضائه.

فلما سارت رحَّب بها وأدنى مجلسها، وقال: ممن أنتِ؟

قالت: من كلب!

قال: كيف حالك؟

قالت: لم يبق من الدنيا ما يفرِّح إلا وقد

---

١ - أثل المال: زكاه / أنماه.

بلغته، وأني الآن أعيش بالقناعة، وأصون القرابة، وأنا اتوقع مفارقة الدنيا صباحاً ومساءً.

قال: أخبريني ما الذي أعددتِ لأولادك عند انصرافهم، بعد أخذنا الخبزة؟

قالت: أعددت لهم قول العربي:

ولقد أبيت على الطوى وأظلُّه
حتى أنال به كريمَ المأكل

فأعجبه قولها؛ وقال لبعض غلمانه، انطلق الى خبائها، فإذا أقبل بنوها، فجيء بهم.

فقالت للغلام: انطلق، فكن بفناء البيت، فإنهم ثلاثة، فإذا رأيتهم، تجد أحدهم دائم النظر نحو الأرض، عليه شعار الوقار، فإذا تكلم أفصح وإذا طُلب أنجح. والآخر حديد النظر كثير الحذر، إذا وعد فعل، وإن ظُلم قتل. والآخر كأنه شعلة نار، وكأنه يطلب بثار، فذاك الموت المائث[1]، والداء

---

١ ـ المائث: من قارب ان يموت / يقال « موت مائث » اي موت شديد.

الكابت، فإذا رأيت هذه الصفة فيهم فقل لهم عني: لا تجلسوا حتى تأتوني.

فانطلق الغلام، فأخبرهم الخبر، فما بَعُد أمَدُه حتى جاءوا، فأدناهم عبد الله وقال: إني لم أبعث إليكم وإلى والدتكم إلا لأصلح من أمركم، وأصنع ما يجب لكم.

فقالوا: إن هذا لا يكون إلا عن مسألة، أو مكافأة فعل جميل تقدَّم، ولم يصدر منا واحدة منهما؛ فإن كنت أردت التكرُّم مبتدئاً، فمعروفك مشكور، وبِرُّك مقبول مبرور. فأمرلهم بسبعة آلاف درهم، وعشر من النوق. فقالت لهم العجوز: ليقل كل واحد منكم بيتاً من قوله:

فقال الأكبر:

شهدت عليك بحُسن المقَال
وصِدقِ الفَعالِ وطيب الخبر

وقال الأوسط:

تبرعت بالبذل قبل السؤال
فَعَالَ كريم عظيم الخطر

وقال الأصغر:

وحـــقٌّ لـمـن كــان ذا فـعــله
أن يَـسْـتـرقَّ رقــابَ الــبــشــر

وقالت العجوز:

فـعـمَّـرك الله مــن مــاجــدٍ
ووُقـيت ـ ماعشت ـ شـرَّ الـقـدر

ثم ودعوه وانصرفوا.

الزرقاء بنت عدي*

قال عبيد الله بن عمر الغساني عن الشعبي:

حدثني جماعة من بني امية ممن كان يسمر مع معاوية، أنّ معاوية لما ولي الخلافة، وانتظمت إليه الأمور، وامتلأت منه الصدور، وأذعن لأمره الجمهور، وساعده الله في مراده، استحضر ليلةً خواصّ أصحابه، وذاكرهم وقائع أيام صفين، ومن كان يتولى كبر الكريهة من المعروفين، فانهمكوا في القول الصحيح والمريض، وآل حديثهم الى من كان يجتهد في إيقاد نار الحرب عليهم بزيادة التحريض. فقالوا: امرأة من أهل الكوفة تسمى الزرقاء بنت عدي[1]، كانت تعتمد الوقوف بين الصفوف، وترفع

* .ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ج ١ ص ٢٩٤.

١ ـ الزرقاء بنت عدي: خطيبة شجاعة من اهل الكوفة لها =

صوتها صارخة: يا أصحاب علي. تسمعهم كلاماً كالصوارم، مستحثة لهم بقول لو سمعه الجبان لقاتل، والمدبر لأقبل، والمسالم لحارب، والفارّ لكر، والمتزلزل لاستقر.

فقال لهم معاوية: أيكم يحفظ كلامها؟

قالوا: كلنا نحفظه.

قال: فما تشيرون عليّ فيها؟

قالوا: نشير بقتلها، فانها أهل لذلك.

فقال لهم معاوية: بئس ما أشرتم به، وقبحاً لما قلتم، أيحسن ان يشتهر عني أنني بعدما ظفرت وقدرت، قتلت أمرأة قد وفت لصاحبها؟ إني إذاً للئيم. لا والله لا فعلت ذلك أبداً.

ثم دعا بكاتبه فكتب كتاباً الى واليه بالكوفة: أن أنفذ إليّ الزرقاء بنت عدي، مع نفر من عشيرتها،

= مواقف في حرب صفين ضد معاوية الذي حاورته بعد ان استخلف فأعجب بفصاحتها وأمر لها بمال عاشت في القرن السابع للميلاد.

وفرسان من قومها، ومهّد لها وطاء ليناً ومركباً ذلولاً.

فلما ورد عليه الكتاب، ركب إليها وقرأه عليها.

قالت بعد قراءة الكتاب: ما أنا بزائغة عن الطاعة. فحملها في هودج، وجعل غشاءه خزاً مبطناً، ثم أحسن صحبتها.

فلما قدمت على معاوية، قال لها: مرحباً وأهلاً، خير مقدَم قدِمه وافد. كيف حالك يا خالة؟ وكيف رأيت سيرك؟

قالت: ربيبة بيت أو طفلاً ممهداً.

فقال: بذلك أمرناهم. هل تعلمين لم بعثت اليك؟

قالت: وأنّى لي بعلم ما لم أعلم؟ لا يعلم الغيب إلا الله سبحانه وتعالى.

قال: ألست الراكبة الجمل الأحمر، يوم صفين؟ وأنت بين الصفوف توقدين نار الحرب، وتحرضين على القتال؟

قالت: نعم!

قال: فما حملك على ذلك؟

قالت: يا أمير المؤمنين؛ إنه قد مات الرأس، وبتر الذنب ولن يعود ما ذهب، والدهر ذو غيرٍ، ومن تفكر أبصر، والأمر يحدث بعده الأمر.

فقال: صدقت! فهل تعرفين كلامك، وتحفظين ما قلتِ؟

قالت: لا والله. ولقد أنسيته.

قال: لله أبوك! فلقد سمعتك تقولين: أيها الناس؛ ارعووا وارجعوا! إنكم أصبحتم في فتنة غشتكم جلابيب الظلم، وجارت بكم عن قصد المحجة، فيا لها فتنة عمياء صماء بكماء لا تسمع لناعقها، ولا تسلس لقائدها.

إن المصباح لا يضيء في الشمس، وإن الكواكب لا تنير مع القمر، وإن البغل لا يسبق الفرس، ولا يقطع الحديد إلا بالحديد، ألا من استرشدنا ارشدناه، ومن سألنا أخبرناه!

أيها الناس إن الحق كان يطلب ضالّته

فأصابها ! فصبراً يا معشر المهاجرين والأنصار على الغُصَص ! فكأنكم وقد التأم شملُ الشَتات، وظهرت كلمة العدل، وغلب الحقُّ باطله. فانه لا يستوي المحق والمبطل؛ أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقاً ؟ لا يستوون. فالنزال النزال، والصبر الصبر! ألا إن خضاب النساء الحناء، وخضاب الرجال الدماء؛ والصبر خير الأمور عاقبة، إئتوا الحرب غير ناكصين(١) فهذا يوم له ما بعده.

ثم قال: يا زرقاء أليس هذا قولك وتحريضك ؟

قالت: لقد كان ذلِك.

قال: لقد شاركتِ علياً في كل دمٍ سفكه.

فقالت: أحسن الله بشارتك؛ يا أمير المؤمنين، وأدام سلامتك، فمثلك من بشَّر بخير وسرَّ جليسه.

فقال معاوية: أو يسرُّك ذلك ؟

قالت: نعم، والله لقد سرني قولك، وأنَّى لي بتصديق الفعل ؟

---

١ ـ نكص عن الامر: احجم عنه. ونكص على عقبيه: رجع = عما كان عليه.

فضحك معاوية وقال: والله لوفاؤكم له بعد موته، أعجب عندي من حبكم له في حياته؛ اذكري حاجتك.

فقالت: يا أمير المؤمنين اني آليت على نفسي ألاّ أسأل احداً أعنت عليه أبداً.

فقال: قد أشار عليّ بعضُ من عرفك بقتلك.

فقالت: لؤم من المشير، ولو أطعته لشاركته.

قال: كلا بل نعفو عنك، ونحسن اليك ونرعاكِ.

فقالت: يا أمير المؤمنين كرمٌ منك، ومثلك من قَدِر فعفا، وتجاوز عمن أساء وأعطى من غير مسألة.

فأعطاها كسوة ودراهم وأقطعها ضيعة تَغُلُّ لها في كل سنة عشرة الآف درهم، وأعادها الى وطنها سالمة، وكتب الى والي الكوفة بالوصية بها وبعشيرتها.

أكفـــاء كرام*

كانت امرأة من العرب من بنات ملوك اليمن، ذات جمال وكمال، وحسب ومـال، فآلت ألَّا تزوِّج نفسها إلا من كريم، ولئن خطبها لئيم لتجدعنَّ أنفه؛ فتحاماها[1] الناس حتى انتدب إليها زيد الخيل[2]،

---

* القـالي: أبـو عـلي - ذيـل الامـالي ص ١٥٤ / البغدادي - خزانة الادب ج ٤ ص ١٦٠ / المصري: ابن نباتة - سرح العيون ص ٧٥.

١ - تحاماها: اجتنبها وتوقاها.

٢ - زيد الخيل: ابن مهلهل كان فارسا مغوارا مظفرا شجاعا بعيد الصوت في الجاهلية ادرك الاسلام ووفد الى النبي (ص) ولقيه وسر به وقرضه وسماه زيد الخير وهو شاعر مقل مخضرم معدود في الشعراء الفرسان وسمي زيد الخيل لكثرة خيله حيث كان له خيل كثيرة.

وحاتم بن عبد الله[1]، وأوس بن حارثة[2] الطائيون فارتحلوا إليها.

فلما دخلوا عليها قالت: مرحباً بكم، ما كنتم زوّاراً! فما الذي جاء بكم؟

قالوا: جئنا زُوّاراً خُطّاباً.

قالت أكفاء كرام؛ ثم انزلتهم وفرقّت بينهم، وأسبغت لهم القِرى، وزادت فيه.

فلما كان اليوم الثاني، بعثت بعض جواريها، متنكِّرة في زي سائلة تتعرض لهم، فرفع اليها زيد وأوس شطر ما حُمل الى كل واحدٍ منهما؛ فلما صارت الى رحل حاتم، دفع اليها جميع ما كان من نفقته، وحمل اليها جميع ما حُمل اليه.

---

١ - حاتم الطائي: شاعر جاهلي اشتهر بشجاعته وسخائه وكرمه وضرب به المثل « اجود من حاتم » له ديوان مطبوع.

٢ - اوس بن حارثة يعود اليه نسب احدى قبيلتي الاوس والخزرج وهو من أجداد العرب في الجاهلية؛ والاوس من انصار النبي (ص) كان يقال لأبيهم الاوس. فكأنك اذا قلت: الاوس وانت تعني تلك القبيلة انما تريد الاوسيين.

فلما كان اليوم الثالث دخلوا عليها، فقالت: ليصف كل واحد منكم نفسه في شعره، فابتدر زيد وأنشأ يقول:

هلّا سألتِ بني ذبيان: ما حسبي
عند الطعان، اذا ما احمَّرت الحدق
وجاءت الخيلُ محمّرا بوادرها[1]
بالماء يسفح من لباتها العلق[2]
والجار يعلم أني لست خاذله
إن ناب دهر لعظم الجار مُعْتَرِق[3]
هذا الثناء فان ترضي فراضيةٌ
أو تسخطي فإلى من تُعطَفُ العنُقَ

وقال أوس بن حارثة: إنك لتعلمين أنّا أكرم أحساباً، وأشهر أفعالاً من أن نصف أنفسنا لك؛ أنا الذي يقول فيه الشاعر:

---

١ ـ البادرة: اللحمة التي بين العنق والمنكب حيث تحمر من دم الفارس.
٢ ـ العلق: الدم.
٣ ـ اعترق العظم: اكل ما عليه من اللحم.

الى أوس بــن حــارثــة بــن لأْم
ليقـضي حــاجتي ولقــد قـضــاهــا
فـما وطىء الحصى مثلُ ابن سُعْـدَى
ولا لــبس الــنعـــال ولا احــتـذاهــا

وأنا الذي عُقَّت عقيقته[1] واعتقت عن كل شعرةٍ فيها عنه نسمة، ثم انشأ يقول:

فــان تنكحي مـاويــة الخير حــاتمـاً
فـــما مـثله فـيـنـــا ولا في الأعـــاجـم
فتى لا يــزال الــدهــرُ أكبــر همِّــه
فـــكـــاك أســير أو مـعــونــة غــارم
وإن تنكحي زيـــداً ففـارس ٌقــومــه
إذا الحـرب يومـاً أقعـدت كـل قـائم
وإن تنكحيني تنكحـي غــير فــاجــر
ولا جــارفٍ جـرف العشيــرة هــادم
ولا متقٍ يومـاً ـ إذا الحـرب شمَّرت
ـ بأنفسها نفسي كفعل الأشائم[2]

---

١ ـ العقيقة: الشاة التي تذبح عن المولود يوم اسبوعه عند حلق شعره.
٢ ـ الأشائم: ضد الأيامن والمشأمة: ضد الميمنة. ويقان في =

وإن طـــارق الأضيـــاف لاذ بـــرحله
وجدت ابن سُعدى للقرى غير عاتم[1]
فـأي فتى أهـدى لـــك الله فـاقبـــلي
فـإنّـــا كـــرام مـــن رؤوس أكـــارم

وأنشأ حاتم يقول:

أمـا ويّ قـد طـــال التجنُّبُ والهجُر
وقـد عـــذرتني في طِـــلابكُـمُ عُـــذْرُ
أمـــا ويّ إن المـــال غـــادٍ ورائـــح
ويبقى من المال الأحـاديث والـذِّكـرُ
أمـــا ويّ إني لا أقـــول لـــسائـــل
إذا جاء يوماً: حلَّ في مالنا النزرُ[2]

= الامثال: أشأم من براقش وأشأم من البســوس وأشأم من داحس وأشأم من رغيف الحولاء وأشأم من طويس وأشأم من عطر منشم وأشـأم من غـراب البـين (المنجـد ـ فـرائـد الادب ـ ص ٩٥٥).

١ ـ عتم قرى الضيف: أبطأ.

٢ ـ نَزُرَ: قل. النزر: القليل التافه.

أمـاويَّ إمـا مـانـعٌ فـمـبـيـنٌ
وإمـا عـطاء لا ينهنهـه[1] الـزجـرُ
أمـاويَّ مـا يغني الثـراء عن الفتى
إذا حشرجت[2] يوماً وضاق بها الصدر
أمـاويَّ إن يصبح صـداي[3] بقفرةٍ
من الأرض لا مـاء لـدي ولا خمـر
تـرى انْ ما انفقت لم يـك ضائـري
وأن يـدي ممـا بخلت بـه صـفـر
أمـاويَّ إني رُبّ واحـدِ أمِّـهِ
أخـذتُ فـلا قتـل عليـه ولا أسـر
وقـد علم الأقـوام لـو ان حـاتمـاً
أراد ثـراء المـال كـان لـه وفـرُ
أمـاويَّ إن المـال مـالٌ بـذلـتـه
فـأولـه شـكـر وآخـره ذكـر

---

١ ـ نهنه عن الشيء نهنهة فتنهنه: كفه عنه وزجره بالفعل او القول فكف.

٢ ـ حشرج حشرجة: غرغر عند الموت وتردد نفسه.

٣ ـ الصدى: ترجيع الصوت.

وإني لا آلو[1] بمالي صنيعةً
فأوله زاد وآخره ذخر
يفكُّ به العاني[2] ويؤكل طيباً
وما إن يعرِّيه القداح ولا القمرُ[3]
ولا أظلِمُ إبن العمِّ إن كان إخوتي
شهوداً وقد أودى بأخوته الدهرُ
غنينا[4] زماناً بالتصعلك والغِنى
وكُلًّا سقاناهُ بكأسيهما الدهر
فما زادنا بأواً[5] على ذي قرابة
غِنانا، ولا أزرى باحسابنا الفقر
وما ضرَّ جاراً يابنة القوم فاعلمي
يجاورني ألا يكون به ستر
بعينيَّ عن جارات قومي غفلةٌ
وفي السمع مني عن أحاديثها وقْرُ

١ ـ ائتال المال: ساسه واصلحه. آل الرعية: ساسها ودبر امورها.
٢ ـ العاني: الاسير.
٣ ـ القداح والقمر: الخمر والميسر.
٤ ـ غنينا: أقمنا.
٥ ـ البأو: الكبر والفخر.

فقالت: أما أنت يا زيد فقد وترت العرب وبقاؤك مع الحرَّة قليل.

وأما أنت يا أوس فرجل ذو ضرائر، والدخول عليهنَّ شديد.

وأما أنت يا حاتم فمرضي الأخلاق محمود الشيم، كريم النفس، وقد زوجتك نفسي.

أمّ الخــير*

قال عبيد الله بن عمر الغساني عن الشعبي:

كتب معاوية الى واليه بالكوفة ان يحمل إليه أم الخير بنت الحُريش بن سراقة البارقي برحلها، وأعلمه أنه مجازيه بالخير خيراً وبالشر شراً بقولهافيه.

فلما ورد عليه كتابه ركب إليها فأقرأها كتابه؛ فقالت: أما أنا فغير زائغـة عن طاعـة، ولا معتلة لكذب، ولقد كنت أحب لقاء أمير المؤمنين لامور تختلج في صدري.

فلما شيعها وأراد مفارقتها قال لها: يا أم الخير إن امير المؤمنين كتب إلي أنه مجازيني بـالخير خيـراً وبالشر شراً؛ فما لي عندك؟

* ابن عبد ربه العقد الفريد ج ١ ص ٣٠٠.

قالت: يا هذا، لا يطمعنك برُّك بي أن أسُرّك بباطل، ولا تؤيسك معرفتي بك ان أقول فيك غير الحق.

فسارت خير مسير حتى قدمت على معاوية فانزلها مع الحرم، ثم ادخلها في اليوم الرابع وعنده جلساؤه. فقالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

فقال لها: وعليك السلام يا أم الخير، بحق ما دعوتني بهذا الأسم؟

قالت: يا أمير المؤمنين، مَهْ، فان بديهة السلطان مَدْحَضَةٌ(١) لما يجب علمه، ولكل أجل كتاب.

قال: صدقت! فكيف حالك يا خالة؟ وكيف كنتِ في مسيركِ؟

قالت: لم أزل يا أمير المؤمنين في خير وعافية حتى صرت إليك؛ فأنا في مجلس أنيق، عند ملك رفيق.

---

١ ـ دحض الحجة: أبطلها.

قال معاوية: بحسن نيتي ظفِرتُ بكم.

قالت: يا امير المؤمنين، يعيذك الله من دحض المقال وما تردي عاقبته.

قال: ليس هذا أردنا. أخبرينا كيف كان كلامك إذ قتل عمّار بن ياسر[1] ؟

قالت: لم أكن زوّرته قبل، ولا روّيته بعد؛ وإنما كانت كلمات نفثها لساني عند الصدمة؛ فإن أحببت ان أحدث لك مقالاً غير ذلك فعلت.

فالتفت معاوية الى جلسائه فقال: أيُّكم يحفظ كلامها؟

فقال رجل منهم: أنا أحفظ بعض كلامها يا أمير المؤمنين.

---

١ ـ عمار بن ياسر: امام الصلاة بالكوفة وميزان العدل في حرب صفين ملىء ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه قال فيه رسول الله (ص) حديثا ثابتا: «تقتلك الفئة الباغية» وقد قتل في حرب صفين وقد نيف على السبعين وذلك سنة ٣٧ هـ.

قال: هاتِ.

قال: كأني بها وعليها برد زبيديّ كثيف بيِّن النسج، وهي على جمل. أرمك[1] وقد احيط حولها، وبيدها سوط منتشر الضفيرة، وهي كالفحل يهدر في شقشقيته[2]، وتقول:

يا أيها الناس اتقوا ربكم، إن زلزلة الساعة شيء عظيم، إن الله قد أوضح لكم الحق، وأبان الدليل، وبيِّن السبيل، ورفع العلم، ولم يَدَعْكُم في عماء مدلهمَّة، فأين تريدون رحمكم الله؟ أفِراراً عن أمير المؤمنين، أم فراراً من الزحف، أم رغبة عن الاسلام، أم ارتداداً عن الحق؟ أما سمعتم الله جلَّ ثناؤه يقول: «ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم».

ثم رفعت رأسها الى السماء وهي تقول: اللهم

---

١ ـ إرمكَّ إرمكاكاً البعير: ضمر ودق او كان في لون الرماد.
رجل رمكة: ضعيف.

٢ ـ الشقشقة: شيء كالرئة يخرجه البعير من فيه اذا هاج ويقال للفصيح «هدرت شقشقته» و «فلان شقشقة قومه» اي شريفهم وفصيحهم.

قد عيل الصبر، وضعف اليقين، وانتشرت الرغبة، وبيدك يا رب أزمّة[1] القلوب، فأجمع اللهم بها الكلمة على التقوى، وألِّف القلوب على الهدى، واردد الحق الى أهله. هلموا رحمكم الله الى الإمام العادل والرضيّ التقى، والصديق الأكبر؛ إنها إحنٌ[2] بدرية، وأحقاد جاهلية، وضغائن أُحُدية، وثب لها واثب حين الغفلة، ليدرك ثارات بني عبد شمس.

ثم قالت: «قاتلوا أئمة الكفر إنهم لا إيمان لهم لعلهم ينتهون» صبراً يا معشر المهاجرين والأنصار، قاتلوا على بصيرة من ربكم، وثبات من دينكم؛ فكأني بكم غداً، وقد لقيتم أهل الشام، كحمرٍ مستنفرة، فرّت من قسورة[3]، لا تدري اين يسلك بها من

---

١ ـ الزمام ج أزمة: ما يزم به اي يشد. يقال: «هو زمام قومه» اي مقدمهم وصاحب امرهم. و«هو زمام الامر» اي به يقوم الامر. و «ألقوا في يده زمام الامر» اي تركوا له ان يحكم ويقضي بما شاء. و «هو على زمام امره» اي على شرف من قضائه. و«هو يصرف ازمة الامور» اي يقضي فيها بما يشاء.

٢ ـ الإحن م الاحنة: الحقد.

٣ ـ القسور: الاسد.

فجاج الأرض، باعوا الآخرة بالدنيا، واشتروا الضلالة بالهدى، وباعوا البصيرة بالعمى، وعما قليل لَيُصبِحُنَّ نادمين، حتى تَحُلَّ بهم الندامة، فيطلبون الإقالة، ولات حين مناص. انه من ضل الله عن الحق وقع في الباطل. ألا إن أولياء الله استصغروا عمر الدنيا فرفضوها، واستطابوا الآخرة فسعوا لها، فالله الله أيها الناس، قبل ان تبطل الحقوق، وتعطل الحدود، ويظهر الظالمون وتقوى كلمة الشيطان؛ فإلى أين تريدون رحمكم الله، عن ابن عم رسول الله (ص) وصهره وأبي سبطيه، خلق من طينته، وتفرع من نبعته، وخصّه بسرِّه، وجعله باب مدينته، وأعلم بحبه المسلمين، وأبان ببغضه المنافقين، ها هو ذا مفلق الهام، ومكسر الأصنام، صلى والناس مشركون؛ وأطاع والناس كارهون، فلم يزل في ذلك حتى قتل مبارزي بدر، وأفنى أهل أحد، وهزم الأحزاب، وقتل الله به أهل خيبر، وفرَّق جمع هوازن؛ فيالها من وقائع، زرعت في قلوب نفاقاً، وردَّة وشقاقاً، وزادت المؤمنين إيمانا، وقد اجتهدت في القول؛ وبالغت في النصيحة، وبالله التوفيق، والسلام عليكم ورحمة الله.

فقال معاوية: يا أم الخير، ما أردتِ بهذا الكلام إلا قتلي، ولو قتلتُك ما حَرِجْتُ في ذلك.

قالت والله ما يسوءني ان يجري قتلي على يَدي من يسعدني الله بشقائه.

قال: هيهات يا كثرةِ الفضول، ما تقولين في عثمان بن عفان رحمه الله؟

قالت: وما عسيت أن أقول في عثمان، استخلفه الناس وهم به راضون، وقتلوه وهم له كارهون.

قال معاوية: يا أم الخير؛ هذا أصلك الذي تبنين؟

قالت: لكن الله يشهد وكفى بالله شهيداً؛ ما اردت بعثمان نقصاً، ولكن كان سابقاً الى الخير، وانه لرفيع الدرجة غداً.

قال: فما تقولين في طلحة بن عبيد الله؟

قالت: وما عسى أن أقول في طلحة؟ اغتيل من مأمنه واتي من حيث لم يحذر، وقد وعده رسول الله (ص) الجنة.

قال: فما تقولين في الزبير؟

قالت: وما اقول في ابن عمة رسول الله (ص) وحواريّه، وقد شهد له رسول الله (ص) بالجنة، وقد كان سباقاً الى كل مكرمة في الاسلام، وأنا اسألك بحق الله يا معاوية، فان قريشاً تحدثت أنك أحلمها: ان تسعني بفضل حلمك، وان تعفيني من هذه المسائل، وتسألني عما شئت من غيرها.

قال: نعم ونعمة عين، وقد أعفيتك منها. ثم أمر لها بجائزة رفيعة وردها مكرمة.

المتكلمة بالقرآن*

قال عبد الله المبارك: خرجت حاجاً الى بيت الله الحرام، وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام، فبينما أنا في بعض الطريق، إذ أنا بسوادٍ، فتميزت ذاك، فإذا هي عجوز عليها دِرْعٌ من صفوف وخمار من صوف، فقلت: السلام عليك ورحمة الله وبركاته.

فقالت: «سلام قولاً من رب رحيم [1]»

فقلت لها: يرحمك الله ما تصنعين في هذا المكان؟

---

* الهاشمي: السيد أحمد ـ جواهر الادب ج ١ ص ٤٠٤ / الحموي: ابن حجة ـ ثمرات الاوراق ج ٢ ص ٢١٢.
الأبشيهي ـ المستطرف في كل فن مستظرف ج ١ ص ٥٦.
١ ـ سورة يس آية ٥٨.

قالت: «ومن يضلل الله فلا هادي له[1]»

فعلمت انها ضالة عن الطريق، فقلت لها أين تريدين ؟

قالت: «سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى[2]».

فعلمت انها قد قضت حجتّها، وهي تريد بيت المقدس، فقلت لها: أنت منذ كم في هذا الموضع ؟

قالت: «ثلاث ليال سويا[3]»

فقلت: ما أرى معك طعاماً تأكلين.

قالت: «هو يطعمني ويسقين[4]».

فقلت: فبأي شيء تتوضئين ؟

---

١ ـ سورة الاعراف آية ١٨٦.
٢ ـ سورة الاسراءاية ١ ٠
٣ ـ سورة مريم اية ١٠٠
٤ ـ سورة الشعراء اية ٧٩ ٠

قالت: « فلم تجدوا ماءً فتيمموا صعيداً طيباً[1] »

فقلت لها: إن معي طعاماً: فهل لك في الأكل ؟

قالت: «ثم أتموا الصيام الى الليل[2] »

فقلت: ليس هذا شهر رمضان!

قالت: « ومن تطوع خيراً فإن الله شاكر عليم[3] » .

فقلت: قد أبيح لنا الأفطار في السفر!

قالت: « وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون[4] »

فقلت: لم لا تكلمينني مثل ما اكلمك ؟

---

١ ـ سورة النساء اية ٤٣ وسورة المائدة اية ٦٠

٢ ـ سورة البقرة اية ١٦٤٠

٣ ـ سورة البقرة اية ١٥٨٠

٤ ـ سورة البقرة اية ١٨٤٠

قالت: « ما يلفظ من قـول إلا لديـه رقيب عتيد (١) »

فقلت: فمن أي الناس أنت ؟

قالت: « ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمـع والبصر والفؤاد كـل أولئك كـان عنه مسؤولاً (٢) »

فقلت: قد أخطأت فاجعليني في حل.

قـالت: « لا تثريب عليكم اليـوم يغفـر الله لكم (٣) »

فقلت: فهل لك ان احملك على ناقتي هـذه فتدركي القافلة ؟

فقالت: « وما تفعلوا من خير يعلمه الله (٤) »

قال: فأنخت ناقتي.

---

١ - سورة ق اية ١٨.
٢ - سورة الاسراء اية ٣٦.
٣ - سورة يوسف اية ٩٢.
٤ - سورة البقرة اية ١٩٧.

قالت: « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم[١] »

فغضضت بصري عنها، وقلت لها: اركبي.

فلما أرادت ان تركب نفرت الناقة، فمزقت ثيابها فقالت: « وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم[٢] »

فقلت لها: أصبري حتى أعقلها.

قالت: « ففهمناها سليمان[٣] »

فعقلت الناقة وقلت لها: اركبي.

فلما ركبت قالت: « سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا الى ربنا لمنقلبون[٤] ».

قال: فأخذت بزمام الناقة وجعلت أُسرع واصيح.

---

١ ـ سورة النور اية ٣٠.
٢ ـ سورة الشورى اية ٣٠.
٣ ـ سورة الانبياء اية ٧٩.
٤ ـ سورة الزخرف اية ١٣ و ١٤.

فقالت: « واقصد في مشيك واغضض من صوتك[1] »

فجعلت أمشي رويداً رويداً وأترنم بالشعر.

فقالت: « فاقرءوا ما تيسر من القرآن[2] »

فقلت لها: لقد أُتيت خيراً كثيراً.

قالت: « إنما يتذكر أولوا الألباب[3] »

فلما مشيت بها قليلاً قلت: ألك زوج ؟

قالت: «يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبدلكم تسؤكم[4] »

فسكت ولم أكلمها حتى أدركت بها القافلة.

فقلت لها: هذه القافلة فمن لك فيها ؟

فقالت: « المال والبنون زينة الحياةِ الدنيا[5] »

---

١ ـ سورة لقمان اية ١٩.
٢ ـ سورة المزمل اية ٢٠.
٣ ـ سورة الرعد اية ١٩ وسورة الزمر اية ٩.
٤ ـ سورة المائدة اية ١٠١.
٥ ـ سورة الكهف اية ٤٦.

فعلمت ان لها أولاداً. فقلت: وما شأنهم في الحج ؟

قالت: « وعلامات وبالنجم هم يهتدون [1] »

فعلمت أنهم أدلاء الركب.

فقصدت بها القباب والعمارات ؛ فقلت هذه القباب فمن لك فيها ؟

قالت: « واتخذ الله ابراهيم خليلاً [2] » . «وكلم الله موسى تكليماً [3] » . « يا يحيى خذ الكتاب بقوة [4] » .

فناديت : يا ابراهيم، يا موسى، يا يحيى.

فإذا بشبان كأنهم الأقمار قد أقبلوا، فلما استقربهم الجلوس، قالت «ابعثوا أحدكم بورِقِكم

---

١ ـ وردت في الاصل كما هو اعلاه. ولكن تنص الاية الشريفة على ما يلي: « وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر. سورة الاعراف اية ١٥٨ » .

٢ ـ سورة النساء اية ١٢٥ .

٣ ـ سورة النساء اية ١٦٤ .

٤ ـ سورة مريم اية ١٢ .

هذه إلى المدينة،فلينظر أيها أزكى طعاماً فليأتكم برزق منه[1] ».

فمضى أحدهم فاشترى طعاماً، فقدموه بين يديَّ، فقالت: «كلوا واشربوا هنيئاً لما اسلفتم في الأيام الخالية[2] ».

فقلت: الآن طعامكم علي حرام حتى تخبروني بأمرها.

فقالوا: هذه أمُّنا، منذ أربعين سنة، لم تتكلم إلَّا بالقرآن، مخافة ان تزل فيسخط عليها الرحمن فسبحان القادر على ما يشاء.

فقلت: « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم[3] ».

---

١ ـ سورة الكهف اية ١٩ ـ الورق: الفضة والمقصود في الاية قطعة من النقود الفضية.
٢ ـ سورة الحاقة اية ٢٤.
٣ ـ سورة الحديد اية ٢٩.

قلَّ من يحفظ ميتاً*

عن العتبي أنه قال:

كان خالد بن عبد الله القسري[1] ذات ليلة مع فقهاء من أهل الكوفة، فقال بعضهم: حدثونا حديثا لبعض العشاق.

قال أحدهم: أصلح الله الامير، ذكر هشام بن عبد الملك غدر النساء وسرعة رجوعهن فقال له بعض جلسائه: أنا أحدثك يا امير المؤمنين: بلغني عن امرأة

---

* ابن قيم الجوزية ـ اخبار النساء ص ١٣٤.

١ ـ خالد بن عبد الله القسري: كان جوادا ممدحا خطيبا مفوها، حاكم العراق (٧٢٤ م) سعى في حفظ السلام وتشجيع الزراعة واتهم بالفتور بالدين لتساهله مع سائر الاديان لاختلاسه مال الخزينة فعزل وسجن وقتل معذباً في الكوفة وله من العمر ستون سنة.

من يشكر يقال لها ام عقبة بنت عمرو بن الأعران، وانها كانت عند ابن عم لها يقال له غسان، وكان شديد المحبة لها والوجد بها، وكانت له كذلك فاقام بها على هذا الحال ما شاء الله لايزيد كل واحد منها بصاحبه إلا اغتباطا فلما حضرت غسان الوفاة قال لها: يا أم عقبة اسمعي ما اقول واجيبي عن نفسك بحق.

فقالت له: والله لاأجبتك بكذب ولا أجعله أخر حظك معي

فقال: إني رجوت ان تحفظي العهد وان تكوني لي ان مت عند الرجاء، أنا والله واثق بك غير أني بسوء الظن أخاف غدر النساء ثم اعتقل لسانه فلم ينطق حتى مات. فلم تمكث معه الا قليلا حتى خطبت من كل مكان ورغب فيها الازواج لاجتماع الخصال الفاضلة فيها، من العقل والجمال والمال والعفاف والحسب فقالت مجيبة له:

سأحفظ غسانا على بعد داره
وأرعاه حتى نلتقي يوم نحشرُ

وإني لفي شغــل عن النـــاس كلِّهــم
فكفــوا فــما مثــلي من النـاس يغــدُرُ
سـأبكي عليـه مــا حييت، بــدمعـة
تحول على الخدين مني فتكثرُ

فيئس الناس منها حينا. فلما طالت بها الايام نسيت عهـده، وقالت: من قـد مات فقـد فات. رأجابت بعض خطابها، فتزوجها المقدم بن حابس، وقد كان بها معجباً. فلما كانت الليلة التي اراد بها الدخول أتاها في منامها زوجها الأول فقـال لهـا:

غــدرتي ولم تـرعـي لبـعلك حـرمـة
ولم تعـرفي حقـاً ولم تـرعي لي عهـدا
غــدرتي لمــا ثــوى في ضـريحـه
كذلك ينسى كـل مـن سـكن اللحـد

فانتبهت مرتاعة مستحيية منه كأن يراها أو تراه في البيت. فأنكر حـالها من حضـرها، وقلن لهـا: مالك؟ وما بالك؟

قالت: ما ترك لي غسان في الحياةإرباً[1]، أتاني

١ ـ الارب: الحاجة.

الساعة فأنشدني هـذه الابيات. ثم أنشـدتها بـدمع غزير، وانتحاب شديد من قلب جريح موجع. فلما سمعن ذلك منها، أخذن بها في حديث آخر لتنسى ما هي فيه، فتغفلتهن ثم قامت كأنها تقضي حاجة، فأبطأت عليهن، فقمن في طلبها، فوجدنها قد جعلت السـوط في حلقهـا وربـطتـه الى عمـود البيت، وجبذت[1] نفسها حتى ماتت. فلما بلغ ذلك زوجها المقدام، حسن عزاؤه عنهـا، وقال: هكـذا فليكن النساء في الوفاء قلَّ من يحفظ ميتاً، إنما هي أيـام قلائل، حتى ينسى وعنه يتسلى

١ ـ جبذت: جذبت.

عكْرشة بنت الأطرش*

يـروى أن عكرشـة بنت الأطرش دخلت عـلى معاوية متوكئة على عكاز لها فسلمت عليه بالخلافة ثم جلست فقال لها معاوية: الآن يـا عكرشـة صرت عندك أمير المؤمنين؟

قالت : نعم ! إذ لا عليٌّ حي .

قال: ألستِ المتقلدة حمائل السيوف بصفين، وانت واقفة بين الصفين تقولين:

أيها الناس، عليكم أنفسكم لايضركم من ضل إذا اهتديتم. إن الجنة لايحزن من قطنها ولا يهرم من سكنها ولا يموت من دخلها: فابتاعوها بدار لايدوم

* ابن عبـد ربـه ـ العقـد الفـريـد ج ١ ص ٢٩٧ / القلقشنـدي ـ صبـح الاعشى ج ١ ص ٢٥٩ / ابن أبي طاهر: ابو الفضل احمد ـ بلاغات النساء ص ٤١.

نعيمها، ولا تنصرم همومها. وكونوا قوما مستبصرين في دينهم، مستظهرين على حقهم، إن معاوية دلف[١] إليكم بعجم العرب لايفقهون الايمان ولا يدرون ما الحكمة، دعاهم بالدنيا فأجابوه، واستدعاهم الى الباطل فلبوه، فالله الله عباد الله في دين الله. إياكم والتواكل[٢]، فان ذلك ينقض عرى الاسلام ويطفىء نور الحق، هذه بدر الصغرى، والعقبة الاخرى. يا معشر المهاجرين والأنصار، أمضوا على بصيرتكم، واصبروا على عزيمتكم، فكاني بكم غدا ولقد لقيتم أهل الشام، كالحمر الناهقة، تقصع[٣] قصع البعير، وتروث روث العتاق. فكاني أراك على عصاك قدانكفأ[٤] عليك العسكران يقولون: هذه عكرشة بنت الاطرش بن رواحة، فإن

---

١ ـ دلف: مشى كالمقيد وقارب الخطو في مشيه / دلف الجيش: تقدم.

٢ ـ تواكل القوم: اتكل بعضهم على بعض.

٣ ـ قصعت الناقة بجرّتها: ردتها الى جوفها وقيل أخرجتها وملأت بها فاها.

٤ ـ انكفأ القوم: تبددوا ورجعوا / انهزموا.

كدت لتقتلين أهل الشام لولا قدر الله، وكان أمر الله قدراً مقدوراً فما حملك على ذلك؟

قالت: يا أمير المؤمنين، قال الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لاتسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القران تبد لكم عفا الله عنها والله غفور حليم[1]). وان اللبيب اذا كره أمراً لايحب إعادته.

قال: صدقت، فاذكري حاجتك.

قالت: إنه كانت صدقاتنا تؤخذ من أغنيائنا فترد على فقرائنا، وانا قد فقدنا ذلك فما يجبر لنا كسير، ولا ينعش لنا فقير، فان كان ذلك عن رأيك فمثلك من تنبه من الغفلة وراجع التوبة وإن كان عن غير رأيك فما مثلك من استعان بالخونة ولا استعمل الظلمة.

قال معاوية: يا هذه إنه ينوبنا من امور رعيتنا أمور تنبثق وبحور تتدفق.

قالت: سبحان الله! والله ما فرض الله لنا حقاً، فجعل فيه ضرراً لغيرنا وهو علاّم الغيوب قال

---

١ ـ سورة المائدة اية ١٠١ .

معاوية: هيهات يا أهل العراق! نبهكم علي بن أبي طالب فلن تطاقوا.

ثم أمر برد صدقاتهم فيهم وإنصافهم..

تذكرة العاقل*

حكى الأصمعي قال:

لما بلغ الحارث بن عمرو بن حجر ملك كندة، جمال الخنساء ابنة عوف، وعقلها وأدبها دعا امرأة يقال لها ام عصام، وكانت ذات عقل ومعرفة، وأمرها ان تذهب لتعرفها، إن كانت كما سمع أو دون ذلك فذهبت الى ام الخنساء واسمها إمامة وأعلمتها ما قدمت بسببه، فارسلتها الى مضرب[1] ابنتها وكانت في ناحية عنها فلما رأتها وسمعت كلامها خرجت من عندها وهي تقول: ترك الخداع من كشف القناع.

---

* العاملي: بهاء الدين محمد بن حسين أسرار البلاغة ص٩/ الابشيهي - المستطرف في كل فن مستظرف ج ٢ ص ٢٤٩ / ابن عبد ربه - العقد الفريد ج ٧ ص ٧٧ .

المضرب ج مضارب: الخيمة العظيمة .

فلما رآها الحارث قال: ما وراءك يا أم عصام؟

قالت: أيها الملك صرح المخض عن الزبد رأيت جبهة كالمرآة المصقولة، يزينها شعر حالك كأذناب الخيل **المضفورة**[1]، إن أرسلته خلته السلاسل، وإن مشطته قلت عناقيد حلاها **الوابل**[2]، وحاجبين كأنما خطّا بقلم او سودا بحمم، تقوسا على مثل عين الظبية **العبهرة**[3]، التي لم يذعرها قابض ولا راعتها قسورة[4] بينهما أنف كحدّ السيف المصقول، لم يعبها قصر ولا طول، حفّت به وجنتان كالأرجوان في بياض **كالجمان**[5]، شق فيه فم كالخاتم، طيب المبتسم لذيذ الملتثم، تُقلِّب فيه لسانا يبين عن عقل وافر، وجواب حاضر تلتقي دونه شفتان حمراوان يجلبان ريقا

---

١ - ضفر الحبل: فتله. والضفير: حبل من الشعر المضفور. والضفيرة: كل خصلة مما ضفر على حدتها.

٢ - الوابل: المطر الشديد.

٣ - العبهرة: هي التي جمعت الحسن والجسم والخلق.

٤ - القسورة: الاسد أنثوه كما قالوا اسامة (اللسان مادة قسر).

٥ - الجمان: اللؤلؤ (فارسية).

كالشهد ركب ذلك في رقبة بيضاء كالفضة، على صدر كتمثال دمية، يتصل به ذراعان وعضدان، ليس فيهما عظم يمس ولا عرق يحس، ركب فيهما كفان رقيق قصبهما، لين عصبهما، تعقد إن شئت منهما الأنامل نبت في ذلك الصدر ثديان كالرمانتين يخرقان عليها ثيابها ويمنعانها ان تتقلد سخابها تحت ذلك بطن طوي كطي القياطين [١] المدمجة، كسي عُكناً [٢] كالقراطيس المدرجة تحاط بتلك العكن صرة كالمدهن المجلو خلف ذلك ظهر فيه كالجدول ينتهي الى خصر، لولا رحمة الله لانتثر، لها كفل [٣] يقعدها اذا نهضت، كأنه دعص [٤] الرمل، لبده [٥] سقوط الطل [٦] تحته فخذان كانهما حشيا ريش نعام، ركبا على ساقين عبلين [٧]،

١ ـ القياطين: حبال تفتل من خيوط الحرير ونحوه.

٢ ـ العكن: ما انطوى وتثنى من لحم البطن.

٣ ـ الكفل: العجز.

٤ ـ الدعص: كثيب الرمل المجتمع.

٥ ـ اللبد: المتلبد من الشعر ونحوه.

٦ ـ الطل: الندى.

٧ ـ عَبِل وعَبُل: ضخم. والعبلاء: الصخرة وقيل البيضاء منها.

يُرى من صفائهما مخ عظامهما، يحمل ذلك كله قدمان لطيفان كحرف اللسان، فتبارك الله مع صغرهما، كيف يطيقان حمل ما فوقهما.

فارسل الملك الى أبيها فخطبها فزوجه، وبعث صداقها فزوجت به، فلما أرادوا أن يحملوها الى زوجها، أقبلت عليها أمها توصيها، فكان مما أوصتها به ان قالت لها:

«أي بنية.. إن الوصية لو تركت لفضل في أدب، لتركت ذلك. ولكنها تذكرة للعاقل ومعونة للجاهل. ولو أن أمرأة استغنت عن الزوج لغنى أبويها وشدة حاجتهما اليها، كنت أغنى الناس عنه، ولكن النساء للرجال خلقن، ولهن خلق الرجال، اي بنية.. إنك فارقت الحواء[1] الذي منه خرجت، وخلفت العش الذي فيه درجت الى وكر لم تعرفيه وقرين لم تألفيه فاصبح بملكه اياك رقيبا ومليكا، فكوني له أمة يكن لك عبدا وشيكا. اي بنية... إحفظي له عشر خصال يكن لك ذخرا وذكرا فاما الأولى والثانية الصحبة له بالقناعة والمعاشرة بحسن

١ ـ الحواء: البيت.

السمع والطاعة، وأما الثالثة والرابعة التعهد لموقع عينيه والتفقد لموضع أنفه فلا تقع عيناه منك على قبيح ولا يشم منك الا أطيب الريح، والكحل أحسن الحسن الموجود، والماء أطيب الطيب المفقود، وأما الخامسة والسادسة فالتفقد لوقت طعامه والهدوء عند منامه فان حرارة الجوع ملهبة وتنغيص النوم مغضبة، وأما السابعة والثامنة فالاحتفاظ بماله والإرعاء على حشمه وعياله لان الإحتفاظ بالمال من حسن الخلال ومراعاة الحشم والعيال، من الإعظام والإجلال وأما التاسعة والعاشرة فلا تفشي له سرا ولا تعصي له أمرا فانك إن أفشيت سره لم تأمني غدره، وان عصيت امره أوغرت صدره ثم أتقي ـ مع ذلك ـ الفرح بين يديه اذا كان ترحا والاكتئاب عنده إن كان فرحا فان الخصلة الاولى من التقصير والثانية من التكدير وكوني اشد ما تكونين له إعظاما يكن أشد ما يكون لك إكراما واكثر ما تكونين له موافقة يكن أطول ما يكون لك مرافقة واعلمي انك لا تصلين الى ما تحبين حتى تؤثري رضاه على رضاك، وهواه على هواك فيما أحببت وكرهت والله يخير لك».

فقالت: والله يا أماه، ما أمرت بخير الا وانا ممثلته بين عيني ولا نهيت عن شر الا وانا مطيعة لما اشرت به علي.

فحملت اليه فحسن موقعها منه وعظمت عنده وولدت له السبعة الذين ملكوا اليمن بعده وهم: مُسْلَمَةُ، وحُجر، وشرحبيل ومعد يكرب، وعمرو، والفتاك، وجَلْهَمَة.

صفية بنت عبد المطلب*

حدّث عبد الله بن الزبير عن أبيه:

أن صفية بنت عبد المطلب[1] قالت: كان حسان

---

* الأصفهاني: ابو الفرج - الاغاني ج ٤ ص ١٥.

١ - صفية بنت عبد المطلب: عمة النبي (ص) شاعرة باسلة اسلمت قبل الهجرة وهاجرت الى المدينة في يوم احد تروى لها قصة قتل يهودي جاء يتجسس على الحصن الذي كانت فيه مع النساء ومعهن حسان الشاعر الذي جبن عن قتال اليهودي نزلت في المعركة وبيدها رمح تضرب وجوه الناس ولما امر النبي (ص) الزبير ان ينحيها حتى لاترى اخاها حمزة وقد بقر الاعداء بطنه فزجرته واقبلت على اخيها. لها مراث رقيقة ماتت بالمدينة.

بن ثابت[1] معنا في حصن فارع[2] يوم الخندق ومعنا النساء والصبيان، فمر بنا رجل من يهود فجعل يطيف بالحصن، وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله (ص) وليس بيننا وبينهم، أحد يدفع عنا ورسول الله (ص) والمسلمون في نحور عدوهم لايستطيعون ان ينصرفوا الينا إذا أتانا آت فقلت: يا حسان إن هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن، واني والله ما آمنه ان يدل على عوراتنا من ورائنا من يهود وقد شغل عنا رسول الله (ص) واصحابه فانزل اليه فاقتله.

---

١ ـ حسان بن ثابت الانصاري: (٥٦٣ ـ ٦٧٤) شاعر مخضرم ولد ومات في المدينة دافع عن قومه الخزرج في الجاهلية واتصل بالغساسنة والمناذرة ومدحهم دافع عن النبي (ص) والمسلمين وهجا قريشا وشعراءها اعجب به النبي (ص) فاتخذه شاعره وعمي اخر حياته وهو من الهجائين ابدع في الفخر والهجاء والنقائص والمدح ويضعف في غيرها وله ديوان مطبوع.

٢ـ حصن فارع: حصن في المدينة / ويوم الخندق: وقعة مشهورة بين المسلمين والمشركين.

فقال: يغفر الله لك يا بنة عبد المطلب لقد عرفت ما انا بصاحب شجاعة!

قالت: فلما قال ذلك ولم أر عنده شيئاً احتجزت[1] ثم أخذت عمودا ونزلت اليه من الحصن فضربته بالعمود حتى قتلته فلما فرغت منه رجعت الى الحصن فقلت: يا حسان انزل اليه فاسلبه فانه لم يمنعني من سلبه الا انه رجل.

قال: مالي بسلبه من حاجة، يا بنت عبد المطلب!.

---

١ ـ احتجزت بالازار: شدته على وسطها.

قد أجزت! قد أجزت!*

قال الأصمعي للرشيد:

بلغني يا امير المؤمنين ان رجلاً من العرب طلق في يوم خمس نسوة.

قال: إنما يجوز ملك الرجل على أربع نسوة؛ فكيف طلق خمساً؟!

قال: كان لرجل أربع نسوة فدخل عليهن يوما فوجدهن متلاحيات[1] متنازعات ـ وكان شِنْطيراً[2] ـ فقال: الى متى هذا التنازع؟ ما اخال هذا الأمر الا من قبلك ـ يقول ذلك لامرأة منهن ـ اذهبي فأنت طالق!

---

* ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ج ٧ ص ١١٢.

١ ـ تلاحى القوم: تلاعنوا وتشاتموا وتلاوموا وتباغضوا وتنازعوا.

٢ ـ الشنطير: السيء الخلق.

فقالت له صاحبتها: عجلت عليها بالطلاق ولو أدبتها بغير ذلك لكنت حقيقاً!

فقال لها: وأنت أيضا طالق.

فقالت له الثالثة: قبحك الله! فوالله لقد كانتا اليك محسنتين وعليك مفضلتين!

فقال: وأنت أيتها المعددة أياديهما طالق أيضاً.

فقالت له الرابعة وكانت هلالية وفيها أناة شديدة: ضاق صدرك عن أن تؤدب نساءك الا بالطلاق!؟

فقال لها: وأنت طالق أيضا.

وكان ذلك بمسمع جارة له فأشرفت عليه وقد سمعت كلامه، فقالت: والله ما شهدت العرب عليك وعلى قومك بالضعف الا لما بلوه منكم ووجدوه فيكم أبيت إلّا طلاق نسائك في ساعة واحدة!

قال: وأنت ايضا ايتها المؤنبة المتكلفة طالق، إن أجاز زوجك.

فاجابه من داخل بيته: قد أجزت! قد أجزت.

وضاح وأم البنين*

يروى أن وضاح اليمن(١) نشأ هو وام البنين بنت عبد العزيز بن مروان بالمدينة صغيرين فأحبها وأحبته، وكان لايصبر عنها، حتى اذا شبت حجبت عنه، فطال بهما البلاء. فحج الوليد بن عبد الملك فبلغه جمال أم البنين وأربها فتزوجها ونقلها معه الى الشام فذهب عقل وضاح عليها، وجعل يذوب وينحل فلما طال عليه البلاء وصار الى الوسواس خرج الى مكة حاجا وقال: لعلي استعيذ بالله مما انا فيه وأدعو الله

---

* ابن قيم الجوزيه ـ اخبار النساء ص ١٥٦.

١ ـ وضاح اليمن: شاعر رقيق الغزل كان جميل الطلعة يتقنع في المواسم له اخبار مع حبيبته «روضة» اليمنية قدم مكة حاجا ايام الوليد بن عبد الملك فرأى ام البنين بنت عبد العزيز بن مروان، فتغزل بها فقتله الوليد توفي سنة ٧٠٨ م.

فلعله يرحمني. فلما قضى حجه شخص الى الشام فجعل يطوف بقصر الوليد بن عبد الملك في كل يوم لايجد حيلة حتى رأى في يوم من الأيام جارية صفراء خارجة من القصر تمشي فمشى معها ولم يزل بها حتى أنست به فقال لها: أتعرفين ام البنين بموضعي؟

فقالت: عن مولاتي تسأل؟

قال لها: هي ابنة عمي وانها لتسر بموضعي لو أخبرتها.

قالت: فأنا أخبرها.

فمضت الجارية فاخبرت ام البنين فقالت لها: ويلك أحيٌّ هو؟

قالت لها: نعم يا مولاتي.

قالت لها: ارجعي اليه وقولي له: كن مكانك حتى ياتيك رسولي، فاني لاأدع الاحتيال لك واحتالت له فادخلته في صندوق فمكث عندها حينا فاذا امنت اخرجته فقعد معها واذا خافت عين رقيب ادخلته في الصندوق.

وأهدي يوما للوليد جوهر فقال لبعض خدمه:

خذ هذا العقد وامض به الى ام البنين وقل لها: أهدي هذا إلى أمير المؤمنين فوجّه به اليك.

فدخل الخادم مفاجأة ووضاح معها قاعد فلمحه الخادم ولم تشعر ام البنين فبادر الى الصندوق فدخله. وأدى الخادم الرسالة وقال: هبي لي من هذا الجوهر حجراً واحداً.

فقالت له: لاام لك، فما تصنع بهذا؟!

فخرج وهو عليها حنق فجاء الوليد فأخبره الخبر ووصف له الصندوق الذي رآه دخله.

فقال له: كذبت لا أم لك؛ ثم نهض الوليد مسرعا فدخل اليها وهي في ذلك البيت وفيه صناديق كثيرة فجاء حتى جلس على ذلك الصندوق الذي وصف له الخادم فقال لها: يا أم البنين هبي لي صندوقا من صناديقك هذه.

قالت: أنا لك يا أمير المؤمنين وهي لك فخذ أيها شئت.

قال: ما أريد الا هذا الذي تحتي.

قالت له: يا أمير المؤمنين ان فيه شيئا من أمور النساء.

فقال : ما أريد غيره

قالت : فهو لك . .

قال : فأمر به فحمل ودعا بغلامين وأمرهما ان يحفرا حتى وصلا الى الماء، ثم وضع فمه في الصندوق وقال : يا صاحب الصندوق قد بلغنا عنك شيء فان كان حقا فقد دفنا خبرك وان كان كذبا فما أهون علينا انما دفنا صندوقا وامر بالصندوق فالقي في الحفيرة وامر بالخادم الذي عرفه فقذف معه ورد التراب عليهما.

قال : فكانت ام البنين لاترى الا في ذلك المكان تبكي الى ان وجدت ذات يوم مكبوبة على وجهها ميتة .

كيف تشمت الحرة بهتك سترها.*

كانت جليلة بنت مرة اخت جساس زوجا لكليب[1]

---

* ابن الاثير: عز الدين ـ الكامل في التاريخ ج ١ ص ٢١٦ / الاصفهاني : ابو الفرج ـ الاغاني ج ٤ ص ١٥١ / النويري ـ نهاية الارب ج ٥ ص ٢١٤ / الشيخ الخضري بك ـ مهذب الاغاني ج١ ص ٨٥.

١ ـ كليب بن ربيعة: كان قد عز وساد في ربيعة فبغى بغيا شديدا وكان هو الذي ينزلهم منازلهم ويرحلهم ولا ينزلون ولا يرحلون الا بامره فبلغ من عزه وبغيه انه اتخذ جرو كلب فكان اذا نزل منزلا به كلأ قذف ذلك الجرو فيه فيعوي فلا يرعى احد ذلك الكلأ الا باذنه وكان يفعل هذا بحياض الماء فلا يردها احد الا باذنه او من اذن بحرب فضرب به المثل في العزة فقيل اعز من كليب وائل. وكان يحمي الصيدويقول: صيد ناحية كذا وكذا في جواري فلا يصيد احد منه شيئا قتله جساس بن مرة.

إبن ربيعة فلما قتل جساس(١) كليبا اجتمع نساء الحي للماتم فقلن لاخت كليب: رحِّلي جليلة عن مأتمك؛ فإن قيامها فيه شماتة وعار علينا عند العرب.

فقالت لها: يا هذه اخرجي عن مأتمنا فانت اخت واترنا، وشقيقة قاتلنا.

فخرجت وهي تجر أعطافها فلقيها أبوها مرّة فقال لها: ما وراءك يا جليلة؟

فقالت: ثكل العدد وحزن الأبد، وفقد حليل وقتل أخ عن قليل وبين ذين غرس الاحقاد وتفتت الاكباد.

فقال لها: أو يكُفُّ ذلك كرم الصفح وإغلاء الديات؟

---

١ - جساس بن مرة: قاتل كليب بن ربيعة وكانت اخته جليلة تحت كليب فلما وقعت الحرب بين الفريقين عادت جليلة الى اهلها وهي حامل فولدت الهجرس الذي رباه جساس وزوجه ابنته ولما علم ان قاتل ابيه اخذ بوسط رمحه ثم قال: وفرسي واذنيه ورمحي ونصليه وسيفي وغراريه لايترك الرجل قاتل ابيه ثم طعن جساسا فقتله ثم لحق بقومه وكان جساس آخر قتيل في بكر في حرب دامت اربعين سنة.

فقالت جليلة: أمنية مخدوع ورب الكعبةأبـالبُدْن(٣) تدع لك تغلب دم ربها؟!

ثم بلغ جليلة أن أخت كليب قـالت حـين رحلت: رحلة المعتدي وفراق الشامت ويلٌ غداً لآل مرَّة من الكرَّة بعد الكرَّة!

فقالت: وكيف تشمت الحرَّة بهتك سترها وترقب وترها!

أسعد الله جدَّ أختي أفـلا قالت: نَفـرة الحياء وخوف الاعتداء ثم أنشأت تقول:

يـا بـنـة الأقـوام إن شئـت فـلا
تـعـجـلي بـالـلوم حـتى تـسـألي
فـإذا أنـت تـبـيـنـت الـذي
يـوجـب الـلوم فـلومـي واعـذلي
إن تكن أخـت امـرىء ليـمَت عـلى
شَـفَـقٍ مـنهـا عـليـه فـافـعـلي
جـلَّ عـنـدي فعـلُ جسـاس فيـا
حسـرتي عـمَّا انجلت او تـنجـلي

٣ ـ البُدن ج بدنة: تكون من البقر والابل.

فعل جساس على وجدي به
قاطع ظهري ومدنٍ أجلي
تحمل العين قذى العين كما
تحمل الأم أذى ما تفتلي(١)
يا قتيلاً قوض الدهر به
سقف بيتي جميعا من علِ
هدم البيت الذي استحدثته
وانثنى في هدم بيتي الاول
يا نسائي دونكن اليوم قد
خصني الدهر برزءٍ مُعضلِ
خصني قتل كليب بلظىً
من ورائي ولظى مستقبلي
ليس من يبكي ليومين كمن
إنما يبكي ليوم ينجلي
يشتفي المدرك بالثأر وفي
دركي ثأري ثكلُ المثكلِ(٢).

---

١ ـ تفتلي: تربي.
٢ ـ المثكل: من لازمها الحزن. يقال: « نساء الغزاة مثاكيل »

ليتـــه كـــان دمـــي فـاحتلبـــوا
بـــدلا مـــنـــه دمـــا مـــن أكحـــلي (٢)

إنـــي قـــاتـــلة مـــقـــتـــولـــة
ولعـــل الله ان يرتـــاح لي

---

١ ـ الأكحل: عرق في الذراع يفصد .

أروى بنت الحارث

قال العباس بن بكار:

حدثني عبد الله بن سليمان المدني وأبو بكر الهذلي أن أروى بنت الحارث[1] بن عبد المطلب دخلت على معاوية وهي عجوز فلما رآها قال: مرحبا بك وأهلا يا عمة! فكيف كنت بعدنا؟

---

* ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ج ١ ص ٣٠٣ / ابن ابي طاهر: ابو الفضل أحمد ـ بلاغات النساء ص ٦٧ / القلقشندي ـ صبح الاعشى ج ١ ص ٢٥٩.

١ ـ أروى بنت الحارث: قرشية صحابية اشتهرت بالفصاحة واقامت بالمدينة المنورة عاشت الى زمن معاوية وفدت عليه في دمشق فاخرته وعاتبته على خصومته لعلي (ع) اعترضها عمرو بن العاص فعيرته بنسبه وافحمت مروان. لها اقوال جريئة معروفة توفيت بالمدينة سنة ٦٣٦ م.

قالت: يا بن أخي؛ لقد كفرت بالنعمة واسأت لابن عمك الصحبة، وتسميت بغير إسمك وأخذت غير حقك، من غير بلاء كان منك ولا من آبائك، ولا سابقة في الاسلام، بعد ان كفرتم برسول الله (ص) فأتعس الله منكم الجدود، واضرع منكم الخدود، وردالحق الى اهله ولو كره المشركون.

وكانت كلمتنا هي العليا ونبينا (ص) هو المنصور على من ناوأه ولو كره المشركون! فكنا أهل بيت ـ أعظم الناس في الدين حظا ونصيبا وقدرا حتى قبض الله نبيه، فوليتم علينا من بعده، تحتجون بقرابتكم من رسول الله (ص) ونحن أقرب اليه منكم واولى بهذا الأمر فكنا فيكم بمنزلة بني اسرائيل في ال فرعون، وكان علي بن ابي طالب رحمه الله ـ بعد نبينا بمنزلة هارون من موسى، فغايتنا الجنة وغايتكم النار.

فقال لها عمرو بن العاص: كفيٍّ أيتها العجوز الضالة واقصري من قولك مغ ذهاب عقلك اذ لاتجوز شهادتك وحدك.

فقالت له: وأنت يا بن النابغة تتكلم! وأمك

كانت أشهر امرأة تغني بمكة وآخَذَهُنَّ لأجرة! أربع على ظلعك(١) واعن بشأن نفسك، فو الله ما انت من قريش في اللباب من حبسها، ولا كريم منصبها؛ ولقد ادَّعاك خمسة نفر من قريش كلهم يزعم انه ابوك؛ فسئلت أمك عنهم فقالت: كلهم أتاني فانظروا أشبههم به فالحقوه به، فغلب عليك شبه العاص بن وائل فلحقت به.

فقال مروان: كفي ايتها العجوز واقصري لما جئت له.

فقالت: وأنت ايضا يا بن الزرقاء تتكلم! ثم التفت الى معاوية فقالت: والله ما جرَّأ علي هؤلاء غيرك! وان أمك القائلة في قتل حمزة:

نحن جزيناكم بيوم بدرٍ
والحرب بعد الحرب ذات سعرِ (٢)

---

١ ـ اربع على ظلعك او عليك او على نفسك: اي توقف.
٢ ـ سعَّر النار: اشعلها. يقال « هو مسعر حرب » اي موقد نار الحرب كأنه الة لايقاد نارها.

ما كان عن عُتبة لي من صبرِ
أبي وعمي وأخي وصهري [1]
شفيت وحشيٌّ [2] غليل صدري
شفيت نفسي وقضيت نذري
فشكر وحشي علّى دهري
حتى ترمّ أعظمي في قبري

فقال معاوية لمروان وعمرو: ويلكما انتما عرضتماني لها وأسمعتماني ما أكره، ثم قال لها: يا عمة! اقصدي قصد حاجتك ودعي عنك أساطير النساء!

قالت: تأمرلي بالفي دينار والفي دينار، والفي دينار!

قال: ما تصنعين يا عمة بألفي دينار؟

قالت: أشتري بها عينا خرخارة [3]، في أرض خوارة تكون لولد الحارث بن عبد المطلب!

قال: نعم الموضع وضعتها! فما تصنعين بالفي دينار؟

---

١ ـ إشارة الى من قتل يوم بدر من بني امية.
٢ ـ وحشي: قاتل حمزة بن عبد المطلب يوم احد.
٣ ـ عين خرخارة: عين ماء جارية.

قالت: استعين بها على عسر المدينة وزيارة بيت الله الحرام!

قال: نعم الموضع وضعتها! فما تصنعين بالفي دينار؟

قالت: أزوج بها فتيان عبد المطلب من أكفائهم.

قال: نعم الموضع وضعتها! وهي لك!

ثم قال لها: والله لو كان عليّ ما أمر لك بها

قالت: صدقت! إن عليا ادى الامانة وعمل بأمر الله، وأخذ به وانت ضيعت أمانتك، وخنت الله في ماله، فأعطيت مال الله من لايستحقه، وقد فرض الله في كتابه الحقوق لأهلها وبينها، فلم تأخذ بها، ودعانا علي الى اخذ حقنا، الذي فرض الله لنا، فشغل بحربك عن وضع الأمور مواضعها، وما سألتك من مالك شيئا فتمن به، انما سألتك من حقنا، ولا نرى اخذ شيء غير حقنا! أتذكر عليا! فضّ الله فاك [1]ثم علا نحيبها فقالت:

---

١ ـ فض الله فاه: نثر اسنانه ومنه قولهم في الدعاء لمن اجاد في الكلام: « لافض فوك » اي لانثرت اسنانك.

ألا يـا عـين ويحـك أسـعـديـنـا
ألا وابـكـي أمـير الـمـؤمـنـيـنـا
رُزيـنـا [1]خـير مـن ركـب الـمـطايـا
وفـارسـهـا ومـن ركـب الـسـفـيـنـا
ومـن لـبس الـنـعـال او احـتـذاهـا
ومن قـرأ المثـاني والمثينـا[2]

فأمر لها بستة الاف دينار، وقال لها: يا عمة! أنفقي هذه فيما تحبين فإذا احتجت فاكتبي الى إبن أخيك يحسن صفدك[3] ومعونتك انشاء الله!

---

١ ـ الرزية: المصيبة. رزينا: إصبنا.
٢ ـ المثين: ما ولي السبع الطوال من القرآن وسميت بمئين لأنَّ كل سورة منها تزيد على مئة آية أو تقاربها. والمثاني: ما ولي المئين من السور التي هي دون المئة آية.
٣ ـ صفدك: عطاءك.

الدراهم خير من ذوي الحسب *

قال أبو عبيدة: كان بأرض الحجاز رجل له ابنة جميلة فهويها ابن عم لها، فبذل لها أربعة آلاف درهم فأبى أبوها أن يزوجها منه؛ وأجدبت البادية فدخل ابن عمها على عمه ذات يوم فشكا اليه ما يلقى.

فقال له: قد كنت بذلت لنا أربعة آلاف درهم فاعطنا إياها، فانت أحبُّ الينا لقرابتك.

قال له: أجِّلني شهرا فأجله ولم يكن مع الفتى الا ناقة، فركبها ومضى الى عبد الملك بن مروان فطلب الاذن فلم يؤذن فقال: إني رسول فلان عامل أمير المؤمنين على الحجاز فأدخل عليه من ساعته.

قال: معك كتاب من فلان؟

قال: لا!

---

* ابن قيم الجوزيه ـ اخبار النساء ص ٢٤٦.

قال: فرسالة؟

فانشأ يقول:

ماذا يقول أمير المؤمنين لمن
أدلى اليك بلا قربى ولا سَبَبِ
مُدلَّهٌ (١) عقله من حب جارية
موصوفة بكمال الحسن والأدب
خطبتها إذ رأيت الناس قد لهجوا
بذكرها، والهوى يدعو الى العطب
فقلت: لي حَسَبٌ زاكٍ ولي شرفُ
قالوا: الدراهم خير من ذوي الحسب
إنا نريد ألوفا منك أربعة
ولست أملك غير الحِسِّ والقتب (٢)
فامنن علي أمير المؤمنين، بها،
واجمع بها شمل هذا البائس العرب
فما وراءك بعد الله مُطَّلَبٌ
أنت الرجاء وأقصى غاية الطلب.

فضحك عبد الملك وأمر له بأربعة آلاف درهم وقال:

---

١ ـ المدله: الساهي القلب، الذاهب العقل من عشق ونحوه

٢ ـ الحس: الحيلة. والقتب: الرحل.

هذا صداق أهلك وزاده أربعة أخرى وقال له: أولم بهــذه وانفق عليها منهــا فقبضهـا ومضى فتــزوج بالجارية..

إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان *

يروى أن الشعبي قال:

قال لي شريح: يا شعبي عليك بنساء بني تميم، فاني رأيت لهن عقولا.

قال: وما رأيت من عقولهن ؟

قال: أقبلت من جنازة ظهرا فمررت بدورهم فاذا أنا بعجوز على باب دار والى جنبها جارية كأحسن ما رأيت من الجواري فعدلت فاستسقيت وما بي عطش؛

فقالت: اي الشراب أحبُّ اليك ؟

فقلت: ما تيسر!

قالت: ويحك يا جارية ائتيه بلبن فاني أظن الرجل غريباً

قلت: من هذه الجارية ؟

---

* ابن عبد ربه ـ العقد الفريدج ٧ ص ٨٦ .

قالت: هذه زينب ابنة جرير إحدى نساء بني حنظلة.
قلت: فارغة هي أم مشغولة؟
قالت: بل فارغة.
قلت زوجينيها.

قالت: إن كنت لها كفئا ـ ولم تقل كفوا وهي لغة تميم ـ

فمضيت الى المنزل فذهبت لأقيل فامتنعت مني القائلة فلما صليت الظهر أخذت بأيدي إخواني من القراء الاشراف: علقمة والاسود والمسيب وموسى بن عرفطة؛ ومضيت أريد عمها فاستقبل فقال: يا أبا أمية حاجتك؟

قلت: زينب بنت أخيك.
قال: ما بها رغبة عنك!

فانكحنينها فلما صارت في حبالي ندمت وقلت: أي شيء صنعت بنساء بني تميم؟ وذكرت غِلَظ قلوبهن فقلت: أطلقها! ثم قلت: لا ولكن أضمها الي فان رأيت ما أحب والا كان ذلك فلو رأيتني يا شعبي وقد أقبل نساؤهم يهدينها حتى أُدخلت علي فقلت: إن من السنة إذا دخلت المرأة على زوجها ان

يقوم فيصلي ركعتين فيسأل الله من خيرها ويعوذ به من شرها؛ فصليت وسلمت فاذا هي من خلفي تصلي بصلاتي، فلما قضيت صلاتي أتتني جواريها فأخذن ثيابي وألبسنني ملحفة قد صبغت في عكر العُصْفُر [١].

فلما خلا البيت دنوت منها فمددت يدي الى ناحيتها فقالت: على رسلك أبا أمية كما أنت ثم قالت:

الحمد لله أحمده وأستعينه وأصلي على محمدٍ وآله؛ إني امرأة غريبة لا علم لي باخلاقك فبين لي ما تحب وما تكره فأزدجر عنه... وقالت: إنه قد كان لك في قومك منكح وفي قومي مثل ذلك ولكن اذا قضى الله أمرا كان وقد ملكت فاصنع ما أمرك الله به: «**فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان**»[٢] أقول قولي واستغفر الله لي ولك.

قال: فأحوجتني والله يا شعبي الى الخطبة في ذلك الموضع فقلت:

---

١ ـ العُصْفُر: الذي يصبغ به، منه ريفي ومنه بري، وكلاهما بنت بارض العرب، وقد عصفرت الثوب فتعصفر

٢ ـ سورة البقرة اية ٢٢٩.

الحمد لله أحمده واستعينه وأصلي على النبي واله واسلم وبعد؛ فإنك قد قلت كلاما إن تثبتي عليه يكن ذلك حظك وإن تدعيه يكن حجة عليك؛ أحب كذا واكره كذا ونحن جميع فلا تفرقي وما رأيت من حسنة فانشريها وما رأيت من سيئة فاستريها.

وقالت ،شيئا لم أذكره: كيف محبتك لـزيارة الأهل؟

قلت: ما أحب أن يملني أصهاري.

قالت: من تحب من جيرانك ان يدخل دارك آذن لهم؛ ومن تكرهه أكرهه؟

قلت: بنو فلان قوم صالحون وبنو فلان قوم سوء.

قال: فبتُّ يا شعبي بأنعم ليلة ومكثت معي حولا لا ارى الا ما أحب فلما كان رأس الحول جئت من مجلس القضاء فاذا بعجوز تأمر وتنهي في الدار؛

فقلت: من هذه؟

قالوا: فلانة ختنتك (١)؛ فسرِّي عني ما كنت أجد فلما جلست أقبلت العجوز فقالت: السلام

---

١ ـ الختن: كل من كان من قبل المرأة مثل الاب والاخ.
والختنة: ام الزوجة.

عليك أبا أمية .

قلت : وعليك السلام من انت ؟

قالت : أنا فلانة ختنك.

قلت: قربك الله !

قالت:كيف رأيت زوجتك ؟

قلت:خير زوجة .

فقالت لي: أبا أمية إن المرأة لا تكون أسوأ حالا منها في حالتين: إذا ولدت غلاما او حظيت عند زوجها فان رابك ريب فعليك بالسوط، فوالله ما جاز الرجال في بيوتهم شرا من المرأة المدللة.

قلت: أما والله لقد أدَّبتِ فأحسنت الادب ورضتِ فأحسنت الرياضة.

قالت: تحب ان يزورك أختانك؟

قلت: متى شاءوا قال: فكانت تأتيني في رأس كل حول توصيني تلك الوصية.

فمكثت معي عشرين سنة لم أعتب عليها في شيء الا مرة واحدة وكنت لها ظالما: أخذ المؤذن في الاقامة بعدما صليت ركعتي الفجر وكنت امام الحي، فاذا بعقرب فاخذت الاناء فأكفأته عليها ثم قلت: يا

زينب؛ لاتتحركي حتى آتي فلو شهدتني يا شعبي وقد صليت ورجعت فاذا بالعقرب قد ضربتها فدعوت بالكُسْت (١) والملح فجعلت أمغث (٢) اصبغها وأقرأ عليها بالحمد والمعوذتين وكان لي جار من كندة يفزع امرأته ويضربها فقلت في ذلك:

رأيت رجالا يضربون نساءهم
فشلت يميني حين أضرب زينبا
أأضربها في غير ذنب أتت به
فما العدل مني ضرب من ليس مذنبا
فزينب شمس والنساء كواكب
إذا طلعت لم تبد منهن كوكبا

---

١ ـ الكُسْت: الذي يتبخر به؛ ويقال: هو القط الهندي: عقار معروف (لسان العرب مادة كست) .

٢ ـ المغث (مص) ج مغاث: المرس والدلك بالاصابع .

ليلى الأخيلية (١) *

روى بعضهم أنه بينما كان الحجاج في مجلس ومعه عنبسة بن سعيد اذ دخل الحاجب فقال: امرأة بالباب.

فقال له الحجاج: أدخلها، فدخلت فلما رآها الحجاج طأطأ رأسه حتى ظننت أن ذقنه قد أصاب

* الهاشمي: السيد أحمد ـ جواهر الادب ج ١ ص ٤٠٢ / ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ج ١ ص ٢٢٥ / المسعودي ـ مروج الذهب ج ٣ ص ١٧٩.

١ ـ ليلى الاخيلية: بنت عبد الله بن شداد من بني عامر بن صعصعة شاعرة فصيحة جميلة شهرت باخبارها مع توبة بن الحمير وفدت على عبد الملك بن مروان فسألها: ما راى توبة منك حتى عشقك؟ قالت: ما رأى الناس منك حتى جعلوك خليفة وكان الحجاج يكرمها ويقربها. اجود شعرها ما رثت به توبة. توفيت سنة ٧٠٠ م.

الارض. فجاءت حتى قعدت بين يديه فنظرت فاذا امرأة قد أسنت،حسنة الخلق ومعها جاريتان لها، واذا هي ليلى الأخيلية،فسألها الحجاج عن نسبها، فانتسبت له فقال لها: يا ليلى ما أتى بك؟

فقالت: إخلاف النجوم وقلة الغيوم، وكلب البرد وشدة الجهد،وكنت لنا بعد الله الرفد [١].

فقال لها: صفي لنا الفُجاج [٢].

فقالت: الفجاج مغبرة والأرض مقشعرّة، والمبرك [٣] معتل وذا العيال مختل، والهالك للقل والناس مسنتون [٤]، رحمة الله يرجون واصابتنا سنون مجحفة مبلطة، لم تدع لنا هُبَعا ولا ربعاً [٥] ولا عافطة

---

١ ـ الرفد: المعونة.
٢ ـ الفجاج: الطريق الواسع الواضح بين جبلين.
٣ ـ المبرك: موضع البروك يقال: «ليس لفلان مبرك جمل» اي ليس له شيء.
٤ ـ أسنت القوم: أصابهم الجدب والقحط.
٥ ـ الهُبَع: الفصيل الذي ينتج في الصيف والربع: الفصيل الذي ينتج في الربيع وهو اول النتاج واذا نتج في اخره فهو هبع يقال: «ما لهم هبع ولا ربع».

ولا نافطة [1]، أذهبت الاموال ومزقت الرجال وأهلكت العيال ثم قالت: إني قلت في الامير قولا

قال: هات!

فأنشأت تقول:

أحجاج لايفلل [2] سلاحك إغمال
سمنايا بكف الله حيث يراها
أحجاج لاتعطي العصاة مناهم
ولا الله يعطي للعصاة مناها
إذا هبط الحجاج أرضا مريضة
تتبع أقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العضال [3] الذي بها
غلام اذا هز القناة سقاها
سقاها فرواها بشرب سجالة
دماء رجال حيث مال حشاها

---

١ ـ النافطة: الماعزة.

٢ ـ الفلل: انثلام حد السيف. والفل: الكسر او الثلمة في حد السيف.

٣ ـ الداء العضال: المرض الشديد / الذي لادواء له.

فـما ولـد الأبـكـار والعـون مـثـله
بـبـحـر ولا ارض يجـف ثـراهـا

قال: فلما قالت هذا البيت قال الحجاج: قاتلها الله ما أصاب صفتي شاعر منذ ذخلت العراق غيرها؛ ثم التفت اليها فقال: حسبك.

قالت: إني قد قلت أكثر من هذا

قال: حسبك ويحك حسبك. ثم قال: يا غلام إذهب الى فلان فقل له اقطع لسانها

فذهب بها فقال له: يقول لك الأمير اقطع لسانها

قال: فأمر باحضار الحجام.

فالتفت اليه فقالت: ثكلتك أمك، اما سمعت ما قال؟إنما أمرك ان تقطع لساني بالصلة.

فبعث اليه يستثبته فاستشاط الحجاج غضبا، وهم بقطع لسانه وقال: اردده.

فلما دخلت عليه قالت: كاد (وأمانة الله) يقطع مقولي[1] ثم أنشأت تقول:

---

١ ـ المقول: اللسان.

حجاج أنت الذي ما فوقه أحد
إلا الخليفة والمستغفر الصمد
حجاج أنت شهاب الحرب ان لقحت
وانت للناس نور في الدجى يقد

ثم أقبل الحجاج على جلسائه فقال: أتدرون من هذه؟

قالوا: لاوالله ايها الأمير! انا لم نر قط أفصح لسانا ولا احسن محاورة ولا املح وجها ولا أرصن شعراً منها.

فقال: هذه ليلى الأخيلية التي مات توبة الخفاجي من حبها. ثم التفت اليها فقال: أنشدينا يا ليلى بعض ما قال فيك توبة.

قالت: نعم أيها الأمير هو الذي يقول:

وهل ليلى تبكيني اذا مت قبلها
وقام على قبري النساء النوائح
كما لو أصاب الموت ليلى بكيتها
وجادلها دمع من العين سافح
ولو ان ليلى الأخيلية سلمت
علي ودوني جندل وصفائح

لسلمت تسليم البشاشة أو زقا (١)
اليها صدى من جانب القبر صائح

ثم قال: سلي يا ليلى تعطي .

قالت: أعط فمثلك أعطى فأحسن.

قال: لك عشرون.

قالت : زد فمثلك زاد فأجمل.

قال: لك أربعون.

قالت: زد فمثلك زاد فأكمل.

قال: لك ثمانون.

قالت: زد فمثلك زاد فتمم .

قال: مائة واعلمي أنها غنم.

قالت معاذ الله ايها الامير أنت أجود جودا وأمجد مجدا وأروى زندا من أن تجعلها غنما.

قال: فما هي ويحك يا ليلى ؟!!

قالت مائة من الابل برعاتها فأمر بها.

---

١ ـ زقا الطائر: صاح .

همّة وعقل *

قال الحارث بن عوف يوما لخارجة بن سنان المري: أتراني اخطب الى أحد فيردني؟

فقال له: نعم!

قال: ومن ذاك؟

قال: أوس بن حارثة الطائي.

فقال الحارث لغلامه: ارحل بنا؛ ففعل وركبا حتى أتيا اوس بن حارثة [1] في بلاده، فوجداه في فناء منزله.

فلما رأى الحارث بن عوف قال: مرحبا بك يا حارث

---

* الاصفهاني: ابو الفرج ـ الاغاني ج ٩ ص ١٤٩.

١ ـ انظر ص ٦١.

قال: وبك.

قال: ما جاء بك ؟

قال: جئتك خاطبا.

قال: لست هناك !

فانصرف ولم يكلمه ودخل أوس على امرأته مغضبا ـ وكان من عبس ـ فقالت: من رجل وقف عليك فلم يطل ولم تكلمه؟

قال: ذاك سيد العرب الحارث بن عوف

قالت: فما بالك لم تستنزله ؟

قال: إنه استحمق.

قالت: وكيف ؟

قال: جاءني خاطبا !

قالت: أفتريد أن تزوج بناتك ؟

قال: نعم !

قالت: فإذاً لم تزوج سيد العرب فمن ؟!

قال: قد كان ذلك.

قالت: فتدارك ما كان منك.

قال: بماذا ؟

قالت: تلحقه فترده.

قال: وكيف وقد فرط مني ما فرط اليه ؟

قالت: تقول له: لقيتني مغضباً بأمر لم تقدم فيه قولا فلم يكن عندي فيه من الجواب الا ما سمعت، عد ولك عندي كل ما أحببت ، فإنه سيفعل ، فركب في اثرهما.

قال خارجة بن سنان: فو الله اني لاسير مع الحارث اذ حانت مني التفاتة فرأيت أوساً فاقبلت على الحارث ـ وما يكلمني غما ـ فقلت له: هذا أوس بن حارثة في أثرنا

قال: وما نصنع به؟ أمضِ.

فلما رآنا لانقف عليه صاح: يا حارث! أربع [1] عليَّ ساعة.

فوقفنا له فكلمنا بذلك الكلام، فرجع مسرورا

ودخل أوس منزله وقال لزوجته: ادعي لي فلانة ـ لأكبر بناته ـ فاتته فقال: يا بنية هذا الحارث بن عوف سيد من سادات العرب، قد جاءني طالباً خاطباً، وقد أردت ان أزوجك منه فما تقولين؟

---

١ ـ ربع: توقف وانتظر.

قالت: لاتفعل

قال: ولِمَ ؟!

قالت: لاني امرأة في وجهي ردَّةُ (١)، وفي خلقي بعض العُهَده (٢) ولست بابنة عمه فيرعى رحمي وليس بجارك في البلد فيستحي منك، ولا آمن ان يرى مني ما يكره فيطلقني فيكون علي في ذلك ما فيه.

قال: قومي بارك الله عليك ادعي لي فلانة ـ لابنته الوسطى ـ فدعتها ثم قال لها مثل قوله لأختها، فاجابته بمثل جوابها، وقالت: إني خرقاء (٣)، وليست بيدي صناعة ولا آمن ان يرى مني ما يكره فيطلقني فيكون علي في ذلك ما تعلم، وليس بابن عمي فيرعى حقي ولا جارك في بلدك فيستحييك.

١ ـ الردة: الحبسة في اللسان / شيء رد: رديء / يقال: « في وجهه رده »: القبح مع شيء من الجمال.

٢ ـ العهدة: الضمان والكفالة / الرجعة الى الشيء لاصلاحه / يقال: « لي في الامر عهدة » اي سأرجع اليه لاصلحه.

٣ ـ خرقاء: لم تحسن عملها. والخرقة: الحمق / سوء التصرف والجهل / ضعف الرأي.

قــال: قــومي، بــارك الله عليـك، ادعي لي بُهَيْسَة ـ صغرى بناته ـ فاتى بها فقال لها كما قال لهما.

فقالت: أنت وذاك

فقال لها: قد عرضت ذلك على اختيك فأبتاه، فقـالت ـ ولم يذكـر لها مقـالتيهما ـ لكني والله الجميلة وجهاً الصناع يداً الرفيعة خلقاً الحسيبـة أباً، فـان طلقني فلا اخلف الله عليه بخير.

فقال: بارك الله عليك.

ثم خرج الى الحارث فقال: زوجتك يا حارث بُهَيْسَة بنت أوس.

قال: قبلت.

فأمر أمها ان تهيئها وتصلح من شأنها ثم أمر ببيت فضرب له وانزله اياه فلما هيئت بعث بها اليه.

قال خارجة بن سنان: فلما ادخلت اليـه لبث هنيهة ثم خرج الي فقلت: أفرغت من شأنك؟

قال: لا والله!

قلت: وكيف ذاك؟

قال: لما دخلت اليها قالت: مَه! أعند أبي وأخوتي؟ هذا والله لايكون قال خارجة: ثم أمر بالرحلة فارتحلنا ورحلنا بها معنا، فسرنا ما شاء الله، ثم قال لي: تقدم، فتقدمت وعدل بها عن الطريق؛ فلما لبث ان لحق بي.

قلت أفرغت؟

قال: لا والله!

قلت: ولِمَ؟

قال: قالت لي: أكما يفعل بالأمة الجليبة او السبية الاخيذة لا والله حتى تنحر الجزر وتذبح الغنم وتدعو العرب وتعمل ما يعمل لمثلي!

قلت: والله إني لأرى همة وعقلا وارجو ان تكون المرأة منجبة ان شاء الله...

قال خارجة: فرحلنا حتى جئنا بلادنا فأحضر الابل والغنم ثم دخل عليها وخرج الي.

فقلت: أفرغت؟

قال: لا!

قلت: ولَمَ ؟

قال: دخلت عليها وقلت لها: قد أحضر من المال ما قد ترين.

فقالت: والله لقد ذكرت لي من الشرف مالاأراه فيك!

قلت: وكيف؟

قالت: أتفرغ للنساء والعرب تقتل بعضها بعضا؟!

قلت: فيكون ماذا؟

قالت: اخرج الى هؤلاء القوم فاصلح بينهم ثم ارجع الى اهلك فلن يفوتك ما تريد.

فقلت: والله اني لأرى همة وعقلا ولقد قالت قولا.

قال: فاخرج بنا، فخرجنا حتى اتينا القوم فمشينا فيما بينهم بالصلح فاصطلحوا على ان يحتسبوا القتلى فيؤخذ الفضل ممن هو عليه فحملنا عنهم الديات فكانت ثلاثة الاف بعير في ثلاث سنين فانصرفنا بأجمل الذكر..

دار ميّة الحجونية *

قال سهل بن أبي سهل التميمي عن ابيه:

حج معاوية فسأل عن امرأة من بني كنانة كانت تنزل بالحجون، يقال لها دار مية الحجونية وكانت سوداء كثيرة اللحم، فاخبر بسلامتها فبعث اليها فجيء بها، فقال: ما حالك يا بنت حام؟

فقالت: لست لحام إن عبتني؛ إنما انا امرأة من بني كنانة.

قال: صدقت! اتدرين لم بعثت اليك؟

قالت: لايعلم الغيب الا الله.

---

* ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ج ١ ص ٢٩٩ / ابن ابي طاهر: ابو الفضل احمد ـ بلاغات النساء ص ٦٧ / القلقشندي ـ صبح الاعشى ج ١ ص ٢٥٩ .

قال بعثت اليك لأسألك علام أحببت عليا وابغضتني؟! وواليتيه وعاديتني؟

قالت: أو تعفيني؟

قال: لا أعفيك..

قالت: أما اذا أبيت فاني أحببت عليا على عدله في الرعية وقسمه بالسوية وابغضتك على قتال من هو اولى منك بالامر وطلبتك ماليس لك بحق. وواليت عليا على ما عقد له رسول الله (ص) من الولاء وحبه المساكين وإعظامه لأهل الدين وعاديتك على سفكك الدماء، وجورك في القضاء وحكمك بالهوى.

قال: فلذلك انتفخ بطنك وعظم ثدياك وربت عجيزتك؟

قالت: يا هذا بهند والله كان يضرب المثل في ذلك لأبي.

قال معاوية: يا هذه اربعي فانا لم نقل الا خيرا؛ إنه اذا انتفخ بطن المرأة تمَّ خَلْقُ ولدها واذا عظم ثدياها تروّى رضيعها واذا عظمت عجيزتها رزن

مجلسها فرجعت وسكنت قال لها: يا هذه هل رأيت علياً؟

قالت: اي والله.

قال: فكيف رأيته؟

قالت: رأيته والله لم يفتنه الملك الذي فتنك ولم تشغله النعمة التي شغلتك.

قال: فهل سمعت كلامه؟

قالت: نعم والله فكان يجلو القلوب من العمى كما يجلو الزيت صدأ الطست.

قال: صدقت! فهل لك من حاجة؟

قالت: أو تفعل اذا سألتك؟

قال: نعم!

قالت: تعطيني مائة ناقة حمراء فيها فحلها وراعيها.

قال: تصنعين بها ماذا؟

قالت: أغذو بألبانها الصغار وأستحيي بها الكبار وأكتسب بها المكارم، وأصلح بها بين العشائر.

قال: فان أعطيك ذلك فهل أحل عندك محل علي بن ابي طالب؟

قالت: ماء ولا كصداء ومرعى ولا كالسعدان وفتى ولا كمالك يا سبحان الله أوَ دونه !

فأنشأ معاوية يقول:

إذا لم أعُد بالحلم مني عليكم
فمن ذا الذي بعدي يؤمل للحلم
خذيها هنيئا واذكري فعل ماجد
جزاك على حرب العداوة بالسلم

ثم قال: اما والله لو كان علي حيا ما اعطاك منها شيئا.

قالت: لاوالله ولا وبرة واحدة من مال المسلمين.

قلة ذات اليد *

كان اسحاق بن سليمان بن علي شاباً ظريفاً محباً للشعر. فخرج ذات يوم وأبوه يلي البصرة لأبي جعفر المنصور متنزها الى ناحية البادية. فلقي أعرابياً فصيحاً إلا انه شاحب اللون مصفراً ظاهر النحول فاستنشده فمضى عنه فقال له: ما بك؟ فوالله انك لفصيح!

قال له: أما ترى الجبلين؟

قال: قلت: بلى

قال: في طلابهما ما شغلني عن إنشادك

قلت: وما ذاك؟

قال: إبنة عم لي قد تيمتني واذهلت عقلي وتالله انه يأتي علي لا أدري أفي السماء أنا أم في الارض.

* ابن قيم الجوزيه ـ اخبار النساء ص ٢٤٧ .

قال: قلت: وما يمنعك منه؟

قال: قلُّ ذات يدي.

قلت: وكم مهرها؟

قال: خمسون ناقة

قال: قلت: فيزوجونك اذا دفعتها؟

قال: نعم!

فقلت له: انشدني مما قلت فيها. فانشدني:

سعى العلمُ الفرد الذي في طلاله [1]
غـزالان مـكـحـولان يـرتـعـيـان
أرَعتهـا صـيـدا فـلـم اسـتـطـعـهـا
وخَـبْـلاً [2] فـفـاتـاني وقـد خـبـلاني

قال: فقلت له: يا أعرابي لقد قتلتني بقتلك فنُفيت

---

١ ـ الطلل: ما شخَصَ من آثار الديار، والطلالة كالطلل.
يقال: حيا الله طللك وطلالك: اي شخصك.ويقال:
فرس حسن الطلالة: وهو ما ارتفع من خلقه.

٢ ـ الخبل: الفساد / فساد الاعضاء حتى لايدري كيف يمشي
فهو متخبل خبيل مختبل.

من العباس ان لم اقم بأمرك. فرجع الى البصرة فاخذ جماعة من أهله وما احتاج اليه وحمل معه الأعرابي وسار الى الجارية فخطبها الى الفتى فزوجه، وساق اليه خمسين ناقة وأقام عندهم ثلاثة أيام نحر فيها ثلاثين جزورا، ووهب للأعرابي وللجارية مثل ذلك وانصرف الى البصرة

أنت أسد فاطلب لبؤة *

قيل أن جارية لأمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد ذات ظرف وجمال مرت برجل من بني سعد وكان شجاعاً فارساً فلما رآها قال: طوبى لمن كانت له امرأة مثلك! ثم إنه أتبعها رسولاً يسألها: ألها زوج؟ ويذكره لها.

فقالت للرسول: ما حرفته؟

فأبلغه الرسول قولها فقال: ارجع اليها فقل لها:

وسائلة ما حرفتي؟ قلت: حرفتي
مقارعة الابطال في كل شارق
اذا عرضت لي الخيل يوما رايتني
أمام رعيل الخيل أحمي حقائقي

---

* ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ج ٧ ص ٩٥.

وأصبـــر نفسي حــين لاحــر صــابــر
عــلى ألم البيض الــرقــاق الــبــوارق

فأنشدها الرسول ما قال، فقالت له: ارجع اليه وقل له: أنت أسد فاطلب لنفسك لبؤة، فلست من نسائك. وأنشدت هذه الأبيات:

الا إنمــا أبغــي جــوادا بمــالــه
كــريمــا محــيــاه قــليــل الــصــدائق
فــتى همه مُذ كــان خــودٌ (١) كــريمــة
يعــانقها بــالليــل فــوق النمــارق (٢)
ويشــربهــا صرفــاً كميتــاً مُــدامــة (٣)
نداماه فيها كل خرق(٤) موافق.

---

١ ـ الخُود: المرأة الشابة.
٢ ـ النُّمرق والنُّمرقة والنِّمرقة: الوسادة وربما سمو الطنفسة التي فوق الرحل نمرقة والجمع نمارق. وفي التنزيل العزيز: «ونمارق مصفوفة» هي الوسائد.
٣ ـ الكميت من الخيل: ما كان لونه بين الأسود والاحمر / من اسماء الخمر لما فيها من سواد وحمرة وهي المقصودة هنا
٤ ـ الخرق: الكريم السخي.

صخر وليلى *

حكى المدايني[1]: ان رجلا من بني عقيل كان يسمى صخرا وكانت له ابنة عم تدعى ليلى فكان بينهما حب مبرح، ولم يكن احدهما يصبر عن الاخر ساعة واحدة وكان لهما مكان يجتمعان فيه للحديث في كل ليلة ثم ان ابا صخر زوج صخرا لامرأة من الأزد وصخر لذلك كاره فلما بلغ ليلى الخبر قطعته فمرض مرضا شديدا فكان اهله يقولون سحرته ليلى، لما كانوا يرونه يصنع بنفسه.

وكانت ليلى أشد وجداً به وحباً لـه. فأرسلت

---

* ابن الجوزيه ـ اخبار النساء ص ٢٠٤ .

١ ـ علي المدائني: (٧٥٢ ـ ٨٤٠ م) نسبة الى المدائن مؤرخ وأديب مؤلفاته العديدة من أهم مراجع تاريخ اسيا الوسطى على ايام الفتوحات عنه أخذ الطبري والبلاذري.

جاريتها اليه وقالت لها: اذهبي الى مكاننا وانظري هل تري صخرا، فاذا رايته فقولي له:

تـعـسـاً لمـن بـغـير ذنـب يـصـرم
قـد كنت يـا صخـر، زمـانـاً تـزعم
إنـك مـشـغـوف بـنـا مـقـيـم
حتى بـدا منـك لـنـا المجمجم(1)

قال: فأتته الجارية فأبلغته قولها، ووجدته كالشنّ البالي وجداً وحزناً، فقال: قولي لها:

فهمتُ الـذي غيـرت، والله شـاهـد
لما كان عن رايي ولا كـان عن أمري
فـان كنت قـد سُمِّيت صخـرا فـانني
لأضعف عن حمـل القليـل من الهجـر
ولـست ورب البيـت أبغـي سـواكـم
حبيبـا ولـو عشنـا الى ملتقى الحشـر

فقالت له الجارية: يا صخر إن كنت كارها لتزويج ابيك لك فاجعل أمر امرأتك بيدي لتعلم ليلى أنك لغيرها قال. ولعهدها راع. وانك مكره.

---

١ ـ المجمجم: المخفي.

قال: قد فعلت.

قالت: فهي طالق منك ثلاثا وأخبرت ليلى فأظهرت من ذلك جزعا وتراجعا الى ما كانا عليه من اللقاء والجارية تختلف بينهما ولم يظهر صخر طلاق امرأته حتى قال له أبوه: يا صخر ألا تبتني بأهلك؟

قال: وكيف وقد بانت مني في يمين حلفت بها

فأعلم أبوه أهل المرأة فقالت تهجو ليلى:

ألا بلغا عني عقيلا رسالة
فما لعقيل من حياء ولا فضل
نساؤكم شر النساء وانتم
كذلك إن الفرع يجري على الاصل
اما فيكم حر يغار بأخته؟
وما خير حر لايغار على الأهل!

قال: وهجتها ليلى حتى شاع خبرها وسعت الجارية الى أهل صخر وأهل ليلى وما هما عليه وأنهما يُخاف عليهما من لؤم الفعل ولم تزل حتى جمعت بينهما وتزوجا.

نذر ويمين *

يروى ان الحسن بن علي بن أبي طالب (ع) لما حضرته الوفاة جزع وجعل يقول: اني لأجد كـرباً ليس إلا هو كرب الموت.

فقال له بعض أهله: ما هذا الجزع؟! تقدم على رسول الله (ص) وهو جـدك وعلى عـلي والحسن والحسين صلوات الله عليهم وهم آباؤك!

فقال: لعمري ان الأمر لكذلك ولكن كأني بعبد الله بن عمر بن عثمان حـين أموت وقـد جاء في مضرجتين(١) أو ممصرتين وهو يرجل جمته يقول انا من بني عبد مناف جئت لاشهد ابن عمي وما به إلا أن يخطب فاطمة بنت الحسين فاذا جاء فلا يدخل علي.

---

* الأصفهاني: أبو الفرج - الاغاني ج ١٨ ص ٢٠٤.

١ - ضرج الثوب: صبغه بالحمرة ولطخه فيكون دون المشبع وفوق المورد وتضرجت المرأة: تبرجت.

فصاحت فاطمة: اتسمع؟

قال: نعم!

قالت: اعتقت كل مملوك لي إن انا تزوجت بعدك أحداً أبداً فسكت الحسن وما تنفس ولا تحرك حتى قضى.

فلما ارتفع الصياح أقبل عبد الله على الصفة التي ذكرها الحسن فقال بعض القوم: ندخله، وقال بعضهم: لايدخل، وقال قوم: لايضر دخوله، فدخل وفاطمة تصك[1] وجهها فأرسل اليها وصيفاً كان معه فجاء يتخطى الناس حتى دنا منها فقال لها: يقول لك مولاي: ابقي على وجهك فان لنا فيه اربا

فارسلت يدها في كمها واختمرت وعرف ذلك منها فما لطمت وجهها حتى دفن، فلما انقضت عدَّتها خطبها فقالت: فكيف لي بنذري ويميني؟

فقال: نخلف عليك بكل عبد عبدين وبكل شيء شيئين ففعل وتزوجته.

---

١ ـ صكه: ضربه شديدا او لطمه.

العاشق المظلوم *

كان فتى من أهل الكوفة عاشقاً لجارية وكان أهلها قد أحسوا به فتوعدوه ورصدوه فلم يقدر على الوصول اليها فواعدها في ليلة مظلمة ان تسير اليه واق فتسور[1] عليها حائطاً فعلم به أهلها فاخذوه وأتوا به خالد بن عبد الله القسري[2] وقالوا له: إنه لص تسور علينا من الحائط.

فسأله خالد عن ذلك. فكره ان يجحد السرقة فيفضح الجارية فقال: أسارق أنت؟

قال: نعم أصلح الله الامير.

---

* ابن قيم الجوزيه ـ اخبار النساء ص ٢٢٠.

١ ـ تسور الحائط: صعد عليه.

٢ ـ انظر ص ٨٤.

فامر بقطع يمينه وكان للجارية ابن عم من أهل الفضل قد اطلع على بعض شأنه فأخذ رقعة وكتب فيها هذه الابيات:

أخالد قد، والله أوطئت عشوة[1]
وما العاشق المظلوم فينا بسارق
أقرَّ بما لم يجن عمدا لأنه
رأى القطع خيرا من فضيحة عاشق
ولولا الذي قد خفت من قطع كفه
لألفيت في أمر الهوى غير ناطق
اذا مدت الغايات في السبق للعلى
فانت ابن عبد الله أول سابق

ثم حذف الرقعة فوقعت في حجر خالد فقرأها ثم امر بالفتى الى السجن، وصرف القوم فلما خلا مجلسه دعا به فسأله عن قصته فعرفه فبعث الى أبي الجارية فقال: قد عرفت قصة هذا الفتى فما يمنعك من تزويجه؟

---

١ ـ العُشوة والعِشوة: ركوب الامر على غير بيان. يقال: « اوطأه عشوة » اي امرا ملتبسا وذلك اذا اخبره بما اوقعه به في حيرة او بلية ·

قال: خوف العار.

قال: لاعار عليك في ذلك والعار ان لاتزوجه فتكشف أمره! فسأله ان يزوجه ففعل فدفع اليه عن الفتى خمسة الاف درهم وامر بتعجيل إهدائها اليه.

دونك فاختاري *

ذكروا ان هند بنت عتبة بن ربيعة قالت لابيها: لاتزوجني من احد حتى تعرض علي امره وتبين لي خصاله. فخطبها سهيل بن عمرو وابو سفيان بن حرب. فدخل عليها أبوها وهو يقول:

أتـاك سهيـل وابـن حـرب وفيهـما
رضـا لـك يـا هنـد الهنـود ومقنـع
ومـا منهمـا الا يعـاش بـفـضـلـه
ومـا مـنـهـما الا يـضـر ويـنـفـع
ومـا مـنـهـما الا كـريـم مـرزأ
ومـا منهـما الا اغـرّ سَـمَـيْـدَع[1]

* ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ج ٧ ص ٨١.
١ ـ السميدع: السيد الكريم / الشريف الشجاع.

فـدونـك فـاختـاري فـانت بصيـرة
ولا تخـدعـي ان المـخـادع يخـدع

قالت: يا ابتي والله ما اصنع بهذا، ولكن فسر لي أمرهما وبين لي خصالهما، حتى اختار لنفسي أشدهما موافقة لي.

فبدأ بذكر سهيل بن عمرو فقال: أما أحدهما ففي ثروة واسعة من العيش انتابعتيه تابعك وان ملت عنه حط اليك، تحكمين عليه في أهله وماله، واما الاخر فموسع عليه منظور اليه، في الحسب الحسيب والرأي الأريب، مِدْرَهُ أرومته [1] وعز عشيرته، شديد الغيرة كثير الظِّهرة [2] لاينام على ضعة، ولا يرفع عصاه عن اهله.

فقالت: يا أبت الاول سيد مضياع للحرة، فما عَسَت ان تلين بعد إبائها وتضيع تحت جناحه، إذا تابعها بعلها فأشرت، وخافها اهلها فأمنت فساء عند ذلك حالها، وقبح عند ذلك دلالها، فان

---

١ ـ المدرة: السيد وزعيم القوم المتكلم عنهم. الارومة: الاصل / الحسب: « هو شريف الارومة ».
٢ ـ الظهرة: العون.

جاءت بولد أحمقت، وإن انجبت فعن خطأ ما أنجبت،
فاطو ذكر هذاعني، ولا تسمه عليَّ بعد.

واما الاخر فبعل الفتاة الخريدة[1] الحرة العفيفة
واني للتي لا أريب[2] له عشيرة فتعيره، ولا تصيِّره
بذعرفتضيره، واني لاخلاق مثل هذا لموافقة، فزوجنيه.

فزوجها من أبي سفيان.

---

١ ـ خردت الجارية: البكر لم تمس قط / الحيية الطويلة السكوت الخافضة الصوت. والخريدة: اللؤلؤة لم تثقب.
٢ ـ أرابه: اقلقه وازعجه.

الوصية أجدى من العقل *

وصية بعض نساء العرب الى ابنها وقد اراد السفر:

قال أبان بن تغلب ـ وكان عابداً من عباد أهل البصرة: شهدت أعرابية وهي توصي ولداً لها يريد سفرا وهي تقول له:

أي بني: إجلس أمنحك وصيتي وبالله توفيقك. فان الوصية أجدى(1) عليك من كثير عقلك.

قال أبان: فوقفت مستمعاً لكلامها مستحسناً لوصيتها فاذا هي تقول:

أي بني: إياك والنميمة فانها تزرع الضغينة

* الهاشمي: السيد احمد ـ جواهر الادب ج ١ ص ١٨٤.
١ ـ أجدى: انفع.

وتفرق بين المحبين، وإياك والتعرض للعيوب فتتخذ غرضا[١] وخليق الا يثبت الغرض على كثرة السهام، وقلما اعتورت[٢] السهام غرضا الا كلمته[٣]، حتى يهي[٤] ما اشتد من قوته.

واياك والجود بدينك والبخل بمالك، واذا هززت فاهزز كريما، يلن لهزتك ولا تهزز اللئيم فانه صخرة لاينفجر ماؤ ها.

ومثل لنفسك مثال ما استحسنت من غيرك فاعمل به، وما استقبحت من غيرك فاجتنبه، فإن المرء لايرى عيب نفسه.

ومن كانت مودته بشره، وخالف ذلك منه فعله، كان صديقه منه، على مثل الريح في تصرفها، والغدر اقبح ما تعامل به الناس بينهم، ومن جمع الحلم والسخاء فقد أجاد الحلة ريطتها وسربالها[٥].

١ ـ غرضا: هدفا .
٢ ـ اعتورت: تداولت .
٣ ـ كلمته: جرحته .
٤ ـ يهي: يضعف .
٥ ـ الريطة: الملاءة اذا كانت قطعة واحدة ونسجاً واحداً / كل ثوب يشبه الملحفة. السربال: القميص او كل ما يلبس.

مصادر الكتاب

١ - إبن عبد ربه - العقد الفريد
٢ - إبن قيم الجوزية - أخبار النساء
٣ - إبن أبي طاهر: أبو الفضل أحمد - بلاغات النساء
٤ - إبن الاثير: عز الدين - الكامل في التاريخ
٥ - إبن ابي طلحة: أبو سالم محمد - العقد الفريد للملك السعيد
٦ - ابن قتيبة - الشعر والشعراء.
٧ - الاصفهاني: ابو الفرج - الأغاني.
٨ - الابشيهي - المستطرف في كل فن مستظرف.
٩ - البغدادي - خزانة الادب
١٠ - الحموي: إبن حجة - ثمرات الاوراق
١١ - الشيخ الخضري بك - مهذب الاغاني
١٢ - العاملي: بهاء الدين محمد حسين - أسرار البلاغة
١٣ - القالي: أبو علي - ذيل الامالي
١٤ - القلقشندي - صبح الاعشى

١٥ ـ المسعودي ـ مروج الذهب
١٦ ـ المصري : إبن نباتة ـ سرح العيون
١٧ ـ الميداني ـ مجمع الامثال
١٨ ـ النويري ـ نهاية الأرب
١٩ ـ الهاشمي : السيد احمد ـ جواهر الادب

انتهى الكتاب

الكتاب القادم
حمية العرب

حمية العرب

سلسلة أخبار العرب

حمية العرب

تأليف
حسن مغنيّه

مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر

مؤسسة عز الدين
للطباعة والنشر

هاتف: ٢٧٣٦٣٦-٢٧٥٥٣٢-٢٧٥٥٦٣-٢٧٥٨٦٧-ص.ب: ٥١٢٥/١٣ بيروت - لبنان

المحتويات

الموضوع	الصفحة
١ ـ المحتويات	٥
٢ ـ كلمة التمهيد	٧
٣ ـ الخصال السبع	١٦
٤ ـ هـديـة لـلنـسـاء	١٩
٥ ـ محاسن ومساوىء	٢٢
٦ ـ ليلى والمجنون	٢٩
٧ ـ لا خير في الحياة على الذل	٣٥
٨ ـ حمدونة بنت عيسى	٤٩
٩ ـ زوج من عود خير من قعود	٥٦
١٠ ـ الموت خير من الذل	٦٢
١١ ـ أحمى من مجير الظعن	٦٨
١٢ ـ إنَّما الذلفاء ياقوتة	٧٢
١٣ ـ تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها	٨٢
١٤ ـ إنه لكاذب	٨٦
١٥ ـ وأد البنات	٩٠
١٦ ـ معجم صفات المرأة	٩٣

الموضوع الصفحة

كلمة التمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم

وله الحمد والمنة

عندما نتكلم عن حمية العرب لابد لنا من البحث في شؤون المرأة وشجونها، لأنها أساس موضوع الكلام ومحور البناء في هذا الكتاب.

فالمرأة مخلوقة رفيعة الشأن، لها من سموّ المقام وعلوّ المكانة قدر عظيم، ولها من الحقوق ما يضمن الشرف والكرامة، وعليها من الواجبات، ما يصون النفس والزوج والأسرة والمجتمع. وقد شدَّد القرآن الكريم في التأكيد على صيانة حقوق المرأة، كما شدَّد بالتأكيد أيضاً على حصانتها بالالتزام بواجباتها خشية وقوع الريب وظهور الفساد وانحطاط الاخلاق. وقد أعلن عز وجل في كتابه المجيد، بأوضح بيان

واوثق برهان، ما للمرأة من حقوق وما عليها من التزامات؛ ولايسعنا الاحاطة بكل ماورد ـ وهو كثير ـ حيث يضيق المقام فنكتفي بالاشارة الى بعض الآيات والأحاديث والأخبار التي تتصل بقريب او بعيد بموضوعنا.

ففي التنزيل العزيز: ﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ﴾[1].

لقد خاطب الله سبحانه رسوله بهذه الآية الكريمة أن يسترن هؤلاء موضع الجيب بالجلباب، وهو الملاءة التي تشتمل بها المرأة عن الحسن، أو مقنعة المرأة حيث يغطين جباههن ورؤوسهن اذا خرجن لحاجة، أو الثياب والقميص والخمار وما تستتر به المرأة.

وقال تعالى: ﴿ واذا الموؤدة سئلت. بأي ذنب قتلت ﴾[2].

لقد كان من هوان الانسانية في الجاهلية، أن انتشرت عادة وأد البنات، حيث كانت المرأة في الجاهلية، إذا حان وقت ولادتها، حفرت حفرة وقعدت على رأسها، فان ولدت

---

١ ـ سورة الأحزاب آية ٥٩.
٢ ـ سورة التكوير آية ٨ و ٩.

بنتاً رمت بها في الحفرة، وان ولدت غلاماً حبسته. تسأل هذه الجارية فيقال لها: بأي ذنبٍ قتلت؟ وباية عقلية وحشية، منافية لفطرة الانسان وسنة الحياة، ارتكبت بحقك هذه الجريمة الكبرى. ومعنى السؤال هنا توبيخ القائل. لأنها سوف تقول: بغير ذنب. أو إذا طولب قاتلها بالحجة في قتلها، وسئل عن سبب قتلها فكأنه قيل: والموؤدة يسأل قاتلها: بأي ذنب قتلت هذه؟ وعلى هذا يكون القتلة هنا هم المسؤولين على الحقيقة لاالمقتولة. وانما المقتولة مسؤول عنها. يالها من وحشية وقساوة هائلة يبررها شناعات جاهلية موروثة، هو خوف العار وخشية الفقر والاملاق.

وفي التنزيل العزيز: ﴿ واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف أو سرِّحوهن بمعروف ولاتمسكوهن ضراراً ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولاتتخذوا آيات الله هزواً.... ﴾(1)

وهذا خطاب للأزواج يعني اذا قاربن انقضاء العدة بما يتعارفه الناس بينهم، وبما تقبله النفوس ولاتنكره العقول. فالمعروف يراد به الإمساك على الوجه الذي أباحه الله من

---

1 ـ سورة البقرة آية ٢٣١.

القيام بما يجب لها من النفقة وحسن العشرة وغير ذلك؟ أو اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فيكن أملك بأنفسهن (ولاتمسكوهن ضراراً) لاترجعوهن لالرغبة فيهن بل لطلب الاضرار بهن لتظلموهن؟ ومن يفعل ذلك فقد أضر بنفسه وعرضها لعذاب الله ولاتستخفوا بأوامر الله، وفروضه ونواهيه.

وقال تعالى: ﴿ واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم أزكى لكم وأطهر والله يعلم وأنتم لاتعلمون ﴾[1] يعني ذلك أن النساء اذا انقضت عدتهن لايجوز منعهن عن التزوج فيبقين لاممسكات إمساك الأزواج، ولا مخليات تخلية الطلاق، أو تطولوا العدة عليهن.

وقال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لايحل لكم ان ترثوا النساء كَرهاً ولاتعضلوهن لتذهبوا ببعض ما أتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبيّنة وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيرا ﴾[2].

١ ـ سورة البقرة آية ٢٣٢.
٢ ـ سورة النساء آية ١٩.

كان أهل الجاهلية اذا مات الرجل، جاء ابنه من غيرها، أو وليه فورث امرأته كما يرث ماله، وألقى عليها ثوباً، فان شاء تزوجها بالصداق الأول، وإن شاء زوَّجها غيره وأخذ صداقها، فنهوا عن ذلك.

عن ابن عباس: أن الرجل في الجاهلية تكون تحته امرأة يكره صحبتها، ولها عليه مهر فيطول عليه وعليها ويضارها لتفتدي بالمهر فنهوا عن ذلك.

وعن الامام الباقر(ع): ان الرجل في الجاهلية كان يحبس المرأة عنده لاحاجة له إليها وينتظر موتها حتى يرثها.

فنهى الله عن عادات أهل الجاهلية وعن الاستنان بسنتهم، فطلب الى المؤمنين ان يكفوا عن حبس النساء على كره منهن طمعاً في ميراثهن وأن ليس لهم أن يسيئوا صحبتهن ليفتدين بمالهن، أو بما ساقوا إليهن من مهورهن، أو ليمتن فيرثوهن.

وكان الرجل في قريش ينكح المرأة الشريفة، فإذا لم توافقه فارقها على انه لا تزوج إلا باذنه ويشهد عليها بذلك ويكتب كتاباً. فإذا خطبها خاطب، فإن أرضته أذن لها، وإن لم تعطه شيئاً عضلها إلا أن يأتين بفاحشة[1] ظاهرة،

١ ـ الفاحشة: الزنا أو النشوز.

وعاشروهن بالمعروف ، وهي المصاحبة بما أمركم الله به من اداء حقوقهن ، التي هي النصفة في القسم والنفقة ، والاجمال في القول والفعل، وان يمتنع عن ضربها ، ولا يسيء القول فيها ويكون منبسط الوجه معها ، وإذا كرهتم صحبتهن وإمساكهن ، فعسى أن يرزقكم الله ولداً ، أو عطف لكم عليهن بعد الكراهة ، وذلك كي لا يكون تعجيل في الطلاق، وحث للأزواج على حسن الصبر فيما يكرهون من الأزواج ، وترغيبهم في إمساكهن مع كراهة صحبتهن ، إذا لم يخالفوا في ذلك من ضرر على النفس أو الدين أو المال.

وقد روي عن الامام الباقر (ع) انه قال: جاءت امرأة الى رسول الله (ص) فقالت: يارسول الله، ما حقُّ الزوج على المرأة؟

فقال: أن تطيعه ولاتعصيه، ولاتتصدق من بيتها بشيء إلا باذنه، ولا تصوم تطوعاً إلا باذنه، ولاتمنعه نفسها وإن كانت على ظهر قتب[1] ولاتخرج من بيتها إلا باذنه، فان

---

١ ـ القتب : إكاف البعير. وقيل هو الإكاف الصغير الذي على قدر سنام البعير. ومعناه الحث للنساء على مطاوعة ازواجهن، وانه لا يسعهن الامتناع في هذه الحال ، فكيف في غيرها.

خرجت بغير إذنه لعنتها مـلائكة السـماء وملائكـة الأرض وملائكة الغضب وملائكة الرحمة، حتى ترجع الى بيتها.

فقالت: يارسول الله من أعظم الناس حقاً على المرأة؟

قال: زوجها.

قالت: فما لي من الحق عليه مثل ماله من الحق علي؟

قال: لاولا من كل مائة واحدة.

فقالت: والذي بعثك بالحق لايملك رقبتي رجل ابداً.

وقال عليه السلام: لو كنت آمراً أحداً ان يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها.

وقالت خولة ـ إحدى الصحابيات ـ لـرسول الله(ص): إني أتعطر لزوجي، كأني عروس أزف اليه، فآتيه في لحافه فيولي عني، ثم آتيه من قبل وجهه فيولي عني. فأراه قـد أبغضني يارسول الله. فماذا تأمرني؟

قال: اتقي الله وأطيعي زوجك.

قالت: فما حقي عليه؟

قال: حقك عليه ان يطعمك مما يأكل، ويكسوك مما يلبس، ولايلطم ولايصيح في وجهك.

قالت: فما حقه علي؟

قال: حقه عليك ان لاتخرجي من بيته إلا بإذنه، ولاتصومي تطوعاً إلا بإذنه، ولاتتصدقي من بيته إلا باذنه، وإن دعاك على ظهر قتب تجيبيه.

وفي الخبر عن علي (ع) أن قال: «يظهر في آخر الزمان واقتراب القيامة، وهو شر الأزمنة، نسوة متبرجات، كاشفات، عاريات من الدين، داخلات في الفتن، مائلات الى الشهوات مسرعات الى اللذات، مستحلات للمحرمات، في جهنم خالدات.

وقد قيل: لذة المرأة على قدر شهوتها، وغيرتها على قدر لذتها.

واستدل بافراط غيرتها على إفراط حرصها.

والواقع ان الرجل أشد غيرة على المرأة من المرأة على الرجل، لما يبدو من تعدد الزوجات والجواري لدى الرجل.

وكذلك غيرة فحول الحيوان على أناثها، لأن فحل الحيوان يقاتل دونها كل فحل يعرض لها حتى تصير الى الغالب.

وليس كتاب «حمية العرب» موسوعة علمية، ولانظريات

فلسفية بل مجموعة لوحات مختارة ترسم ما كان للعرب من غيرة شديدة على الحريم، وما كان للشرف العربي من مقام كريم، وما كان لوفرة العرض من منزلة رفيعة.

بالغ العربي في الخوف من التهمة فسفك الدماء وأزهق الأرواح، وارتكب الآثام، وابتلي بالمعاصي درءاً للسمعة واتقاء للظن.

لذا فعيش العربي مقصور على الحليلة الصالحة التي تسكن النفس الى عشرتها، والبلاء موكل بالقرينة السوء التي لاتقر العين برؤيتها: فالجميلة جوهرة، والفاضلة كنز، والعاقلة تعمر بيت زوجها والمرأة السفيهة تهدمه.

أسأل الله التوفيق والعافية في الدنيا والآخرة. والحمد لله رب العالمين.

الخصال السبع *

قال ابو عثمان الجاحظ[1]:

اذا ابتلي الرجل بمحبة امرأة لنظرة نظر اليها،

---

* إبن قيم الجوزية ـ اخبار النساء ص ٢١٧.

١ ـ ابو عثمان الجاحظ: عمرو بن بحر (٧٧٥-٨٦٨) كاتب ولد ومات بالبصرة، مات أبوه وهو صغير. فاضطر الى احتراف بيع الخبز والسمك الى جانب مواصلة التعليم في الكتّاب والمسجد والحلقات والاطلاع على كل ما تقع عليه يداه. قصد بغداد فتهادته قصور الخلفاء والوزراء والكبراء. ولاه المأمون ديوان الرسائل. أصيب بفالج نصفي في آخر حياته. أحاط بمعارف عصره من عربية وهندية وفارسية ويونانية ولم يترك موضوعاً اجتماعياً أو ثقافياً أو أدبياً إلا كتب فيه. فألّف اكثر من ٢٥٠ كتاباً حيث بلغ مكانة لم تنتقص منها الأيام. واشهر كتبه: «الحيوان» و«البيان والتبيين» و«البخلاء» و«المحاسن والاضداد».

ولمحة منها، لم يكن يزوج مثله مثلها، وكانت ممتنعة، فالحيلة في ذلك ان يرسل إليها امرأة قد كملت فيها سبع خصال منهن:

أن تكون كتومة السر؛

وان تكون خدّاعة لها معرفة بالمكر؛

وان تكون فطنة متيقظة؛

وأن تكون ذات حرص؛

وأن تكون ذات حظ من مال، ولاتحتاج الى الناس، ولاينكر الناس اختلافها ودخولها عليها، بان تكون إما بياعة طيب، أو قابلة، أو صانعة لآلة العرائس.

وتقدم إليها أرق وألطف ما تقدر عليه، ولاتدع شيئاً من الشكوى واللطف؛

وتخبرها ان نفسه في يدها، وانها متمثلة بين عينيه، وأنه لاينسى ذكرها وانه يراها في المنام كل ليلة تضربه وتخاصمه، وأنه إن لم ير منها نظرة أو خلوة هلك، وانه لم يمنعه من خطبتها، إلا خشية الامتناع

من أهلها، إن كان دونهم في الحسب والجاه والمال، وخوف التمنع منها هي ايضاً.

فانها اذا سمعت هذا وأمثاله مرة او مرتين لم تدع ان تمكنه بمال إن قدرت عليه، واذنت له في خطبتها من أوليائها، فاذا شاوروها في ذلك رضيت وقد تمكن قوله من قلبها، توصل منها الى ما اراد بحلال التزويج، دون حيلة من حيل الحرام.

هديـة للنساء *

اجتمع **خالد بن صفوان**(1) وأنـاس من تميم في جامع البصرة وتذاكروا النساء، فجلس اليهم أعرابي من بني العنبـر، فقال العنبـري : قـد قلت شعـراً فاسمعوا :

إني لـمـهـدٍ لـلـنـسـاء هـديـة
سيـرضى بهـا غُيـابهـا وشهـودهـا
إذا مـالـقيتم بـنت عـشـر فـإنها
قليل إذا تلقى الحزَوَّرَ(2) جُودُها

* القالي : أبو علي ـ ذيل الامالي ص ٣٣.

١ ـ خالد بن صفوان : كان من فصحاء العرب المشهورين، وكان يجالس عمر بن عبد العزيز ، وهشام بن عبد الملك، وله معهما أخبار، ولد ونشأ بالبصرة ، وكان أيسر أهلها مالاً توفي سنة ١١٥ هـ .

٢ ـ الحزور : الغلام القوي .

يَمُدُّ إليها بالنوال فتأتلي
وتلطم خديها إذا يستزيدها
ولكن بنفسي ذات عشرين حجةٍ
فتلك التي ألهو بها وأريدها
وذات الثلاثين التي ليس فوقها
هي النعت لم تكبر ولم يعسُ[1] عودها
وصاحب ذات الأربعين بغبطة
وخير النساء سَرْوُها وخَرُودها[2]

وصاحبة الخمسين فيها منافع
ونعم المتاع للمفيد يفيدها

وصاحبة الستين تغدو قوية
على المال والاسلام صُلبٌ عمودها
وإما لقيتم ذات سبعين حجة
هديا فقل ها خَيبة يستفيدها

---

١ - لم يعس عودها : لم ييبس.
٢ - السرو : الفضل. سروات القوم : سادتهم. السري : الجيد من كل شيء / والخرود : البكر لم تمس قط.

وذات الثمانين التي قد تسعسعت[1]
من الكبر العاسي وناس وريدها[2]
وصاحبة التسعين فيها أذىً لهم
فتحسب ان الناس طُرّاً عبيدها
وإن مئة أوفت لأخرى فجئتها
تجد بيتها رثاً قصيراً عمودها

فقال خالد: لله درّك! لقد أتيت على مافي نفوسنا.

---

١ - تسعسع فلان : هرم وفني . وتسعسع الشيخ : اضطرب جسمه كبراً / قارب الخطو.
٢ - ناس : تدلى واضطرب . ويقال للغصن الدقيق اذا هبت به الريح فهزته : فهو ينوس / والنوس. تذبذب الشيء.

محاسن ومساويء *

خرج شامة بن لؤي بن غالب من مكة حتى نزل بعُمَان على رجل من الأزد.

وكان شامة بن لؤي من أجمل خلق الله، فَقَراهُ (١) وبات عنده فلما اصبح قعد يستن (٢) فنظرت إليه زوجة الأزدي فأعجبها، فلما رمى، مضت الى سواكه فأخذتها فمضغتها، فنظر إليها زوجها، فحلب ناقة وجعل في اللبن سماً وقدمه الى شامة، فغمزته المرأة، فأراق اللبن وخرج يسير.

عن عطاء بن مصعب قال: جاءت امرأة الى عمر

---

* إبن قيم الجوزية ـ اخبار النساء ص ٢٢ / الجاحظ ـ المحسن والأضداد ص ١٢٩.

١ ـ قرى الضيف : أضافه.

٢ ـ استنّ الرجل : نظف اسنانه مما تخللها.

بن الخطاب (رض) فقالت: يا أمير المؤمنين: لاانا ولازوجي.

قال لها: ومالك من زوجك؟

قالت: مر بإحضاره.

فأحضر، فاذا رجل قذر الثياب، قد طال شعر جسده وأنفه ورأسه، فأمر عمر أن يؤخذ من شعره، ويدخل الحمام، ويكسى ثوبين أبيضين، ثم يؤتى به، ففعل ذلك. ودعا المرأة فلما رأت الزوج قالت: الآن!

فقال لها عمر: اتقي الله وأطيعي زوجك.

قالت: أفعل يا أمير المؤمنين.

فلما ولت قال عمر: تصنعوا للنساء، فانهن يحببن منكم ما تحبون منهن.

ويقال: ان المرأة تحب أربعين سنة، وتقوى على كتمان ذلك، وتبغض يوماً واحداً، فيظهر ذلك بوجهها ولسانها؛ والرجل يبغض أربعين سنة فيقوى على كتمان ذلك، وإن أحب يوماً واحداً شهدت جوارحه.

وروي عن رسول الله (ص) أنه قال: « باعدوا بـين أنفاس الـرجال والنسـاء، فإن كـانت المعاينـة واللقاء، كان الداء الذي لادواء له »

ي إن امـرأة ذات عقلٍ ورأي حملت من فاجر، فقيل لها في ذلك؟! فقالت: قرب الوساد وطول سهاد[1].

وروي أن رجلاً أتى رسول الله (ص) فقال: يا رسول الله، إني أريد ان أتزوج، فادع الله ان يرزقني زوجة صالحة. فقال: « لو دعا جبرائيل وميكائيل وأنا معهما، ما تزوجت إلا المرأة التي كتب الله لك، فإنه ينادي في السماء ألا ان امرأة فلان بن فلان، فلانة بنت فلانة ».

وروي عنه (ص) انه قال: « عليكم بالأبكار، فانهن أطيب أفواهاً، وأنتق[2] أرحاماً.

وروي عنه (ص) أنه قال: « انما النساء لعب، فإذا تزوج أحدكم فليستحسن »

---

١ ـ تريد قرب مضجعهامنها وطول مسارته إياها.
٢ ـ نتقت المرأة : كثر ولدها.

وقال الحارث بن كندة: «لاتنكحوا من النساء إلا الشابة، ولاتأكلوا من الحيوان إلا الفتى، ولامن الفاكهة إلا النضيج.

وقال الشاعر:

عليك إذا ما كنت لابد ناكحاً
ذوات الثنايا الغر والأعين **النجل**[1]
وكلّ هضيم الكشح[2] خفاقة الحشا
قطوف الخُطا، بلهاء[3]، وافرة اـ ـن

وقال أحدهم:

لاتتزوجن حنانة ولا أنانة ولامنانة ولا عشبة الدار ولا كية القفا[4]

---

١ ـ نجل الرجل: وسعت عينه وحسنت.
٢ ـ الكشح من الجسم: ما بين السرّة ووسط الظهر. واذا كانت المرأة لطيفة الكشحين تسمى «هضيم».
٣ ـ اللهاء: الكريمة. البلة: الغفلة عن الشر. روي عن رسول الله (ص) انه قال: «اكثر أهل الجنة البُلُه» فإنه عنى البله في أمر الدنيا، وهم أكياس في أمر الآخرة.
٤ ـ الحنانة: التي تزوجها رجل من قبل فهي تحن إليه. =

وقال محمد بن علي : اللهم ارزقني امرأة تسرني إذا نظرت، وتطيعني اذا أمرت، وتحفظني اذا غبت.

وروي عن رسول الله (ص) أنه قال: «إذا خطب أحدكم امرأة، فلا جناح عليه ان ينظر اليها وإن كانت لاتعلم»

وقال بعض الشعراء في تزويج الشبه.

اذا أردت حرَّة تبغيها
كريمة فانظر الى أخيها
ينبيك عنها والى أبيها
فإن أشباه أبيها فيها.

وقال آخر:

إذا كنت مرتاداً لنفسك أيماً
لنجلك فانظر من أبوها وخالها.

= والأنانة : التي تئن من غير علة .. والمنانة: التي لها مال تمتن . وعشبة الدار: الحسناء في أصل السوء. وكية القفا : التي اذا قام زوجها من المجلس ، قال الناس : فعلت امرأة هذا كذا.

وقال خالد بن صفوان لدلال: اطلب لي امرأة بكراً أو كبكر، حصاناً عند جارها، ماجنة عند زوجها، قد أدبها الغنى، وذللها الفقر، لاضرعة صغيرة، ولاعجوزاً كبيرة، قد عاشت في نعمة، وأدركتها حاجة، لها عقل وافر وخلق طاهر، وجمال ظاهر، صلة الجبين، سهلة العرنين[1]، سوداء المقلتين، خدلجة الساقين[2]، لفاء الفخذين، نبيلة المقعد، كريمة المحتدْ[3] رخيمة المنطق، لم يداخلها صلف[4] ولم يشن وجهها كلف، ريحها أرج[5] ووجهها بهج، لينة الأطراف، ثقيلة الأرداف،

---

١ ـ العرنين ج عرانين : الأنف كله أو ما صلب منه .

٢ ـ خدلجة الساقين : اذا كانت سمينة ممتلئة الساقين والذراعين .

٣ ـ رخُم الصوت أو الكلام : رق ولان فهو رخيم . ورخمت الجارية : صارت سهلة المنطق .

٤ ـ صلِف : تمدَّح بما ليس فيه أو عنده وادعى فوق ذلك إعجاباً وتكبراً . وصلفت المرأة عند زوجها : لم تحظ عنده .

٥ ـ أرِج وتأرَّج : فاحت منه رائحة طيبة فهو أرج .

لـونها كالـرق[1] وثديهـا كالحق، أعـلاها عسيب[2]
وأسفلها كثيب، لها بطن مخطف، وخصـر مرهف،
وجيـد أتلع[3] ولب مشبع[4] تتثنى تثني الخيـزران،
وتميل ميل السكران، حسنة المآق في حسن البراق،
لاالطول أزرى بها ولاالقصر.

قال الدلّال: استفتح أبواب الجنان فإنك سوف تراها.

---

١ ـ الرق : الصحيفة البيضاء . الرقراق : ما يتلألأ .
٢ ـ العسيب : جريدة من النخل مستقيمة.
٣ ـ الجيد : طول العنق . والتلع : إشرافها.
٤ ـ اللب : خالص كل شيء / العقل الخالص من الشوائب أو ما ذكا من العقل.

ليلى والمجنون *

قال ابن الكلبي: كان سبب عشق المجنون[1] ليلى[2] أنه أقبل ذات يوم على ناقة له وعليه حلتان من حلل الملوك فمرّ بامرأة من قومه يقال لها كريمة،

---

* الاصفهاني: أبو الفرج ـ الأغاني ج١ ص ١٧١.

١ ـ المجنون: هو قيس بن الملوح، شاعر قتله العشق حيث كان يهوى امرأة من قومه يقال لها ليلى؛ عاش في اوائل أيام الدولة الأموية، وكان يأتي دار ليلى بالليل، حتى صار عشقه ها حديث الناس، فمنعه أهلها عن زيارتها، ورفضوا أن يزوجوها له، فذهب عقله وهام على وجهه حتى مات؛ وذهبت قصته مثلاً على الحب العذري، ومادة لكثير من القصص والمسرحيات؛ أما شعره فغاية في الرقة مع الرصانة، فيه صدق العاطفة وروعة التصوير وحرارة الهيام. وديوانه مطبوع في القاهرة وبيروت.

٢ ـ هي ليلى بنت مهدي بن سعد بن مهدي إبن الحريش وكنيتها ام مالك، وكانت من أجمل النساء واظرفهن وأحسنهن جسماً وعقلاً وأفضلهن أدبا =

وعندها جماعة نسوة يتحدثن، فيهن ليلى، فأعجبهن جماله وكماله فدعونه الى النزول والحديث.

فنزل وجعل يحدثهن، وامر عبداً له كان معه، فعقر لهن ناقته، وظل يحدثهن بقية يومه، فبينا هو كذلك، اذ طلع عليهم فتى، عليه بردة من برود الأعراب، يقال له منازل، يسوق معزى له، فلما رأينه أقبلن عليه وتركن المجنون؛ فغضب وخرج من عندهن، وأنشأ يقول:

أأعقر من جرًا كريمة ناقتي
ووصلي مفروش لوصل منازل
اذا جاء قعقعن[1] الحلي ولم أكن
إذا جئت أرض صوت تلك الخلاخل

= وأملحهن شكلاً. صاحبة قيس بن الملَّوح، كانت مغرمة باحاديث الناس وبالأشعار. مرَّبها قيس وهو من الرواة الحفاظ فتحابا وهما من قبيلة واحدة، فحجبت عنه وامتنع أبوها عن تزويجها به، لاشتهار حبهما واشعاره فيها. وأكرهت على الزواج بغيره، يضرب بها المثل في الحب العنيف.

١ ـ القعقعة: حكاية أصوات السلاح والتَّرسة والجلود اليابسة والحجارة والرعد والبَكْرة والحلى ونحوها.

متى مـا انتضلنا بـالسهام نضلتـه[1]
وإن نرم رشقاً عندها فهو ناضـلي.

فلما أصبح، لبس حلته، وركب ناقة له أخرى، ومضى متعرضاً لهن، فالفى ليلى قاعدة بفناء بيتها، وقد علق حبه بقلبها وهويتـه، وعندهـا جويـريات يتحدثن معها، فوقف بهن وسلم فدعونه الى النزول وقلن له: هل لك في محادثة من لايشغله عنك منازل ولاغيره؟

فقـال: إي لعمري! فنـزل وفعل مثـل مافعله بالأمس.

فأرادت ان تعلم هل لها عنده مثل ماله عندها فجعلت تعرض عن حديثه ساعة بعد ساعة، وتحدث غيره، وقد كان علق بقلبه مثل حبها إياه، وشغفته واستملحها. فبينا هي تحدثه أقبل فتى من الحي فدعته وسارّته[2] سراراً طويلاً، ثم قالت له: انصرف.

١ ـ نضله: سبقه وغلبه في النضال.

٢ ـ سارّه: كلمة بسر/ كلمه في أذنه.

ونظرت الى وجه المجنون قد تغير وانتقع لونه وشق عليه فعلها، فأنشأت تقول:

كـلانـا مـظهـر للنـاس بغـضـاً
وكـل عـنـد صـاحـبـه مـكـين
تـبـلغـنـا الـعـيـون بمـا أردنـا
وفي الـقلبـين ثـمَّ هـوى دفـين.

فلما سمع البيتين شهق شهقة شديدة وأغمي عليه، فمكث على ذلك ساعة ونضحوا الماء على وجهه، وتمكن حبٌّ كل واحد منهما في قلب صاحبه حتى بلغ منه كل مبلغ.

ولما شهر أمر المجنون وليلى وتناشد الناس شعره فيها خطبها وبذل لها خمسين ناقة حمراء، وخطبها ورد بن محمد العقيلي وبذل لها عشراً من الابل وراعيها فقال أهلها: نحن مخيروها بينكما، فمن اختارت تزوجته. ودخلوا إليها فقالوا: والله لئن لم تختاري ورداً لنمثل بك.

فاختارت ورداً فتزوجته على كره منها.

ففقد عقله، وكان لايلبس ثوباً إلا خرقة،

ولايمشي إلا عاريا ويلعب بالتراب، ويجمع العظام حوله. فإذا ذكرت له ليلى أنشأ يحدث عنها عاقلاً ولا يخطىء حرفاً وترك الصلاة، فإذا قيل له: مالك لاتصلي؟ لم يرد حرفاً.

ولما اختلط عقل قيس بن الملوح وترك الطعام والشراب مضت أمه الى ليلى فقالت لها: إن قيساً قد ذهب حبك بعقله وترك الطعام والشراب فلو جئته وقتاً لرجوت ان يثوب[1] إليه عقله.

فقالت ليلى: أما نهاراً فلا آمن من قومي على نفسي، ولكن ليلاً. فأتته ليلاً فقالت له: يا قيس إن أمك تزعم أنك جننت من أجلي، وتركت المطعم والمشرب، فاتق الله وابق على نفسك.

فبكى وانشأ يقول:

قالت جننت على أيش فقلت لها
الحب أعظم مما بالمجانين
الحب ليس يفيق الدهر صاحبه
وانما يصرع المجنون في الحين.

---

١ ـ ثاب: عاد

فبكت معه وتحدثا حتى كاد الصبح أن يسفر ثم ودعته وانصرفت، فكان آخر عهده بها.

لاخير في الحياة على الذل *

دخل عمرو بن معد يكرب[1] على عمر بن الخطاب (رض) فقال له عمر: يا عمرو؛ أخبرني عن أشجع من لقيت.

فقال: والله يا أمير المؤمنين لأخبرنك عن أجبن الناس وأحيل الناس وأشجع الناس: خرجت مرَّة

---

* الوطواط: ابو اسحاق ـ غرر الخصائص الواضحة ص ٢٢٧/ النويري ـ نهاية الأرب ج ٢ ص ١٧٦

١ ـ عمرو بن معد يكرب: (٥٩٠ ـ ٦٤٣م) شاعر فارسي، ولد بزبيد باليمن، ومات بالقادسية أو الري. وفد على الرسول (ص) واسلم، ثم ارتد باليمن، ثم أسلم. وشهد فتوح الشام والعراق وفارس، وعرف بالشجاعة والقوة البدنية، فاتخذه الادباء الشعبيون مثالاً للبطل العربي، اداروا حوله كثيراً من القصص، له شعر بقي قليل منه.

أريد الغارة فبينما أنا أسير إذ بفرسٍ مشدود، ورمحٍ مركوز، واذا رجل جالس، وهو كأعظم مايكون من الرجال خلقاً وهو محتب[1] بسيف.

فقلت له: خذ حذرك فإني قاتلك.

فقال: ومن أنت؟

قلت: أنا عمرو بن معد يكرب.

فشهق شهقة فمات.

فهذا أجبن من رأيت يا أمير المؤمنين!

وخرجت يوماً حتى انتهيت الى حيٍ، فاذا أنا بفرسٍ مشدود، ورمحٍ مركوز، واذا صاحبه في وهدة يقضي حاجة.

فقلت: خذ حذرك فاني قاتلك.

قال: من أنت؟

قلت: أنا عمرو بن معد يكرب.

---

١ ـ احتبى بثوبه احتباءً: اشتمل. والاحتباء: هو ان يضم الانسان رجليه الى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره ويشدُّه عليها. وقد يكون الاحتباء باليدين. وهنا بالسيف.

قال: أبا ثور ما أنصفتني! أنت على ظهر فرس، وأنا في بئر؛ فاعطني عهداً أنك لاتقتلني حتى أركب فرسي وآخذ حذري.

فأعطيته عهداً ألا أقتله حتى يركب فرسه ويأخذ حذره.

فخرج من الموضع الذي كان فيه حتى احتبى بسيفه وجلس.

فقلت له: ماهذا؟

فقال: ما أنا براكب فرسي، ولا بمقاتلك، فإن نكثت عهدك فأنت أعلم؛ فتركته ومضيت.

فهذا يا أمير المؤمنين أحيل من رأيت!

ثم إني خرجت يوماً آخر حتى انتهيت الى موضع كنت أقطع فيه؛ فلم أر أحداً، فاجريت فرسي يميناً وشمالاً فظهر لي فارس.

فلما دنا مني، إذا هو غلام قد أقبل من نحو اليمامة فلما قرب مني سلَّم، فرددت عليه وقلت: مَنِ الفتى؟

قال: أنا الحارث بن سعد، فارس الشهباء.

فقلت له: خذ حذرك، فإني قاتلك.

فقال: الويل لك! من أنت؟

قلت: أنا عمرو بن معد يكرب.

قال: الحقير الذليل؟ والله مايمنعني من قتلك إلا استصغارك، فتصاغرت نفسي إلي، وعظم عندي ما استقبلني به.

فقلت له: خذ حذرك، فو الله لاينصرف إلا أحدنا.

قال: أغرب، ثكلتك أمك! فإني من أهل بيت ما نكلنا[1] عن فارس قط!

قلت: هو الذي تسمع.

قال: اختر لنفسك: إما أن تُطرِدَ[2] لي، وإما أن أطرد لك.

---

١ ـ نكل عن كذا: نكص وجبن. يقال: «نكل عن العدو وعن اليمين وعن الجواب».

٢ ـ طَرِد: زاول الصيد وتتبعه. طارد الأقران: حمل بعضهم =

فاغتنمتها منه، فقلت: أطرد لي. فاطرد، وحملت عليه، حتى إذا قلت: إني وضعت الرمح بين كتفيه، إذا هو قد صار حزاماً لفرسه، ثم اتبعني فقرع بالقناة(١) رأسي، وقال: ياعمرو، خذها إليك واحدة، فو الله لولا أني أكره قتل مثلك لقتلتك.

فتصاغرت إلي نفسي، وكان الموت ـ والله يا أمير المؤمنين ـ أحب إلي مما رأيت، فقلت: والله لاينصرف إلا أحدنا.

فقال: اختر لنفسك.

فقلت: أطرد لي.

فأطردلي؛ فظننت أني قد تمكنت منه، واتبعته حتى اذا قلت: إني قد وضعت الرمح بين كتفيه، فاذا

=على بعض. يقال: «هم فرسان الطِراد» أي يحمل بعضهم على بعض.

١ ـ القناة: الرمح أو عودُهُ. يقال: «فلان صلب القناة» أي القامة.

هو قد صار لبباً[1] لفرسه؛ ثم أتبعني فقرع رأسي بالقناة وقال: ياعمرو؛ خذها إليك ثانية.

فتصاغرت إلي نفسي، فقلت: والله لاينصرف إلا أحدنا.

فقال: اختر لنفسك.

فقلت: أطرد لي.

فاطرد حتى إذا قلت إني وضعت الرمح بين كتفيه؛ وثب عن فرسه؛ فإذا هو على الأرض؛ فاخطأته ومضيت.

فاستوى على فرسه،وأتبعني فقرع بالقناة رأسي، وقال: يا عمرو؛ خذها اليك ثالثة. ولولا أني أكره قتل مثلك لقتلتك.

فقلت له: اقتلني، فإن الموت أحب الي مما أرى بنفسي، وأن تسمع فتيان العرب بهذا.

---

١ ـ اللبب: موضع القلادة من الصدر/ المنحر/ وهنا: ما يُشد من سيور السرج في صدر الدابه ليمنع استئخار السرج.

فقال: يا عمرو؛ إنما العفو ثلاث، وإني إن استمكنت منك الرابعة قتلتك وأنشأ يقول:

وكَّدْتُ أغلاظاً من الايمان
إن عُدْتَ يا عمرو الى الطعان
لتوجرَنَّ(١) لهب السنان
أولاً، فلستُ من بني شيبان!

فلما قال هذا، كرهت الموت، وهبته هيبة شديدة، وقلت: إن لي إليك حاجة.

قال: وما هي؟

قلت: أكون لك صاحباً، ورضيت بذلك يا أمير المؤمنين!

قال: لست من أصحابي، فكان ذلك والله، أشدَّ علي وأعظم مما صنع.

فلم أزل أطلب اليه حتى قال: ويحك! وهل تدري أين أريد؟

---

١ ـ أوجره الرمح: طعنه به في فيه.

قلت: لا!

قال: أريد الموت عياناً.

قلت: رضيت بالموت معك.

فقال: امضِ بنا؛ فسرنا جميع يومنا وليلتنا حتى جننا الليل، وذهب شطره.

فوردنا على حي من أحياء العرب، فقال لي: يا عمرو؛ في هذا الحي الموت. ثم أومأ الى قبة في الحي، فقال: وفي تلك القبة الموت الاحمر؛ فإما ان تمسك علي فرسي؛ فانزل فآتي بحاجتي، و إما ان أمسك عليك فرسك، فتنزل فتأتي بحاجتي.

فقلت: لا، بل أنزل أنت؛ فأنت أعرف بموضع حاجتك؛ فرمى إليَّ بعنان الفرس ونزل، فرضيت لنفسي يا أمير المؤمنين أن أكون له سائساً.

ثم مضى حتى دخل القبة؛ فاستخرج منها جارية لم تر عيناي قط مثلها حسناً وجمالاً، فحملها على ناقة، ثم قال: يا عمرو.

قلت: لبيك!

قال: عليك بزمام الناقة.

وسرنا بين يديه، وهو خلفنا حتى أصبحنا، فقال: يا عمرو.

قلت: لبيك! ما تشاء؟

قال: التفت، فانظر هل ترى أحداً؟

فالتفت، وقلت: أرى جمالاً.

قال: أغِذَّ[1] السير، ثم قال لي: يا عمرو.

قلت: لبيك!

قال: انظر، فإن كان القوم قليلاً، فالجلد والقوة والموت. وإن كانوا كثيراً فليسوا بشيء.

فالتفتُّ، فقلت: هم أربعة أو خمسة.

قال: أغِذَّ السير، وسمع وقع الخيل؛ فقال لي: يا عمرو.

قلت: لبيك!

---

١ ـ غذّا الرجل: أسرع.

قال: كن على يمين الطريق وقف، وحول وجوه دوابنا الى الطريق.

ووقفت عن يمين الراحلة، ووقف هو عن يسارها.

ودنا القوم منا؛ فاذا هم ثلاثة نفر فيهم شيخ، وهو أبو الجارية، وأخواها، وهما غلامان شابان. فسلّموا، فرددنا السلام، ووقفوا عن يسار الطريق.

فقال الشيخ: خلّ عن الجارية يابن أخي.

فقال: ما كنت لأخليها، ولالهذا أخذتها!

فقال لأصغر إبنيه: أخرج إليه؛ فخرج وهو يجر رمحه، وحمل عليه الحارث، وهو يقول:

من دون ما ترجوه خضب الذابل[1]
من فارس مُستلئم مقاتل
يُنمى الى شيبان خير وائل
ماكان سيري نحوها بباطل!

---

١ ـ الذابل: صفة للرمح/ يقولون «الرماح الذوابل» أي الدقيقة/ الرماح نفسها إقامة للصفة مقام الموصوف.

ثم شدَّ عليه؛ فطعنه طعنة، دق منها صلبه[١]؛ فسقط ميتاً.

فقال الشيخ لابنه الآخر: أخرج إليه يا بني، فلا خير في الحياة على الذلِّ؛ فخرج إليه وأقبل الحارث يقول:

لقـد رأيت كيف كـانـتْ طعـنتي!
والـطعن للقِـرن الشـديـد[٢] همتي
والمـوت خـير مـن فـراق خُـلتي
فـقـتـلتي الـيـوم ولا مـذلـتي!

ثم شد عليه، فطعنه طعنةً، سقط منها ميتاً.

فقال له الشيخ: خلِّ عن الظغينة يا بن أخي، فإني لست كمن رأيت.

قال: ماكنت لأخليها ولالهذا قصدت.

---

١ ـ الصلـب : عـظم في الـظهر ذو فقار يمتد من الكاهل الى العجب أو أسفل الظهر.

٢ ـ القـرن ج أقران: كفؤك/ من يقـاومـك/ نـظيـرك في الشجاعة أو العلم وغيرهما

فقال له الشيخ: اختر يا بن أخي، فإن شئت طاردتك، وإن شئت نازلتك؛ فاغتنمها الفتى ونزل. ونزل الشيخ وهو يقول:

ما أرتجي بعد فناء عمري؟
سأجعل السنين مثل الشهر
شيخ يحامي دون بيض الخِدرِ(١)
إنَّ استباح البيض قصمُ الظهر
سوف ترى كيف يكون صبري

فأقبل الحارث وهو يقول:

بعد ارتحالي وطويل سفري
وقد ظفرت وشفيت صدري
والموت خيرٌ من لباس الغدر
والعار أهديه لحي بكر

---

١ ـ الخدر: ستر يمد للجارية في ناحية البيت، ثم صار كل ما واراك من بيت ونحوه خدراً. وجارية مخدَّرة: اذا لزمت الخدر. وبيضة خدرٍ: مصونة. وشبَّه المرأة بالبيضة لبياضها ورقتها، وأضافها الى الخدر إشارة الى الرعاية التامة والمحافظة الشديدة عليها.

ثم دنا، فقال له الشيخ: يا بن أخي؛ إن شئت نازلتك، وإن بقيت فيك قوة ضربتني؛ وإن شئت فاضربني، فإن بقيت فيّ قوة ضربتك.

فاغتنمها الفتى، فقال: أنا أبدؤك.

قال: هات.

فرفع الحارث السيف، فلما نظر الشيخ أنه قد أهوى به الى رأسه، ضرب بطنه ضربة فقدَّ معاه، ووقعت ضربة الحارث في رأسه؛ فسقطا ميتين.

فأخذت يا أمير المؤمنين أربعة أفراس، وأربعة أسياف، ثم أقبلت الى الناقة، فعقدت أعنة الافراس بعضها الى بعض وجعلت أقودها.

فقالت الجارية: يا عمرو؛ الى أين؟ ولست لي بصاحب، ولست كمن رأيت، ولو كنت صاحبي لسلكت سبيلهم!

فقلت: اسكتي.

قالت: فإن كنت صادقاً فاعطني سيفاً ورمحاً؛ فإن غلبتني فأنا لك، وإن غلبتك قتلتك.

فقلت لها: ما أنا بمعطيك ذلك، وقد عرفت أصلك، وجرأة قومك وشجاعتهم

فرمت بنفسها عن البعير، وهي تقول:

أبعد شيخي وبعد إخوتي
أطلب عيشاً بعدهم في لذةِ؟
هل لاتكون قبل ذا منيتي؟

وأهوت الى الرمح، فكادت تنتزعه من يدي. فلما رأيت ذلك خفت إن هي ظفرت بي ان تقتلني، فقتلتها.

فهذا أشد ما رأيته يا أمير المؤمنين.

حمدونة بنت عيسى*

روى إبن مهروية عن إبراهيم المدبر[1] أنه قال :
جاءني يوماً محمد بن صالح الحسني[2] بعد أن

* الأصفهاني : ابو الفرج ـ الأغاني ج ١٥ ص ٩١

١ ـ ابراهيم بن المدبر: شاعر كاتب متقدم من وجوه كتاب اهل العراق ومتقدميهم وذوي الجاه المتصرفين في كبار الأعمال ومذكور الولايات وكان المتوكل يقدمه ويؤثره ويفضله، وكانت بينه وبين عريب حال مشهورة، كان يهواها وتهواه ولهما في ذلك أخبار كثيرة.

٢ ـ محمد بن صالح العلوي: ويكنى أبا عبد الله، شاعر حجازي ظريف صالح الشعر، من شعراء أهل بيته المتقدمين وقد خرج على المتوكل الذي ظفر به وبجماعة من أهل بيته، فأخذهم وقيدهم وقتل بعضهم، وأخرب سويقة وهي منزل للحسينين، ومن جملة صدقات أمير المؤمنين علي بن أبي=

أطلق من الحبس فقال لي : إني اريد المقام عندك اليوم، على خلوة لابثك من أمري شيئاً، لا يصلح أن يسمعه غيرنا.

فقلت : أفعل، فصرفت من كان بحضرتي، وخلوت معه، وأمرت بردِّ دابته وأخذ ثيابه.

فلما اطمأنَّ وأكلنا واضطجعنا قال لي: إني خرجت في سنة كذا وكذا ومعي أصحابي على القافلة الفلانية، فقاتلنا من كان فيها فهزمناهم وملكنا القافلة، فبينما أنا أحوزها، وأنيخ الجمال، إذ طلعت عليَّ امرأة ما رأيت قط أحسن منها وجهاً ولا أحلى منطقاً، فقالت: يا فتى إن رأيت ان تدعو لي بالشريف المتولي أمر هذا الجيش ؟

فقلت: قد رأيته ، وسمع كلامَكِ.

= طالب (ع)، وعقربها نخلاً كثيراً، وحرق منازلهم بها وأثر فيهم آثاراً قبيحة وحمل محمد بن صالح فيمن حمل منهم الى سر من رأى فحبس ثلاث سنين، ثم مدح المتوكل فأمر باطلاقه.

فقالت : سألتك بحق الله وحق رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أنت هو؟

فقلت: نعم وحق الله وحق رسوله إني لهو.

فقالت : أنا حمدونة بنت عيسى بن موسى؛ ولأبي محلٌ من سلطانه، ولنا نعمة إن كنت ممن سمع بها فقد كفاك ما سمعت ، وإن كنت لم تسمع بها فسل عنها غيري. ووالله لا استأثرت عنك بشيء أملكه ، ولك بذلك عهد الله وميثاقه عليَّ . وما أسألك إلا أن تصونني وتسترني ، وهذه ألف دينار معي لنفقتي ، فخذها حلالاً وهذه حلْيٌ عليَّ ثمنه خمسمائة دينار فخذه . وما شئت بعده آخذه لك من تجار المدينة أو مكة أو أهل الموسم، فليس منهم أحدٌ يمنعني شيئاً أطلبه، وادفع عني واحمني من أصحابك، ومن عارٍ يلحقني.

فوقع قولها من قلبي موقعاً عظيماً فقلت لها: قد وهب الله لكِ مالكِ وحليك وجاهك ، ووهب لك القافلة بجميع ما فيها .

ثم خرجت فناديت في أصحابي فاجتمعوا فناديت

فيهم: إني قد أجرت هذه القافلة وأهلها وخفرتها [١] وحميتهـــا، ولها ذمة الله وذمة رسوله وذمّتي؛ فمن أخذ منها خيـطاً أو عِقالاً [٢] فقـد آذنته بحـرب. فانصرفوا معي وانصرفت.

فلما أُخِذْتُ وحبستُ [٣] جاءني يوماً السجّان وقال لي: إن بالباب امرأتين تزعمان أنهما من أهلك، وقد حظّر عليَّ أن يدخل عليك أحدٌ؛ إلا أنهما اعطتاني دُمْلَج ذهب[٤]، وجعلتاه لي إن أوصلتهما إليك، وقد أذنت لهما وهما في الـدهليز[٥]. فـاخرج إليهـما إن شئت.

---

١ ـ خفره: أجاره وحماه وأمّنه.

٢ ـ العقال: حبل يشد به البعير في وسط ذراعه. ومنه العقال الذي يشد على الرأس.

٣ ـ انظر هامش رقم ٢ ص ٤٩

٤ ـ دملج الشيء: سواه وأحسن صنعته. والدملج: المعضد من الحُليّ.

٥ ـ الدهليز: مابين الباب والدار (فارسي معرب) والجمع دهاليز.

ففكرت فيمن يجيئني في هذا البلد وأنا به غريب لا أعرف أحداً. ثم قلت: لعلهما من وَلد أبي أو بعض نساء أهلي. فخرجت إليهما، فإذا بصاحبتي، فلما رأتني بَكَت لما رأت من تغيير خَلقِي وثقل حد يدي؛ فأقبلت عليها الأخرى فقالت: أهو هو؟

فقالت: إي والله إنه لَهُوَ هُوَ! ثم أقبلت عليَّ فقالت: فداك أبي وأمي! والله لو استطعت أن أقيك مما أنت فيه بنفسي وأهلي لفعلت وكنت بذلك مني حقيقاً، ووالله لا تركت المعاونة لك والسعي في حاجتك وخلاصك بكل حيلة ومالٍ وشفاعة، وهذه دنانير وثياب وطيب، فاستعن بها على موضعك، ورسولي يأتيك في كل يوم بما يصلحك حتى يفرِّج الله عنك. ثم أخرجت إليَّ كسوةً وطيباً ومائتي دينار.

وكان رسولها يأتيني كل يوم بطعام نظيف، ويتواصل برُّها بالسجان؛ فلا يمتنع من كل شيء أريده، فمنَّ الله بخلاصي؛ ثم راسلتها فخطبتها.

فقالت أمَّا من جهتي فأنا لك متابعة مُطيعة، والأمر إلى أبي.

فأتيته فخطبتها إليه.

فردّني وقال: ما كنت لأحقق عليها ، ما قد شاع في الناس عنك في أمرها ، وقد صيرتنا فضيحة.

فقمت من عنده منكساً مستحياً وقلت له في ذلك :

رموني وإياها بشنعاء هم بها
أحقّ ، أدال[1] الله منهم فعجلا
بأمرٍ تركناه ورب محمدٍ
عياناً فإمّا عفة أو تجملا

قال ابراهيم بن المدّبر : فقلت له: إن عيسى صنيعة [2] أخي ، وهو لي مطيع ، وأنا أكفيك أمره.

فلما كان من الغدِّ لقيت عيسى في منزله وقلت له: قد جئتك في حاجة لي.

فقال : مقضية ، ولو كنت استعملت ما أحبّه لامرتني فجئتك ، وكان أسرَّ إليَّ !

١ ـ ادال الله بني فلان من عدوهم : جعل الكرّة لهم عليه. والإدالة : الغلبة.

٢ ـ الصنيعة : يقال : « هو صنيعتي » أي أنا ربيته وخرّجته واختصصته بالصنع الجميل.

فقلت له : قد جئتك خاطباً اليك ابنتك .

فقال : هي لك أمة ، وأنا لك عبدٌ وقد أجبتك .

فقلت ؛ إني خطبتها على من هو خير مني أباً وأماً ، وأشرف لك صهراً ومتصلاً : محمد بن صالح العلوي .

فقال لي : يا سيدي هذا رجل قد لحقتنا بسببه ظنّة وقيلت فينا أقوال .

فقلت : أفليست باطلة ؟

قال : بلى والحمد لله !

قلت : فكأنها لم تقل، واذا وقع النكاح، زال كل قول وتشنيع ولم أزل ارفق به حتى أجاب.

وبعثت الى محمد بن صالح فأحضرته وما برحت حتى زوجته وسقت الصداق عنه.

زوج من عود خير من قعود*

قال المبرد : كانَ ذو الإصبع العدواني رجلاً غيوراً وله بنات أربع ، وكان لا يزوجهن غيرة ، فاستمع عليهن يوماً ، وقد خلون يتحدثن . فقالت قائلة منهن : لتقل كل واحدة منا مما في نفسها ، ولنصدق جميعاً

فقالت كبراهن :

ألا ليت زوجي من إناسٍ ذوي غِنىً
حديث شباب طيِّبُ النشر والذِّكر
لصوق بأكبادُ النساء كأنه
خليفةُ حانٍ لا يقيم على هجر

---

* الميداني ـ مجمع الامثال ج ١ ص ٣٢٠

وقالت الثانية :

ألا ليتــه يعـطي الجمــال بــديهــة
لــه جفنة[1] تشفى بها النِّيبُ والجزرُ[2]

لـه حكمات الـدهر من غيـر كبـرة
كشـين فلا وانٍ ولا ضَـرِعٌ غمرُ[3]

فقلن لها : أنت تريدين سيداً ؛ وقالت الثالثة :

ألا هــل تــراهــا مــرةً وحـليلُهــا
أشم كنصــل السيف عـين المهنَّـد

عـليـم بــأدواء الــنســاء ورهــطُهُ
اذا ما انتمى من أهل بيتي ومحتدي[4]

---

١ ـ الجفنة : القصعـة الكبيرة .

٢ ـ نيبت الناقة : هـرمت . والنيب م نييب : تصغير للنـاقة المسنة . والجُزُر: ما يجزر من النوق أو الغنم .

٣ ـ الونا : التعب والفترة . وانٍ : ضعيف . ضَرِع : ضعف . ضَرِعٌ : ضعيف وذليل وخاضع .

والغمر: الكريم الواسع الخلق .

٤ ـ المحتد : الأصل . يقال « فلان كريم المحتد » أي الأصل

فقلن لها: أنت تريدين ابن عم لك قد عرفته؛ وقلن للصغرى ما تقولين ؟

قالت: لا أقول شيئاً.

فقلن : لا ندعك وذاك ، إنّك قد اطلعت على أسرارنا، وتكتمين سرّك !

فقالت : زوج من عود خير من قعود.

فخُطِبن فزوجن جُمَع ، ثم امهلهن حولاً ، ثم زار الكبرى فقال لها : كيف رأيت زوجك ؟

فقالت: خير زوج، يكرم أهله ، وينسي فضله.

قال : فما مالُكم ؟

قالت : الإبل .

قال: وما هي ؟

قالت: نأكل لحمانها مُزَعاً[١] ، ونشرب ألبانها جرعاً، وتحملنا وضَعَفَتنا[٢] معاً .

---

١ ـ المزع من اللحم أو الشحم: القطع.

٢ ـ الضَعَف: ضد القوة.

فقال: زوج كريم، ومال عميم !!

ثم زار الثانية فقال: كيف رأيتِ زوجَك ؟

قالت : يكرم الحليلة ، ويقرِّب الوسيلة .

قال : فما مالُكم ؟

قالت : البقر.

قال وما هي ؟

قالت : تألف الفِناء[1] ، وتملأ الإِناء، وتودك السِّقاء[2] ونساء مع نساء.

فقال: رضيتِ فحظيتِ.

ثم زار الثالثة فقال : كيف رأيتِ زوجكِ ؟

فقالت: لا سمحٌ بَذِرٍ ، ولا بخيل حَكِر.

قال : فما مالُكم ؟

---

١ ـ الفناء: الساحة أمام البيت.

٢ ـ وَدِك يودَك وَدَكاً: وسم وسمن. السِّقاء: وعاء من جلد للماء واللبن ونحوهما.

قالت : المِعْزَى.

قال: وما هي ؟

قالت : لو كنا نولدها فطماً، ونسلخها أدماً [1] ، لم نبغ بها نَعَما[2].

فقال: جذو مُغْنية[3].

ثم زار الرابعة فقال: كيف رأيت زوجكِ ؟

قالت : شرُّ زوج ، يكرم نفسه ، ويهين عِرسَه[4].

قال: فما مالُكم ؟

قالت : شر مال ، الضأن.

قال : وما هي ؟

---

١ ـ الأدم : باطن الجلد

٢ ـ النَّعم : الابل وتطلق على البقرة والغنم، سمي بذلك لما فيه من الخير والنعمة

٣ ـ جذو جمع جذوة : وهي القطعة.

٤ ـ العرس : امرأة الرجل

قالت : جُوفٌ[1] لا يشبعن ، وهِيمٌ لا ينقعن ،
وصمٌ لا يسمعن ، وأمر مُغْوِيتهن يتْبَعن[2] .

فقال : أشبه امرؤ بعض بزِّه[3] .

---

١ ـ الجُوف م الأجوف : ذو الجوف ، أو ذو الجوف الواسع .

٢ ـ قال علي بن عبد الله : قلت لابن عائشة : ما قولها « وأمر مغويتهن يتبعهن »؟ قال : أما تراهن يمررن فتسقط الواحدة منهن في ماء أو وحل أو غير ذلك فيتبعنها عليه .

٣ ـ المُغوّات : المضّلة . يقال : « حفر لاخيه فغواه » اي ورطة .

٤ ـ البزّ : السلاح / الثياب من الكتان أو القطن (ذهبت مثلاً)

الموت خير من الذلّ*

كانت منازل طسم[1] في موضع اليمامة، وكان يملكهم عمليق وكانت معهم جديس ؛ ولكن عمليقاً

---

* الحضري بك ـ مهذب الاغاني ـ ج١ص١ / البغدادي ـ خزانة الأدب ج٢ ص ٢٣٥ / ابن الاثير: عز الدين ـ الكامل في التاريخ ج١ ص ٢٣ .

١ ـ طسم جد جاهلي من العرب العاربة، نزل بنوه الأحقاف، بين عمان وحضرموت، وأقاموا مع جديس، ويقال: كانوا في بابل، فلما غزاها الفرس انتقلوا الى اليمامة من المستشرقين من يذهب الى أن هلاك طسم وجديس كان سنة ٢٥٠ م . وليس من الآثار والأخبار ما يؤكد ذلك . والأرجح أنهم أقدم من هذا ، ويقال أن طسماً الهموا العربية فتكلموا بها . كما يقال ايضاً ان طسماً وجديسا قبيلتان من العمالقة اقامتا في بلاد البحرين واليمامة . أذلَّ ملك طسم نساء جديس فقاتلوه وأفنوا قبيلته إلا واحداً منهم استغاث بقحطان ، فقاتلوا جديساً حتى ابادوهم سنة ٢٥٠ م .

في أول مملكته قد تمادى في الظُّلم والغَشم والسيرة بغير الحق.

وكانت امرأة من جديس يقال لها هزيلة، ولها زوج يقال له ماشق، فطلقها وأراد أخذ ولدها منها، فخاصمته الى عمليق فقال: «يا أيها الملك؛ إني حملته تسعاً، ووضعته دفعاً، وأرضعته شفعاً، حتى اذا تمت أو صاله، ودنا فِصاله؛ أراد ان يأخذه مني كرها، ويتركني من بعده ورهاً[٢]».

فقال لزوجها: ما حجتك؟

قال: «حجتي أيها الملك أني قد أعطيتها المهر كاملا، ولم أصب منه طائلاً، إلا وليداً خاملاً، فافعل ما كنت فاعلاً».

فأمر بالغلام ان ينزع منهما جميعاً، ويجعل في غلمانه. فقالت هزيلة:

أتينـــا أخـــا طسم ليحـكم بيننـــا
فـــانفـذ حكـــماً في هـــزيلة ظـــالمـا

---

١ ـ ورهت الريح: كثر هبوبها. ورِه: حمق.

لعمري لقد حكّمت لا متورعاً
ولا كنت فيما يبرم الحكم عالما
ندمت ولم أندم وأنّ لعشرتي
واصبح بعلي في الحكومة نادما.

فلما سمع عمليق قولها ، أمر ألّا تزوج بكر من جديس وتهدى الى زوجها ، حتى يراها هو قبل زوجها ، فلقوا من ذلك بلاءً وجهداً وذلّاً ، فلم يزل يفعل هذا حتى زوجت الشموس ، فلما أرادوا حملها الى زوجها ، انطلقوا بها الى عمليق ومعها القيان يتغنين :

أبْدَىْ بعمليق وقومي فاركبي
وبادري الصبح لأمرٍ معجب
فسوف تلقين الذي لم تطلبي
وما لبكرٍ عنده من مهرب

فدخلت عليه ثم خلى سبيلها ، فخرجت الى قومها شاقةً دِرعها ، وهي في أقبح منظر ، وهي تقول :

لا أحدٌ أذلّ من جديس
أهكذا يفعلُ بالعروس !

يـرضى بهـذا يـا لقـومـي حـرّ
أهـدى وقـد أعـطى وسيق المهـرُ
لأخَـذَهُ المـوت كـذا لـنـفـسـه
خـيرٌ من أن يُفعـل ذا بِعُـرسْـهِ

وقالت تحرض قومها فيما أتي اليها :

أيجـمـل مـا يُؤتي الى فـتيـانـكـم
وأنتم رجـال فيكم عـدد النـمـل
وتصبحُ تمشى في الدمـاء عُفيرَةٌ[1]
عشية زفت في النساء الى بعل
ولـو أنـنـا كنـا رجـالًا وكـنـتُم
نسـاءً لكنا لا نقـر بـذا الفعـل
فمـوتـوا كـرامـاً أو أميتـو عـدوكم
ودِبُّوا لنار الحرب بالحطب الجزل[2]
وإلا فـخـلوا بـطنهـا ، وتحـمـلوا
الى بلدٍ قفـرٍ ومـوتـوا من الهـزل

---

١ ـ عفَّره في التراب : مرغه ودسَّه فيه . يقال لمن أُذِلّ « قد عفِّر وأرغم »

٢ ـ الجزل : الغليظ .

فللَبْين خيرٌ من تمادٍ على أذى
وللموت خيرٌ من مقام على الذلِّ
وإن أنتم لم تغضبوا بعد هذه
فكونوا نساءً لا تعاب من الكحل
ودونكم طيب العروس فإنما
خلقتم لاثواب العروس وللنّسلِ
فبعدا وسحقاً للذي ليس دافعاً
ويختال يمشي بيننا مِشية الفحل

فلما سمع أخوها الأسود ـ وكان سيداً مطاعاً ـ قال لقومه : « يا معشر جديس ؛ إن هؤلاء القوم ليسوا بأعزّ منكم في داركم إلا بما كان من ملك صاحبهم علينا وعليهم ، ولولا عجزنا وإدهانُنا[1] ما كان له فضل علينا ، ولو امتنعنا لكان لنا منه النَّصف ، فاطيعوني فيما آمركم به فانه عزُّ الدهر ، وذهاب ذلِّ العمر، واقبلوا رأيي ».

وقد أحمى جديساً ما سمعوا من قولها ؛ فقالوا : نطيعك ولكن القوم أكثر وأحمى وأقوى.

قال : فإني أصنع للملك طعاماً ، ثم ادعوهم له

١ ـ الإدهان : الغش واظهار خلاف ما يضمر.

جميعاً ، فاذا جاءوا يرفلون في الحلل ، ثرنا الى سيوفنا ، فأهمدناهم بها.

قالوا : نفعل.

وصنع طعاماً كثيراً وخرج به الى ظهر بلدهم، ودعا عمليقاً وسأله أن يتغدى عنده هو وأهل بيته، فأجابه الى ذلك، وخرج اليه مع أهله يرفلون في الحلى والحُلَلِ ، حتى إذا أخذوا مجالسهم ، ومدُّوا أيديهم الى الطعام ، أخذوا سيوفهم من تحت أقدامهم ، فشدَّ الأسود على عمليق فقتله ، وكل رجل منهم على جليسه حتى أماتوهم ، فلما فرغوا من الأشراف شدُّوا على السِّفلة فلم يدعوا منهم أحداً ؛ وقال الأسود ذلك:

ذوقي ببغيك يا طسم مجللةً
فقد أتيت لعمري أعجب العجب
إنا اتينا فلم ننفك نقتلهم
والبغي هيج منا سورة الغضب
ولن يعود علينا بغيهم أبداً
ولن يكونوا كذي أنفٍ ولا ذنب
وإن رعيتم لنا قربى مؤكدةً
كنا الاقارب في الأرحام والنسب

أحمى من مجير الظُّعْن(١)*

حكي ان نبيشة بن حبيب السلمي خرج غازيا، فلقي ظُعُناً من كنانة بالكديد، فأراد ان يحتويها؛ فمانعه ربيعة بن مكدَّم(٢) في فوارس، وكان غلاماً له ذؤابة، فشدَّ عليه نبيشة، فطعنه في عضده، فاتى ربيعة أمه وقال:

شدّي عليَّ العصبَ أمَّ سيّار
فقد رزئتِ فارساً كالدينار

---

* الميداني ـ مجمع الامثال ج١ ص ٢٢١ / الأصفهاني: ابو الفرج ـ الاغاني ج ١٤ ص ١٣١

١ ـ الظُّعن ج الظعينة: الزوجة أو المرأة ما دامت في الهودج أو عموماً. يقال: « هؤلاء ظعائنه » أي نساؤه.

٢ ـ ربيعة بن مكدَّم: أحد فرسان مضر المعدودين وشجعانهم المشهورين. قتله نبيشة بن حبيب السلمي في يوم الكديد.

فقالت أمه:

إنــا بني ربيعــة بن مــالــك
نــرزأ في خــيــارنــا كــذلــك
من بــين مقتــول وبــين هــالــك
ولا يــكــون الــرزء إلا كــذلــك

ثم عصبته، فاستسقـاها مـاءً، فقالت: إذهب فقاتل القوم، فإن الماء لا يفوتك.

فـرجع وكـرّ على القـوم فكشفهم، ورجع الى الظُّعْن وقال: إني لمائت، وسأحميكن ميتاً، كما حميتكن حياً، بأن أقف بفرسي على العقبة، وأتكىء على رمحي، فـان فاضت نفسي، كـان الرمـح عمـادي فالنجاء النجاء؛ فاني أردُّ بذلك وجوه القوم ساعة من النهار.

فقـطعن العقبة، ووقف هـو بازاء القـوم عـلى فرسه، متكئاً على رمحه، ونَزَفَه الدمُ ففاظ[1]، والقوم بـإزائـه يُحجمـون عن الاقـدام عليـه، فلما طـال وقوفه في مكانه، ورأوه لايـزول عنه، رمـوا فرسـه

١ ـ فاظ: مات

فقمص[1]، وخر ربيعة لوجهه، فطلبوا الظعن فلم يلحقوهن.

ثم إن حفصَ بن الأحنف الكناني مرّ بجيفة ربيعة فعرفها، فأمال عليها أحجاراً من الحرَّة[2]، وقال يبكيه:

لايَبْعَدَنَّ ربيعة بن مُكدَّم
وسقى الغوادي قبره بذَنُوب[3]
نفرت قلوصي[4] من حجارة مرة
بنيت على طلق اليدين وهوبِ
لاتنفري يا ناقُ منه فإنه
شرَّابُ خمرٍ مسعرٌ لحروب

---

١ - قمص: وثب ونفر.

٢ - أرض حرَّة: لارمل فيها.

٣ - الذنوب: القبر.

٤ - القلوص من الابل: الطويلة القوائم / الشابة منها أو الباقية على السير / أول ما يركب من أناثها.

لـولا السِّفَـارُ وبِعـــده من مهمــه[1]
لتــركتهـا تحبــو عــلى العُــرقــوب

قال ابو عبيدة: قال ابو عمر بن العلاء:

ما نعلم قتيلاً حمى ظعائن غير ربيعة بن مكدَّم .

---

١ ـ المهمه: المفازة والبرية القفر

إنما الذلفاء ياقوتة*

كـان سليمان بن عبـد الملك من أشدِّ النـاس غيرة.

فحكى أبـو زيد الأسـدي قـال: دخلت عـلى سليمان بن عبد الملك وهو على دكان مبلَّط بالرخام الأحمر، مفروش بالديباج[1] الأصفر، في وسط بستان قد أينعت ثماره، ورنت أطياره، وأزهر نبت الربيع؛ وعلى رأسه وصـائف[2] كـل واحـدة أحسن من صاحبتها. فقلت: السلام عليك يـا أمير المؤمنـين ورحمة الله وبركاته.

---

* ابن قيم الجوزية ـ اخبار النساء ص ١٠٣

١ ـ الديباج: ضرب من الثياب (مشتق من الدَّبج: النقش والتزيين ـ فارسي معرب)

٢ ـ الوصيفة: الفتاة دون المراهقة. ج وصائف.

وكان سليمان مطرقاً، فرفع رأسه فقال: أبا زيد، في مثل هذا اليوم يصلب أحد حياً؟!!

فقلت: يا سيدي، يا أمير المؤمنين، أو قد قامت القيامة؟!

قال: نعم على أهل الهوى سراً. ثم أطرق، ورفع رأسه وقال: أبا زيد ما يطيب في يومنا هذا؟

فقلت: قهوة حمراء، في زجاجة بيضاء، تناولنيها مقدودة هيفاء، مضمومة لفاء **دعجاء**[1]، أشربها في كفها، وأمس فمي بفمها.

فاطرق سليمان ملياً ودموعه تنحدر. فلما رأى الوصائف ذلك تنحين عنه، فرفع رأسه وقال: يا أبا زيد، حللت والله في يوم انقضاء أجلك، وتصرم مدتك وفناء عمرك. والله لأضربنَّ عنقك أو تخبرني ما الذي أثار هذه الصفة من قلبك؟

قلت: نعم يا أمير المؤمنين، كنت جالساً على

---

١ ـ لفاء: المرأة، اذا ضاق ملتقى فخذيها لكثرة لحمها. والدعج: أن تكون العين شديدة السواد مع سعة المقلة.

باب أخيك سعيد بن عبد الملك وإذا جارية قد خرجت الى باب القصر عليها قميص اسكندراني، يبين منه بياض ثديها، وتدوير سرتها، ونقش تكتها[1]، وفي رجليها نعلاها، قد أشرق بياض قدميها على حمرة نعليها، ولها ذؤابة[2] تضرب الى حقويها[3] وتسيل كالعثاكيل[4] على منكبيها، وطرّة قد أسبلت على جبينها، ولها صدغان كأنهما نونان على وجنتيها، وحاجبان قد تقوسا على محجري عينيها، وعينان مملوءتان سحراً، وأنف كأنه قصبة درّ، وهي تقول: (عباد الله ما الدواء لما لايشتكى، والعلاج مما لاينتمى؟ طال الحجاب، وأبطأ الكتاب. العقل ذاهب، واللب عازب[5]، والعين عبرى، والأرق

---

١ ـ التكة: رباط السروال

٢ ـ الذؤابةج ذوائب: الشعر المضفور من شعر الرأس. يقال في التهديد «لافتلنَّ في ذؤابتك» أي لاذلّنّك.

٣ ـ الحقو: الخصر.

٤ ـ العثكولة: ما علق من عهن أو صوف أو زينة فتذبذب في الهواء.

٥ ـ عَزَبَ عُزُوباً: بعد وغاب وخفي فهو عازب.

دائم، والـوجـد مـوجـود، والنفس والهـة، والفؤاد مختلس. فرحم الله قوماً عاشوا تجلداً، وماتوا تبلداً؛ لو كان في الصبر حيلة، والى العزاء وسيلة، لكان أمراً جميلاً! »

فقلت: أيتهـا الجاريـة إنسيـة أنت أم جنيـة، سماوية أو أرضية، فقد اعجبني ذكاء عقلك، وأذهلني حسن منطقك؟!.

فسترت وجهها بكمها، كأنها لم ترني، وقالت: أعذر أيها المتكلم، فما أوحش الوجد بلا مساعد، والمقاساة لصب معاند، ثم انصرفت.

فـو الله يا أمـير المؤمنين، مـا أكلت طيباً إلا غصصت به لذكرها، ولا رأيت حسناً إلا سمج في عيني لحسنها.

فقال سليمان: أبا زيد، كاد الجهل يستفزني، والصبا يعاودني، والحلم يعزب عني، تلك الذلفاء[١] التي يقول فيها الشاعر:

---

١ ـ الذلفاء: مغنية فتنت اهل المدينة بغنائها. وقال بعض من كانت عنده بعدما طلقها: =

إنمـــا الــذلــفــاء يــاقــوتــة
أخـــرجــت مـن كـيس دهـقــان[1]

شراؤها على أخي ألف ألف درهم، وهي عاشقة لمولاها الذي باعها منه. والله لامات إلا بحسرتها، ولافارق الدنيا إلا بغصتها. وفي الصبر سلوة، وفي توقع الموت نهية. قم أبا زيد فاكتم المفاوضة، ويا غلام ثقل يده ببدرة[2].

قال: فلما هلك سعيد بن عبد الملك صارت الجارية الى أخيه سليمان ولم يكن في عصرها أجمل منها، فملكت قلبه، وغلبت عليه دون سائر جواريه. فخرجا يوماً الى دهناء الغوطة[3] بموقع يقال له دير

= لا بــارك الله في دار عــددت بهــا
طـلاق ذلـفــاء مـن دار ومـن بـلد
فــلا يقولن ثــلاثــاً قــائــلٌ أبــداً
إني وجـدت ثـلاثــاً أنكـد العــدد.

١ ـ الدهقان: التاجر.
٢ ـ البدرة: عشرة آلاف درهم.
٣ ـ الدهناء: الفلاة. والغوطة: موضع كثير الماء والشجر.

الرهبان فضرب فسطاطه في روضة خضراء مونقة، زهـراء، ذات حدائق وبهجـة، حفها أنـواع الزهـر الغض. فمن بين أصفر فاقع، وأبيض ساطع، مثل النبات تحمل منـه الريـح نسيم المسك الأذفـر(١)، ويؤدي تضوع عرفها فتيت العنبر.

وكان له مغنٍ يـأنس به، ويسكن اليـه ويكثر الخلوة معه، ويستمع حديثه يقـال له يسـار؛ وكان أحسن الناس وجهاً، وأظرفهم ظرفاً. فأمر بضرب فسطاطه بالقرب منه، وكانت الذلفاء قد خرجت مع سليمان الى ذلك المنتزه، فلم يزل يسار يومه ذلك عند سليمان في أكمل سرور، وأتم حبور، الى أن أتى الليل، وحان انصراف يسار الى موضعه، فوجد جماعة قد أناخوا به، فسلموا عليه فرد عليهم السلام جذلان بنزولهم، وفرح بدخولهم، فاحضر الـطعام فـأكلوا، وقدَّم الشراب فنالوا منه. ثم قال: هل من حاجة؟

---

١ ـ المسك: طيب وهو من دم دابة كالظبي يدعي «غزال المسك» أو نبات له زهر من فصيلة النرجسيات، مكسيكي الأصل. تتجمع اوراقه عند القاعدة، ازهاره بيضاء شائكة، لها رائحة ذكية جداً. والأذفر: الطيب، الرائحة.

قالوا: ما جئناك إلا للقرى.

فقال: بالجانب الخصب نزلتم، وبالمنزل الرحب حللتم.

فقالوا له: أما الطعام فقد أكلنا وأما الشراب فقد حضر، وبقي السماع.

قال: أما السماع فلا سبيل اليه مع غيرة أمير المؤمنين، ونهيه إياي عن الغناء إلا ماكان في مجلسه.

قالوا: فلا حاجة لنا في الطعام عندك مالم تسمعنا.

فلما رآهم غير مُوقِلين[1] عنه رفع عقيرته[2] وغنّى بهذه الأبيات:

محجوبة سمعت صوتي فأرّقها
في آخر الليل حتى ملّها السهر

---

١ ـ وقل: رفع رجلاً واثبت أخرى ويقصد بها الذهاب.
٢ ـ العقيرة: صوت المغني والباكي والقاريء. يقال: «رفع عقيرته» أي صوته.

لم يجب الصوت أجراس ولا غَلَق[1]
فـدمعهـا لـطروق الصـوت ينحـدر
في ليلة البـدر لايـدري مضـاجعهـا
أوجههـا عنده أضـوا، أم القمـر
لـو خُلِّيت لمشت نحوي عـلى قـدم
يكـاد من لينـه لـلمشي ينـفـطر

قال: فلما سمعت الذلفاء صوت يسار، خرجت الى صحن الفسطاط تسمع، فجعلت لاتسمع شيئاً من خلق ولطافة قط، إلا الذي وافق المعنى.... فحَّرك ذلك ساكنا كان في قلبها فهملت عيناها، وعلا نشيجها.

فانتبه سليمان فلم يجدها معه في الفسطاط، فخرج الى صحنه فرآها على تلك الحال، فقال لها: ما هذا يا ذلفاء؟!

فقالت، يا أمير المؤمنين:

ألا ربَّ صوتٍ رائعٍ من مُشـوَّهٍ
قبيـح المحيا واضـع الأب والجـد

---

١ ـ الغلق: ما يغلق به الباب أو الباب العظيم.

يـــروعـــك منـــه صـــوتـــه ولـعله
الى أمَـــةٍ يعـــزى معـــاً والى عبـــدِ

فقال سليمان : دعيني من هذا، فوالله لقد خامر قلبك منه ما خامر. يا غلام ، عليَّ بيسار .

فدعت الذلفاء خادماً لها وقالت: ان سبقت الى يسار وحذرته فلك عشرة الآف درهم وأنت حرّ.

فسبق رسول سليمان فأحضره، فلما وقف بين يديه، وسليمان يرعد غيرة ، قال: من أنت؟

فقال: يسار.

فقال سليمان:

تـثكـــل في الـثكـــل يســـاراً أمُّــه
كـــان لها ريحـــانـــة تـــشـــمّـــه
وخـــالـــه يـــثـــكـــله وعـــمـــه
ذو شـــفـــة حيـــاتـــه تـــغـــمـــه

فقال يسار:

واســتبـقـني الى الـصبـــاح اعـتـذر
إن لـســـاني بـــالـشـــراب مـــنـكـسر

فـأن أكـن أذنبـت ذنبـاً أو عـثر
فـالسيـد المـولى أحق من غـفـر

ثم قال: يا يسار ألم أنهك عن مثل هذا الفعل؟

فقال: يا أمير المؤمنين، حملني الثمل[1] وقوم طرقوني، وأنا عبد أمير المؤمنين. فإن رأى أن لايضيع حظّه مني فليفعل.

قال: أما حظي منك فلم أضيعه، ولكن لاتركتُ للنساء فيك حظاً أبداً يا يسار. أما علمت ان الرجل اذا تغنى أصغت اليه المرأة؟ وان الحصان اذا صهل تودقت[2] له الفرس، وان الفحل اذا هدر، صغت له الناقة. يا غلام إتني بختّان. فختننه، فعاش بعد ذلك سنة ومات. فسمي الدير دير الخصيان وبه يعرف الى الآن.

---

١ ـ الثمل : السكر الشديد.
٢ ـ ودقت ذات الحافر : ارادت الفحل.

تجوع الحرَّة ولا تأكل بثدييها*

كان الحارث بن سليل الأسدي، حليفاً لعلقمة بن حَصَفة الطائي: فزاره فنظر الى ابنته الزَّباء - وكانت من أجمل أهل دهرها - فأعجب بها فقال له: أتيتك خاطباً، وقد ينكح الخاطب، ويدرك الطالب، ويمنح الراغب.

فقال له علقمة: أنت كفؤ كريم، يقبل منك الصفو، ويؤخذ منك العفو، فأقم ننظر في أمرك؛ ثم انكفأ الى أمها فقال: إن الحارث بن سليل سيد قومه حسباً ومنصباً وبيتاً، وقد خطب الينا الزباء، فلا ينصرفنَّ إلا بحاجته.

فقالت امرأته لابنتها: أيُّ الرجال أحبّ إليك؟

* الميداني - مجمع الامثال ج١ ص١٢٢ / الجاحظ - المحاسن والاضداد ص ١٤٠.

الكهل الجحجاح[1]، الواصل المنّاح[2]، ام الفتى الوضاح؟

قالت: لا بل الفتى الوضّاح.

قالت: إن الفتى يُغيُرك[3]، وإن الشيخ يَميرُك[4]؛ وليس الكهل الفاضل، الكثير النائل، كالحديث السنّ، الكثير المن.

قالت: يا أمتاه إن الفتاة تحب الفتى، كحب الرعاء أنيق الكلا[5]

قالت: أي بنية، إن الفتى شديد الحجاب، كثير العتاب.

قالت: إن الشيخ يبلي شبابي، ويدنس ثيابي، ويشمت بي أترابي.

فلم تزل أمها بها حتى غلبتها على رأيها، فتزوجها

---

١ ـ الجحجاح: السيد الكريم.
٢ ـ المناح: الكثير العطايا.
٣ ـ أغار الرجل امرأته: تزوج عليها فغارت عليه.
٤ ـ يمير عياله: يأتيهم بالطعام والمونة.
٥ ـ أنيق الكلا: العشب النظيف.

الحارث، على مائة وخمسين من الإبل، وخادم وألف درهم، فابتنى بها، ثم رحل بها الى قومه، فبينا هو ذات يومٍ جالس بفناء قومه وهي الى جانبه، إذ أقبل اليه شباب من بني أسد يعتلجون[1]، فتنفست صُعَداء، ثم أرخت عينها بالبكاء، فقال لها: ما يبكيك؟

قالت: مالي وللشيوخ، الناهضين كالفُرُوخ[2]

فقال لها: ثكلتك أمك تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها[3]

ثم قال: أما وأبيك لرب غارةٍ شهدتها، وسبيَّةٍ أردفتها، وخمرة شربتها، فالحقي بأهلك فلا حاجة لي فيك، وقال:

---

١ ـ العلج: الرجل الضخم القوي.

٢ ـ فرَّخ القوم: ضعفوا وفزعوا كالفراخ. والفروخ: أولاد الطيور.

٣ ـ ذهبت مثلاً. وقيل: «لا تأكل ثدييها» وكلاهما في المعنى سواء. لان معنى «لا تأكل ثدييها» لا تأكل أجرة ثديها. ومعنى «بثدييها» أي لا تعيش بسبب ثدييها وبما يُغلاّن عليها.

تهــزأت ان رأتـني لابـســاً كــبــراً
وغـاية النـاس بين المـوت والكبـر.
فـإن بقيتِ لقيتِ الشيـب راغمـةٍ
وفي التعـرُّف مـا يمضي من العِبَـرِ
وإن يكن قــد عـلا رأسي وغيَّـره
صـرف الـزمـان وتغيـير من الشعـرِ
فقــد أروح للذات الفتى **جـذلاً**(1)
وقــد أصيب بهـا عينـاً من البقـرِ
عــني الـيــلكِ فــاني لاتــوافـقــني
عور(2) الكلام ولا شرب على الكدر

---

١ ـ جَذِل: فرح فهو جذل.
٢ ـ العورة: كل مكمن للستر، وكل أمر يستحيا منه.

إنَّه لكاذب*

كان الفاكه بن المغيرة المخزومي ، أحد فتيان قريش، وكان قد تزوج هند ابنة عتبـــة ، وكان له بيت للضيافة يغشاه الناس فيه بلا إذن ؛ فقَالَ[1] يوماً في ذلك البيت وهند معه ، ثم خرج عنها وتركها نائمة ، فجاء بعض من كان يغشى البيت . فلما وجد المرأة نائمة ولى عنها ، فاستقبله الفاكه بن المغيرة ، فدخل على هند وأنبهها ، وقال : من هذا الخارج من عندك ؟

قالت : والله ما انتبهت حتى أنبهتني ، وما رأيت أحداً قط .

قال : إلحقي بأبيك !

---

* إبن عبد ربه ـ العقد الفريد ج٧ ص ٨٠.

١ ـ قَالَ : استراح. والقالة : النوم في الظهيرة.

وخاض الناس في أمرها ، فقال لها أبوها : يا بنية العار وإن كان كذباً ، أبثيني شأنك ، فإن كان الرجل صادقاً، دسست عليه من يقتله فيقطع عنك العار، وإن كان كاذباً حاكمته الى بعض كهان اليمن .

قالت : وا لله يا أبتِ إنه لكاذب !

فخرج عتبة فقال : إنك رميتَ ابنتي لشيء عظيم ، فإما أن تبين ما قلت ، وإلا فحاكمني الى كهان اليمن .

قال : ذلك لك . فخرج الفاكه في جماعة من رجال قريش ، ونسوة من بني مخزوم . وخرج عتبة في رجال ونسوة من بني عبد مناف .

فلما شارفوا بلاد الكاهن تغيّر وجه هند ، وكسف بالها . فقال لها أبوها : أي بنية . ألا كان هذا قبل ان يشتهر في الناس خروجنا ؟!

قالت : يا أبت، والله ما ذلك لمكروه قِبلي ، ولكنكم تأتون بشراً يخطىء ويصيب ، ولعله ان يَسِمَني بِسمَة تبقى على ألسنة العرب .

فقال لها أبوها : صدقت . ولكني سأخبره فصفَّر بفرسه ، فلما أدلى عمد الى حبة برٍّ فادخلها في إحليله ، ثم أوكى[1] عليها وسار.

فلما نزلوا على الكاهن أكرمهم ونحر لهم ، فقال له عتبة : إنا أتيناك في أمر، وقد خبأنا لك خبيئة ، فما هي ؟

قال : برَّة في كمرة[2].

قال : أريد أبين من هذا .

قال : حبة برٍّ في إحليل مهر.

قال : صدقت، فأنظر في أمر هؤلاء النسوة .

فجعل يمسح رأس كل واحدة منهن ، ويقول : قومي لشأنك حتى اذا بلغ الى هند ، مسح يده على رأسها وقال : قومي غير رقحاء ولا زانية .

فلما خرجت أخذ الفاكه بيدها ، فنثرت يده من

---

١ ـ أوكى القربة وعلى ما في القربة : شدها بالوكاء. والوكاء: رباط القربة ونحوها ؛ أو كل ما شد رأسه من وعاء ونحوه.
٢ ـ الكمرة : رأس الذكر.

يدها وقالت : إليك عني . . وتزوجها أبو سفيان فولدت له معاوية .

وأد البنات*

ذكر الهيثم بن عدي[1] أن الوأد كان مستعملاً في قبائل العرب قاطبة ، وكان يستعمله واحد ويتركه عشرة ؛ فجاء الإسلام وقد قلَّ ذلك فيها إلا من بني تميم فإنه تزايد فيهم ذلك قبل الإسلام وكان السبب في ذلك أنهم كانوا منعوا الملك ضريبته ، وهي الإتاوة التي كانت عليهم ؛ فجرد اليهم النعمان أخاه الريان

---

* الميداني ـ مجمع الامثال ج١ ص ٤٢٥ / الأصفهاني: أبو الفرج ـ الأغاني ج ١٢ ص ١٥٠.

١ ـ الهيثم بن عدي: ابو عبد الرحمن الهيثم الثعلي عالم بالشعر والأخبار والمثالب والمناقب والمآثر والانساب وكان يطعن في نسبه له عدة مؤلفات. توفي سنة ٢٠٧ هـ.

مع دوسر[1] ، فاستاق نعمهم ، وسبى ذراريهم ، وفي ذلك يقول أبو المشمرج اليشكري[2].

لما رأوا رأية النعمان مقبلة
قالوا ألا لَيتَ أدنى دَارِنا عَدَنُ

يا ليت أمَّ تميم لم تكن عرفت
مرّاً وكانت كمن أودي به الزمنُ

---

١ ـ دوسر : إحدى كتائبه . وكان اكثر رجالها من بكر بن وائل .

٢ ـ ابو المشمرج اليشكري : هو الذي سبب وأد البنات في الجاهلية ، حيث يروى ان المشمرج اليشكري أغار على بني سعد ، فسبى منهم نساء واستاق أموالاً ، وكان في النساء امرأة خالها قيس بن عاصم ، الذي رحل اليهم يسألهم ان يهبوها له أو يفدوها ، فوجد عمرو بن المشمرج قد اصطفاها لنفسه ، فسأله فيها فقال : قد جعلت أمرها إليها فإن اختارتك فخذها . فخيرت فاختارت عمرو بن المشمرج ؛ فانصرف قيس فوأد كل بنت وجعل ذلك سنة كل بنت تولد له ، واقتدت به العرب في ذلك ، فكان كل سيد يولد له بنت يئدها خوفاً من الفضيحة .

إن تقتلونا فأعيارٌ مجدَّعةٌ[1]
أو تُنعِموا فقديماً منكم المِنَنُ

فوفدت وفود بني تميم على النعمان بن المنذر وكلموه في الذراري ، فحكم النعمان بأن يُجعل الخيار في ذلك الى النساء، فأية امرأة اختارت زوجها ردَّت عليه ، فاختلفن في الخيار ، وكان فيهن بنت لقيس بن عاصم، فاختارت سابيها على زوجها . فنذر قيس بن عاصم أن يدس كل بنت تولد له في التراب ، فوأد بضع عشرة بنتاً . .

وبصنيع قيس بن عاصم وإحيائه هذه السنة نزل القرآن في ذمِّ وأد البنات .

---

١ ـ العار ج أعيار : العيب وكل ما يُعيَّر به الانسان من قولٍ أو فعل. وجدَّعه: قال له « جدعاً لك » أي جعلك الله معيباً وقطع عنك الخير.

معجم صفات المرأة*

اذا كانت المرأة ضخمة في تعمّد وعلى اعتدال فهي : رجلة.

فإذا زاد ضخمها ولم تقبح فهي : مسبحلة.

فإذا كانت طويلة قيل: جارية سبطة وعيطبول .

فإذا كانت بها مسحة من جمال فهي : جميلة ووضيئة.

فإذا أشبه بعضها في الحسن بعضاً فهي : حَسّانة .

فإذا استغنت بجمالها عن الزينة فهي : غانية.

فإذا كانت لا تبالي أن تلبس ثوباً حسناً ، ولا قلادة فاخرة فهي : معطال .

---

* ابن قيم الجوزية ـ أخبار النساء ص ٢٢٨.

فإذا كان حسنها ثابتاً كأنها وسمت بـه فهي: وسيمة.

فإذا قسم لها حظ وافر من الحسن فهي: قسيمة.

وإذا كانت المرأة شابة حسنة الخلق فهي : خُود.

فإذا كانت جميلة الوجه، حسنة المعرى فهي: بهكنة.

فإذا كانت دقيقة المحاسن فهي : مملودة.

فإذا كانت حسنة القد، لينة العصب فهي : خرعبة.

وإذا كانت لم يركب بعض لحمها بعضاً فهي : متبلة .

فإذا كانت لطيفة البطن فهي : خمصانة.

فإذا كانت لطيفة الكشحين فهي : هضيم.

فإذا كانت لطيفة الخصر مع امتداد القامة فهي : ممشوقة.

فإذا كانت طويلة العنق في اعتدال وحسن فهي: عطبول.

فإذا كانت عظيمة العجيزة فهي : رداح .

فإذا كانت سمينة متلئة الذراعين والساقين ، فهي : خدلجة .

فإذا كانت سمينة ترتج من سمنها، فهي : مرمادة

فإذا كانت ترعدمن الرطوبةوالعضاضة، فهي : برهرهة .

فإذا كانت كأن الماء يجري في وجهها ، فهي : رقراقة .

فإذا كانت رقيقة الجلد، ناعمة البشرة ، فهي : بضّة .

فإذا عرفت في وجهها نضرة النعيم، فهي :نضرة .

فإذا كان فيها فتور عند القيام لسمنها، فهي : أناة ووهنانة .

فإذا كانت طيبة الريح ، فهي : بهنانة .

فإذا كانت عظيمة الخلق مع جمال ، فهي : عرهرة .

فإذا كانت ناعمة جميلة، فهي : عبقرة .

فإذا كانت مثنيـة للين وتعمّد ، فهي : غيـداء وغادة.

فإذا كانت طيبة الفم ، فهي : رشوف.

فإذا كانت طيبة ريح اليد، فهي : أنوف.

فإذا كانت طيبة الخلوة ، فهي : رصوف.

فإذا كانت لعوباً ضحوكاً، فهي : شموع.

فإذا كانت تامة الشعر، فهي : فرعاء.

فإذا لم يكن لمرفقيها حجم من سمنها ، فهي : درماء.

فإذا ضاق ملتقى فخذيها لكثرة لحمها ، فهي : لفّاء.

فإذا كانت حيّية ، فهي : خَفِرة وخرّيدة.

فإذا كانت مخفضة الصوت ، فهي : رخيمة.

فإذا كانت محبة زوجها ، متحببة اليه ، فهي : عروب.

فإذا كانت نفوراً من الريبة ، فهي : نَوَار.

فإذا كانت تجتنب الأقذار ، فهي : قذور .

فإذا كانت عفيفة فهي : حِصان .

فإذا كانت عاملة الكفين ، فهي : صناع.

فإذا كانت كثيرة الوُلد ، فهي : بنون.

فإذا كانت قليلة الولادة ، فهي : نزَوُر.

فإذا كانت تلد الذكور ، فهي : مِذكار .

فإذا كانت تلد الإناث ، فهي : مئناث.

فإذا كانت تلد مرة ذكراً ومرة أنثى، فهي : مَهَاب.

فإذا كانت لا يعيش لها ولد ، فهي : مِقلات

فإذا كانت تلد النجباء ، فهي : مِنجاب.

فإذا كانت تلد الحُمقَاء ، فهي : مُحْمِقة .

* * *

والممكورة : المطوية الخلق

واللَّدنة : اللينة الناعمة

والمُقْصَدة : التي لا يراها أحد إلا أعجبته.

والخبرنجة: الجارية الحسنة الخلق في استواء

والمُسبَطـرَّة: الجسيمة

والعَجزَاء: العظيمة العجيزة

والرُّعبوبة: الرطبة ـ والرعبوبة: البيضاء

والرجراجة: الدقيقة الجلد

والرتكة: الكثيرة اللحم، والطفلة الناعمة.

والرُّود: المتثنية اللينة

والأملُود: الناعمة؛ ومثلها الخرع ـ مأخوذ من نبت الخروع وهو نبت لين ـ

والبارقة: البيضاء الثغر.

والدهثمة: السهلة.

والعاتق: التي لم تتزوج.

والبلهاء: الكريمة، المغفَّلة عن الشَّر، الغريرة(١)

١ ـ البله: الغفلة عن الشر. وينسب للرسول (ص) الحديث «أكثر أهل الجنة البله» وقد عنى البله في أمر الدنيا.

والعَيطموس : الفطنة والحسناء.

والسهلبة : الخفيفة اللحم ، والمجدولة المشوقة.

والسُّرغُوفَة : الناعمة الطويلة .

والفيصاء والعفَّاء : الطويلة العنق.

والتهنانة : الضحاكة المتهللة.

والغيلم : الحسناء .

والخليق : الحسنة الخلق ؛ وقال الفراء : هي أحسن الناس حيث نظر ناظر ، أي هي أحسن الناس وجهاً.

وقال أبو عمرو : ويقال للمرأة إذا كانت حسناء : كأنها فرس شرهاء. والشرهاء : الحديدة النفس - وأمرأة حسنة المعارف - ومعارفها : وجهها.

والمتحرية : الحسنة المشية في خيلاء.

والشموس : التي لا تطمع الرجل في نفسها ، وهي الذُّعُور .

وأمرأة ظمياء : اذا كانت سمراء - وشفة ظمياء كذلك -

ويقال : أنها لحسنة **العطل** : أي الجسم.

ويقال : **عبقة** : أي التي يشاكلها كل الناس.

وقالوا :

الصباحة في الوجه ، والوضاءة في البشرة ، والجمال في الأنف ، والحلاوة في العينين ، والملاحة في الفم ، والظرف في اللسان ، والرشاقة في القدّ ، واللباقة في الشمائل ، وكمال الحسن في الشعر.

والمرأة **الزهراء** : التي يضرب بياضها الى صفرة كلون القمر والبدر .

والهجان : الحسنة البياض.

والمرأة **طفلة** : ما دامت صغيرة ، ثم **وليدة** اذا تحركت ، ثم **كاعب** اذا كعب ثديها ، ثم **ناهد** إذا زاد ، ثم **معصر** اذا أدركت ، ثم **خود** اذا توسطت الشباب.

الزجاء : الدقيقة الحاجبين الممتدتها حتى كأنهما خطا بقلم .

والبلج : ان يكون بينهما فرجة ، وهو يستحب، ويكره القرن وهو اتصالهما.

والدعج : ان تكون العين شديدة السـواد مع سعة المقلة.

والبرج : شدة سوادهما وشدة بياضهما.

والنجل : سعتهما.

والكحل : سواد جفونهما من غير كحل.

الجور : اتساع سوادهما .

الشنبُ : رقّة الاسنان واستواؤها وحسنها.

الرتل : حسن تنضيدها واتساقها.

التفليج : تفرج ما بينها.

الشتت : تفرقها في غير تباعد في استواء وحسن يقال منه : ثغر شتيت .

الأشـر : تحديـد في أطراف الثنـايا يـدل عـلى الحداثة.

الـظّلم : الماء الـذي يجري عـلى الأسنـان من البريق .

الجيد : طول العنق.

التلع : إشرافها.

إن أكثر البصراء بجواهر النساء، الذين هم **جهابذة**[1] **هذا الأمر ،، يقدمون المجدولة** ، فهي تكون بين السمينة والممشوقة مع جودة القد وحسن الخرط، ولا بد ان تكون كاسية العظام . وإنما يريدون بقولهم مجدولة جُدولة العصب وقلة الاسترخاء ، وان تكون سليمة من الزوائد والفضول.

والتثني في مشية المرأة أحسن ما فيها . ولا يمكن ذلك الفخمة والسمينة ؛ ووصفوا المجدولة فقالوا : أعلاها قضيب وأسفلها كثيب.

---

١ ـ الجهبذ: الناقد والعارف بتمييز الجيد من الرديء (فارسية).

لقيط وابنة ذي الجدين *

رُوي ان زرارة بن عدس نظر الى ابنه لقيط فقال : ما لي أراك مختالاً ؟ كأنك جئتني بابنة ذي الجدّين أو مائة من هجائن النعمان !

فقال : والله لا يمسّ رأسي دهنٌ حتى آتيك بهما أو أبلي عذراً ! فانطلق حتى أتى ذا الجدين ـ وهو قيس بن مسعود الشيباني ـ فوجده جالساً في نادي قومه من شيبان ، فخطب اليه ابنته علانية .

فقال له : هلّا ناجيتني ؟(1)

قال : علمت اني إن ناجيتك لم أخدعك ، وإن عالنتك لم أفضحك !

* إبن عبد ربه ـ العقد الفريد ج٧ ص ٧٨.

١ ـ ناجي مناجاة الرجل : سارّه بما في فؤاده من الأسرار والعواطف. والإسم النجوى.

قال : ومن أنت ؟

قال : لقيط بن زرارة !

قال : لا جرم ، لا تبيتنَّ فينا عزباً ولا محروماً !
فزوجه وساق عنه المهر ، وبنى بها من ليلته تلك .

ثم خرج الى النعمان ، فجاء بمائتين من هجائنه ؛ وأقبل الى أبيه وقد وفى نذره فبعث اليه قيس بن مسعود بابنته مع ولده بسطام بن قيس .

فخرج لقيط يتلقاها في الطريق ومعه ابن عم له يقال له قراد ، فقال لقيط :

هاجت عليك ديار الحي اشجانا
واستقبلوا من نوى الجيران قربانا
تامت[1] فؤادَك لم تقضِ التي وعدت
إحدى نساء بني ذهل بن شيبانا
فانظر قرادُ وهل في نظرة جزع
عرض الشقائق هل بينت أظعانا[2]

١ ـ تام تَيْماً وتيَّمه الحب: عبدّه وذلَّله .
٢ ـ الظعينة ج أظعان: الزوجة أو المرأة ما دامت في الهودج ؛ أو عموماً . يقال : « هؤلاء ظعائنة » أي نساؤه.

فيهن جـاريـة نضـحُ العبـير بهـا
تُكسى تـرائبهـا دراً ومـرجـانـا
كيف اهتـديت ولا نجم ولا علـم
وكنت عندي نئوم الليـل وسنانـا[1]

ولما رحل بها بسطام بن قيس ، قالت : مرُّوا بي على أبي أودعه ؛ فلما ودعته قال لها : يا بنية ، كوني أمة يكن لك عبداً ، وليكن أطيب طيبك الماء ، ثم لا أذكرتِ ولا أيسرتِ[2] ؛ فانك تلدين الأعداء ، وتقربين البعداء ، إن زوجك فارس من فرسان مضر؛ وأنه يوشك ان يقتل أو يموت : فاذا كان ذلك ، فلا تخمشي عليه وجهاً، ولا تحلقي شعراً.

فلما قتل لقيط تحملت الى أهلها ، ثم مالت الى محلة عبد الله بن دارم فقالت : نعم الأحماء كنتم يا بني دارم ، وأنا أوصيكم بالغرائب خيراً ، فلم أر مثل لقيط .

ثم لحقت بقومها ، فتزوجها إبن عم لها ،

---

١ ـ وَسِن : أخذه ثقل النوم أو اشتد نعاسه فهو وسنان .
٢ ـ أيسر : صار ذا غنى فهو موسر.

فكانت لا تسلو عن ذكر لقيط ، فقال لها زوجها : أي يوم رأيت فيه لقيطاً أحسن في عينك ؟

قالت : خرج يوماً يصطاد ، فطرد البقر فصرع منها ، ثم أتاني مختضباً بالدماء ، فضمني ضمة ، ولثمني لثمة، فليتني مت ثمة [1].

فخرج زوجها ففعل مثل ذلك، ثم أتاها ، فضمها ولثمها ، ثم قال لها : من أحسن أنا أم لقيط عندك ؟

قالت مرعى ولا كالسعدان .

---

١ ـ ثَمَّ وثَمَّة وثَمَّتَ : اسم يشار به الى البعيد بمعنى هناك .

تزوجي في قومك *

كانت عثمة بنت مطرود البجلية ذات عقل ورأي مستمع في قومها ، وكانت لها أخت يقال لها خود ، ذات جمال وميسم وعقل ، ثم إنَّ سبعة إخوة من الأزد خطبوا خود الى أبيها ، فأتوه وعليهم الحلل اليمانية ، وتحتهم النجائب الفرُه(1)، فقالوا : نحن بنو مالك بن غُفيلة .

فقال لهم : انزلوا على الماء.

فنزلوا ليلتهم ، ثم أصبحوا غادين في الحُلل

---

* الميداني ـ مجمع الامثال ج1 ص ١٣٧ .

١ ـ النجيب ج نجب : الفاضل النفيس في نوعه. الفاره : النادر . ويقال للبغل والبرذون والحمار.

والهيئة ، ومعهم ربيبة[1] لهم كاهنة[2]، يقال لها الشعثاء. فمروا بوصيدها[3] ، يتعرضون لها ، وكلهم وسيم جميل ؛ وخرج أبوها فجلسوا إليه ، فرحب بهم ، فقالوا : بلغنا ان لك بنتاً ، ونحن كما ترى شباب ، وكلنا يمنع الجانب ، ويمنح الراغب.

فقال أبوها : كلكم خِيَار ؛ فأقيموا حتى نرى رأينا . ثم دخل على ابنته فقال : ما ترين ؟ فقد أتاك هؤلاء القوم ؟

فقالت : زوجني على قدري ، ولا تشطط في مهري ؛ فإن تخطئني أحلامهم لا تخطئني أجسامهم ، لعلي أصيب ولداً ، وأُكْثِرُ عدداً .

فخرج أبوها فقال : أخبروني عن أفضلكم .

قالت ربيبتهم الشعثاء الكاهنة : اسمع أخبرك عنهم :

---

١ ـ الربيبة : الحاضنة / بنت الزوجة / امرأة الرجل اذا كان له ولد من غيرها.
٢ ـ الكاهنة: التي تدَّعي معرفة الأسرار وأحوال الغيب.
٣ ـ الوصيد : الكهف / فناء الدار.

هم إخوة ، وكلُّهم أُسوة . أما الكبير فمالك ، جريء فاتك ، يُتعِبُ السنابك[1] ، ويستصغر المهالك .

وأما الذي يليه فالغُمر ، بحر غَمر[2] ، يقصر دونه الفخر ، نهدٌ[3] صقر .

وأما الذي يليه فعلقمة ، صليبُ المَعْجَمة ، منيع المشتمة[4] قليل الجَمْجَمة[5] .

واما الذي يليه فعاصم ، سيد ناعم ، جلد صارم ، أبيٌّ حازم ، جيشه غانم ، وجاره سالم .

واما الذي يليه فثواب ، سريع الجواب ، عتيد الصواب ، كريم النِّصاب[6] كليث الغاب .

---

١ ـ السُّنْبُك : طرف الحاضر وجانباه من قُدُم وجمعه سنابك .
٢ ـ الغَمْر : الكريم الواسع الخُلُق / الماء الكثير.
٣ ـ النهد : الشيء المرتفع / الكريم لانه ينهد الى معالي الأمور.
٤ ـ المشتمة : السُبَّة .
٥ ـ الجمجمة : هو الكلام الذي لا يُبين من غير أن يقيد بعي ولا غيره .وجمجم في صدره شيئاً : أخفاه ولم يبده .
٦ ـ النِّصاب : الأصل .

وأما الذي يليه فمُدرك بذول لما يملك، عزوب[1] عما يترك يُفني ويُهلك .

وأما الذي يليه فجندل ، لقِرنه مُجدِّل[2] مقلٌّ لما يحمل ، يعطي ويبذل ، وعن عدوه لا ينكل[3] .

فشاورت أختها عثمة فيهم ، فقالت : ترى الفتيان كالنخل ، وما يدريك ما الدَّخل[4] ، اسمعي مني كلمة : إنَّ شرَّ الغريبة يُعلن ، وخيرها يُدفن ، تزوجي في قومك، ولا تغررك الأجسام .

فلم تقبل منها ، وبعثت الى أبيها : زوجني مدركاً ، فتمَّ ذلك على مائة ناقة ورُعاتها . وحملها مدرك ، فلم تلبث عنده إلا قليلاً حتى صبَّحهم فوارس من بني مالك بن كنانة ؛ فاقتتلوا ساعة . ثم

---

١ ـ عزب : بعُد وغاب وخفي .

٢ ـ القِرن : الكفؤ / النظير في الشجاعة أو العلم وغيرهما .

٣ ـ نكل : نكص وجبن يقال «نكل عن العدو وعن اليمين وعن الجواب . » .

٤ ـ الدخل : العيب الباطن . م: رب لذي المنظر، لاخير عنده .

انكشف عن زوجها وإخوته وعشيرته . فسبيت فيمن سبين من النساء.

فبينا هي تسير بكت ، فقالوا: ما يبكيك ؟ أعلى فراق زوجك !

قالت : قبَّح الله جمالاً لا نفع فيه ، إنما أبكي على عصياني أختي في قولها: « ترى الفتيان كالنخل ، وما يدريك ما الدخل » وأخبرتهم كيف خطبوها.

فقال لها رجل منهم ـ يكنى أبا نواس ـ : شاب أسود أفوه[1] مضطرب الخلق ـ أترضين بي على ان أمنعك من ذئاب العرب ؟

فقالت لاصحابه : أكذلك هو ؟

قالوا : نعم ، إنه مع ما ترين ، يمنع الحليلة[2]، وتتقيه القبيلة.

قالت : هذا أجمل جمال، وأكمل كمال ، ، قد رضيت به ؛ فزوجوها منه .

---

١ ـ رجل أفوه : عظيم الفم طويل الاسنان.
٢ ـ الحليلة : الزوجة لانها تحل مع زوجها ويحل معها.

حب ووفاء*

عن أبي حمزة الكناني قال :

كنت في حرس خالد بن عبد الله القسري[1]، فقال خالد : من يحدثني بحديث يستريح إليه قلبي ؟

فقلت : أنا .

فقال : هات.

فقلت : بلغني أنه كان فتى من بني عذرة ، وكانت له امرأة منهم ، وكان شديد الحب لها ، وكانت له مثل ذلك ، فبينا هو ذات يوم ينظر وجهها

* ابن قيم الجوزية ـ أخبار النساء ص ١٣٠ .

١ ـ خالد بن عبد الله القسري : كان أمير العراقين من جهة هشام بن عبد الملك ، وولي مكة سنة ٨٩ هـ ، يعد من جملة خطباء العرب المشهورين بالفصاحة والبلاغة ، وكان جواداً كثير العطاء .

إذ بكى ، فنظرت الى وجهه وبكت ، فقالت له : ما الذي أبكاك ؟

قال : والله ، اتصدقينني إن صدقتك ؟

قالت : نعم .

قال لها : ذكرت حسنك وجمالك ، وشدة حبي ، فقلت أموت فتتزوج زوجاً غيري .

فقالت : والله والله ، أن ذاك الذي أبكاك ؟

قال : نعم .

قالت : وأنا ذكرت حسنك وجمالك ، وشدة حبي لك ، فقلت أموت فيتزوج امرأة غيري .

قال الرجل : فان النساء حرام علي بعدك . فلبثا ما شاء الله . ثم ان الرجل توفي فجزعت عليه جزعاً شديداً ، فخاف اهلها على عقلها ان يذهل ، فأجمع رأيهم على ان يزوجوها ، وهي كارهة ، لعلها تتسلى عنه . فلما كان في الليلة التي تهدى فيها الى بيت زوجها ، وقد نام أهل البيت ، والماشطة[1] تهيء من

١ ـ الماشطة : التي تحسن المشط وتتخذ ذلك حرفة لها .

شعرها ، اذ نامت نومة يسيرة ، فرأت زوجها الأول داخلاً عليها من الباب وهو يقول : خنت يا فلانة عهدي ، والله لا هنيت العيش بعدي ، فانتبهت مرعوبة ، وخرجت هاربة على وجهها ، وطلبها أهلها فلم يقعوا لها على خبر.

كيف جمع بينهما ؟ !*

قال الأصمعي : أخبرني رجل من بني أسد أنه خرج في طلب إبلٍ قد ضلَّت ؛ فبينا هو يسير في بلاء وتعب ، وقد امسى في عشية باردة ، إذ رفعت له أعلام ؛ قال : فقصدت بيتاً منها ، فإذا أنا بامرأة جميلة ذات جزالة[1]، فسلمت فردَّت علي السلام ، ثم قالت : أدخل ، فدخلت ، فبسطت لي ومهدت[2] ؛ واذا في حجرها صبيٌّ أطيب ما يكون من الولدان .

فبينا هي تقبله ، إذ أقبل رجلٌ أمام الإبل ، دميم المنظر ، ضئيل الجسم كأنَّه بعرة دمامةً واحتقاراً ؛ فلما بصر به الصبي ، هشَّ إليه وعدا في

---

* الجاحظ ـ المحاسن والاضداد ص ٢٠٣ .
١ ـ الجزالة : جودة الرأي .
٢ ـ مهد الفراش : بسطه ووطّأه.

تلقائه ، فاحتمله وجعل يقبله ويفديه . فقلت في نفسي : أظنه عبداً لها . فجاءني ووقف بباب الخيمة وسلَّم ؛ فرددت عليه السلام . فقال : من ضيفكم هذا ؟ فأخبرته ، فجلس الى جانبها ، وجعل يداعبها ، فطفقت أنظر إليها تارة وإليه أخرى ، أتعجَّب من اختلافهما ، كأنها الشمس حسناً ، وكأنه القرد قبحاً ؛ ففطن لنظري ، وقال : يا أخا بني أسد ، أترى عجباً ؟! قال : تقول أحسن الناس وجهاً ، وأقبح الناس وجهاً ، فليت شعري كيف جمع بينهما ؟! أخبرك كيف كان ذلك ؟

قلت : ما أحوجني الى ذلك .

قال : كنت سابع إخوتي كلهم ، لو رأيتني معهم ظننتني عبداً لهم ، وكان أبي واخوتي كلهم أصحاب إبل وخيل ، وكنت من بينهم مطروحاً لكل عمل دنيء ؛ للعبودية تارة ، ولرعي الإبل أخرى ؛ فبينا أنا ذات يوم تعبٌ مكتئبٌ ، إذ ضل لنا بعير ، فتوجه اخوتي كلهم في بغائه [1] ، فلم يقدروا عليه ، فأتوا أبي وقالوا : إبعث فلاناً ينشد لنا هذا البعير .

---

١ ـ في بغائه : في طلبه .

فدعاني أبي وقال : أخرج فانشد هذا البعير .

فقلت : والله ما أنصفتني ولا بَنُوك . أما إذا الإبل درت ألبانها ، وطارت ركوبها ، فأنتم جماعة أهل البيت أربابها ، وإذا ندَّت ضلالها[1] فأنا باغيها .

فقال : قم يا لكع[2] فإني أراه آخر يومك .

فغدوت مقهوراً خلق الثياب ، حتى أتيت بلاداً لا أنيس بها ، فطفقت يومي ذلك أجول في القفر ؛ فلما أمسيت رُفِعت لي أبيات ، فقصدت أعظم بيت منها ، فإذا امرأة جميلة مخيلة للسؤدد والجزالة فبدأتني بالتحية وقالت : انزل عن الفرس وأرح نفسك . فأتتني بعشاء فتعشيت ، وأقبلت هذه تسخر مني وتقول : ما رأيت كالعشية أطيب ريحاً منك ، ولا أنظف ثوباً ، ولا أجمل وجهاً !!!...

---

١ ـ ند البعير: نفر وذهب شارداً. ضلَّ الطريق أو عنه : لم يهتد إليه.

٢ ـ اللكع : الصبي الصغير.

فقلت : يا هذه دعيني وما أنا فيه ، فإني عنك في شغل شاغل .

فأبت عليّ وقالت : هل لك ان تلج عليّ السجف[1] إذا نام الناس ؟

فأغراني ـ والله ـ الشيطان ، فلما شبعت من القرى ، وجاء أبوها وإخوتها فضجعوا أمام الخيمة قمت ووكزتها برجلي .

قالت : ومن أنت ؟!

قلت : الضيف .

قالت : لا حياك الله ، أخرج عليك لعنة الله .

فعلمت أني لست في شيء من أمرها ، فوليت راجعاً ، فواثبني كلب كأنه السبع لا يطاق ، فاراد أكلي ، فانشب أنيابه ، في مِدرعة صوف[2] كانت عليَّ ، وجعل يمزقني ، فردّني القهقرى ، وتعذر علي

---

١ ـ السجف : الستر .

٢ ـ المدرعة عند اليهود: ثوب من كتان كان يلبسه عظيم أحبارهم .

الخلاص ، فأهويت أنا والكلب من قبل عقبي في بئر ، أحسن الله إليَّ أنه لا ماء فيها.

فلما سمعت المرأة الواعية ، أتت بحبلٍ فأدلته ، وقالت : إرتقِ ، لعنك الله ، فوالله لولا أنه يُقتصُّ أثري غداً ، لوددت أنها قبرك .

فاعتنقت الحبل ، فلما كدت أن أتناول يدها قضي أن تهوَّر ما تحت قدميها ، فإذا أنا وهي والكلب في قرارة البئر ؛ بئراً أيما بئر ؟! إنما هي حفرة لا طي لها ولا مِرقاة[1]، كأشد بليةٍ بنا عضّاً : الكلب ينبح من ناحية ، وهي تدعي بالويل والثبور من ناحية ، وأنا منقبع قد برد جلدي على القتل من ناحية .

فلما أصبحت أمها، افتقدتها فلم ترها ، فأتت أباها وقالت : يا شيخ ، أتعلم أنَّ ابنتك ليس لها أثر يحس ؟

وكان أبوها عالماً بالآثار ، تابعاً لها ؛ فلما وقف على شفير البئر ، ولّى راجعاً فقال لولده: يا بنيَّ ! أتعلمون أن أختكم وضيفكم وكلبكم في البئر ؟!

---

١ ـ المرقاة : الدرجة / المصعد.

فبادروا كالسباع ؛ فمن بين آخذ حجراً ، وآخذٍ سيفاً أو عصاً ؛ وهم يومئذٍ يريدون ان يجعلوا البئر قبري وقبرها . .

فلما وقفوا على شفير البئر ، قال أبوهم : إن قتلتم هذا الرجل ، طولبتم بدمه ، وإن تركتموه افتضحتم . وقد رأيت أن أزوجها إياه ، فوالله لا يقدح لها في نسب ولا في حسب . ثم قال لي : أفيك خير ؟

فلما شممت روح الحياة ، وثاب إليَّ عقلي ، قلت : وهل الخير كله إلا فيَّ ؟ فهات احتكم .

فقال : مائة بكرة وبكرة ، وجارية وعبد .

فقلت : لك ذلك ، وإن شئت فازدد.

فأُخرجتُ أولًا ، والكلب ثانياً وأُخرجَتْ ثالثاً ، فاتيت أبي ، فقال : لا أفلحت فأين البعير؟

قلت : إربع عليك (١) أيها الشيخ ، فإنه كان من القصة كيت وكيت .

---

١ ـ رَبَعَ : توقف وانتظر. يقال : « إربع عليك أو على نفسك أو على ظلعك » أي توقف.

قال : أفعل والله ولا أخذلك.

فدعا بالإبل ، فعدَّ منها مائة بكرة وبكرة ، وسقناها مع جارية وعبد وأخذت من هذه غرة نفسها[1] .

قال : والله كذلك ، وجعلت تصدف[2] عن حديث زوجها ، صدوف المهرة العربية سمعت لجامها ، وربما قالت : لا أطاب الله خبرك .

---

١ ـ الغِر ج أغرار: الشاب لا خبرة له . وللمؤنث يقال هي غِرّ وغِرَّة.

٢ ـ تصدف: تنصرف وتميل.

هذا ماءُ عِناق*

يـروى أن رجلاً بينما هو يستقي وبيتـه تلقـاء وجهه ، فنظر فإذا هو برجل معـانق امرأتـه. . . ، فأخذ العصا وأقبل مسرعاً ، لا يشك فيما رأى.

فلما رأتـه امرأتـه ، جعلت الرجـل في خـالفـة البيت (١) بين الخالفة والمتاع.

فنظر يميناً وشمالاً فلم ير شيئاً ، وخرج فنظر في الأرض فلم ير شيئاً. فكذب بصره.

فقالت المرأة كأنها تريه أنها قد استنكرت من أمره شيئاً: ما دهاك يا أبا فلان ؟ أرعبك شيء ؟

* الميداني ـ مجمع الامثال ج١ ص ٤٤٣.

١ ـ خالفة البيت: العمود الذي يكون قدام البيت ؛ وقيل عمود من أعمدة الخباء.

فكتمها الذي رأى ، ومضى لحاجته .

فلما كان في الوِرْدِ[1] الثاني قالت : يا أبا فلان ، هل لك أن أكفيك السَّقيَ وتودِّع اليوم فإني أشفقت عليك ؟

قال : نعم، إن شئت ، فاقام في المنزل.

فانطلقتْ تسقي وتحينتْ منه غفلة فأخذت العصا ثم أقبلت حتى تفلق بها رأسه فشجته .

فقال : ويلك ! مالك ! وما دهاك ؟

قالت : وما دهاني يا فاسق ؟! اين المرأة التي رأيتها معك تعانقها ؟

فقال : لا ، والله ما كانت عندي امرأة ، وما عانقت اليوم امرأة .

قالت : بلى أنا نظرت إليها بعيني وأنا على الماء.

فتحالفا فلما أكثرت قال : إن تكوني صادقة ، فإن ماءكم هذا ماء عِناق[2] .

---

١ ـ ورد الماء : صار اليه/ داناه وبلغه والإسم الوِرْد.

٢ ـ مثل يضرب في الدواهي.

شابة جميلة *

توفي رجل وبقيت امرأته شابة جميلة ، فما زال بها النساء حتى تزوجت. فلما كانت ليلة زفافها ، رأت في المنام زوجها الأول آخذاً بعارضتي الباب وقد فتح يديه وهو يقول :

حيَّيتُ ساكن هذا البيت كلَّهم
إلا الرَّباب فإني لا أحييها
أمست عروساً وأمسى مسكني جدث(1)
بين القبور وإني لا ألاقيها
واستبدلت بدلاً غيري ، فقد علمت
إن القبور تواري من ثوى فيها

* ابن قيم الجوزية ـ اخبار النساء ص ١٢٧.
١ ـ الجدث : القبر.

قـد كنت أحسبها للعهـد راغبـةً
حتى تمـوت ومـا جفت مـآقيـهـا

ففـزعت من نومها فـزعـاً شـديـداً وأصبحت فـاركاً [1] وآلت ان لا يصل إليها رجل بعده أبداً.

---

١ ـ الفِرْك: البغض عموماً / البغضة بين الزوجين. فارك: تبغض زوجها.

سِر عنك*(١)

تزوج خِداش بن حابس التميمي ، جارية من بني سدوس يقال لها الرباب وغاب عنها بعد ما ملكها أعواماً ، فعلقها آخر من قومها يقال له سَلْم ، ففضحها.

قالوا : إن سَلْماً شَرَدَت له إبل ، فركب في طلبها فوافاه خِداش في الطريق ، فلما عَلِم به خداش كَتَمَه أمرَ نفسِه ، ليعلم علم امرأته ، وسارا . فسأل سَلْم خداشاً : ممن الرجل ؟ فخبره بغير نسبه . فقال سَلْم :

أغبت عن الرباب وهَامَ سَلْمٌ
بها ولهاً بعرسكَ(٢) يا خداش

* مجمع الامثال . ج١ ص ٣٤٠.
١ ـ سر عنك : مثل يضرب في التغابي والتغاضي عن الشيء.
٢ ـ العِرس ج أعراس : امرأة الرجل . عرس المرأة : رجلها.

فيـالـك بعـل جـاريـة هَـوَاهـا
صبـور حـين تضـطربُ الكبـاشُ
ويـا لـك بعـل جـاريـة كعـوبٍ
تـزيـد لـذاذةً دون الـريـاش
وكُنتَ بهـا أخـا عـطش شـديـدٍ
وقـد يُـروى عـلى الـظمـأ العـطاش
فـإن أرجـع ويـأتـيهـا خِـداش
سيـخـبـره بمـا لاقـى الـفـراش

فعرف خداش الأمر عند ذلـك ؛ ثم دنا منـه فقال : حدثنا يا أخا بني سدوس .

فـقـال سَلْم : عـلقتُ امـرأة غـاب عـنهـا زوجها ، . . . . . .

فقال خِداش : سِرْ عنك ، فسار ساعة ثم قال : حدثنا يا أخا بني سدوس عن خليلتك.

قـال : تسـدَّيت خباءهـا ليـلاً ، فبتُّ بأقـرِ ليلة ، . . . . . .

فقال خداش : سِرْ عنك ، وعرف الفضيحة ، فتأخر واخترط سيفه ، وغطاه بثوبه ، ثم لحقه وقال : وما آية ما بينكما إذا جئتها ؟

قال : اذهب ليلاً الى مكان كذا من خبائها ، هي تخرج فتقول:

يا ليل هل من ساهرٍ فيك طالب
هـوى خلَّة لا يَنـزَحَنْ ملتقاهما

فأجاوبها :

نعم ساهرٌ قد كابد الليلَ هائمٌ
بهائمةٍ ما هوَّمت(١) مقلتاهما

فتعرف أني انا هو.

ثم قال خداش : سِرْ عنك ، ودنا حتى قرن ناقته بناقته ، وضربه بسيفه فطار قِحفَه(٢) وبقي سائره فوق الرَّحل يضطرب ثم انصرف فأتى المكان الذي وصفه سلم ، فقعد فيه ليلاً ، وخرجت الرباب وهي تتكلم بذلك البيت ، فجاوبها بالآخر ، فدنت منه

---

١ ـ هوَّم : هزَّ رأسه من النعاس.
٢ ـ القحف ج أقحاف : العظم الذي فوق الدماغ / ما انفلق من الجمجمة فانفصل.

وهي ترى أنه سَلْم ، فقنَّعها بالسيف[1] ففلق ما بين المفرق الى الزور ثم ركب وانطلق.

---

١ ـ قنَّع رأسه بالسيف أو العصا : غشَّاه به.

كثير عزة *

روى الحرمي بن أبي العلاء عن أحد بني عتوارة بن جدي قال : كان كثير[1] قد سلطه الله ينسب بعزة بنت عبد الله أحد بني حاجب بن عبد الله بن غفار. قال وكان نسوانهم ، قد لقينها وهي

* الأصفهاني: أبو الفرج ـ الأغاني ج١١ ص ٤٧ .

١ ـ كثير عزة : هو أبو صخر كثير بن عبد الرحمن الخزاعي . أحد فحول الشعراء الأمويين، عاش بالمدينة وتنقل في الحجاز والشام ومصر والعراق، ومدح الخلفاء والأشراف. اشتهر بغزله في عزة بنت ابي بصرة الضمرية. قدمه الحجازيون على بقية الشعراء. واعجب كثيرون بمدائحه . ولكنهم اختلفوا في غزله ، فرأى بعضهم أنه ينقصه الصدق والأخلاص. وكان مفرط القصر دميماً. خلف ابنا وابن بنت شاعرين. وله ديوان مطبوع.

سائرة في نسائهم في الحلاس[1] في عام أصابت اهل تهامة فيه حطمة[2] شديدة.

وكانت عزة من أجمل النساء وآدبهنّ وأعظمهن، ولا والله ما رأى لها وجهاً قط، إلا انه استهيم[3] بها قلبه، لما ذكر له عنها؛ فلقيه رجال من الحي، لما بلغهم ذلك عنه، فقالوا له: إنك قد شهرت نفسك، وشهرتنا، وشهرت صاحبتنا فاكفف نفسك.

قال: فإني لا اذكرها بما تكرهون.

فخرجوا جالين الى مصر في أعوام الجلاء، فتبعهم على راحلته، فزجروه فأبى إلا ان يلحقهم بنفسه. فجلس له فتية من جدي.

قال: وكان بنو ضمرة كلهم يهون عليهم نسيبه، لما يعرفون من براءتها، إلا ما كان من بني

---

١ ـ أحلست الأرض: اخضرّت واستوى نباتها.

٢ ـ الحطمة: السنة الشديدة لانها تحطم كل شيء.

٣ ـ استهيم فؤاده: ذهب فؤاده وخلب عقله من الحب أو غيره فهو مستهام الفؤاد.

جدي فانهم كانوا جيمعاً غيارى[1]، فقعد له عون أحد بني جدي في تسعة نفر ، فلما جازبهم تحت الليل أخذوه ثم عدلوا به عن الطريق الى جيفة حمار، كانوا يعرفونها من النهار فادخلوه فيها ، وربطوا يديه ورجليه ثم أوثقوا بطن الحمار فجعل يضطرب فيه ويستغيث، ومضوا عنه؛ فاجتاز بـه خندق الأسـدي ، فسمع استغاثته ، فعدل الى الصوت حين سمعه ، فوجد في الجيفة إنساناً ، فسأله ما هو وما خبره ، فأطلقه وحمله وألحقه ببلاده .

١ ـ غَيّارى م غيور . وغار الرجل على امرأته من فلان ، وهي عليه من فلانة : أنف من الحمية وكره شركة الغير في حقه بها وهي كذلك.

سمِّن كلبك يأكلك*

مرَّ حازم بن المنذر الحمَّاني بمحلة هَمَدان ، فإذا هو بغلام ملفوف في المعاوز[1] فرحِمَه وحمله على مقدَّم سرجه حتى أتى به منزله ، وأمر أمة له ان ترضعه ، فارضعته حتى فطم ، وأدرك وراهق الحلم ، فجعله راعياً لغنمه وسمَّاه جُحيشاً ، فكان يرعى الشاء والإبل ، وكان زاجراً عائفاً[2] ، فخرج ذات يوم

* الميداني ـ مجمع الامثال ج١ ص ٣٣٣.

١ ـ المعاوز جمع معوز: وهو الثوب الخلق.

٢ ـ الزجر: هو الاستدلال باصوات الحيوان وحركاته وسائر أحواله على الحوادث بقوة الخيال والاسترسال فيه. ومن أشهر الزجارين: أبو ذؤيب الهذلي ، وبنو لهب. والعيافة: ضرب من الفراسة، هي الاهتداء باثار الاقدام على أربابها او الاستدلال بهيئة الانسان واعضائه على نسبة، فكانوا يميزون اثر الرجل والمرأة والشيخ والشاب والاعمى والبصير والاحمق =

فعرضت له عُقاب ، فعافها ، ثم مرَّ به غداف[1] فزجره وقال :

تخبرني شواحج[2] الغدفان
والخطب[3] يشهدن مع العِقبان
أني جحيش معشري همدان
ولست عبداً لبني حمَّان

فلا يزال يتغنى بهذه الأبيات، وإن ابنة لحازم يقال لها رَعُوم ، هويت الغلام وهويها ، وكان الغلام ذا منظر وجمال ، فتبعته رعوم ذات يوم حتى انتهى الى موضع الكلأ، فسرح الشاء فيه واستظل بشجرة واتكأ على يمينه وأنشأ يقول :

= والكيس ؛ وإذا نظروا عدة أشخاص . ألحقوا الإبن بأبيه ، وعرفوا الاجنبي من بينهم . وممن اشتهروا بالعيّافة بنو مذلج وبنو لهب .

١ ـ الغداف: غراب كبير ضخم الجناحين.

٢ ـ الشحاج : رفع الصوت . والغراب يشحج . وقيل شحيج الغراب ترجيع صوته (اللسان مادة شحج).

٣ ـ الخطب : جمع أخطب ، وهو الصرد والصقر.

أما لك أمّ فتدعى لها
ولا أنت ذو والدٍ يعرف ؟
أرى الطير تخبرني أنني
جحيش وأن أبي حرشف
يقول غرابٌ غدا سانحاً
وشاهده جاهداً يحلف
بأني لهمدان في غرّها
وما أنا جافٍ ولا أهيف
ولكنني من كرام الرجال
إذا ذكر السيد الأشرف

وقد كمنت له رعوم تنظر ما يصنع ، فرفع صوته أيضاً يتغنى ويقول :

يا حبذا ربيبتي رعوم
وحبذا منطقها الرخيم
وريح ما يأتي به النسيم
إني بها مكلف أهيم
لو تعلمين العلم يا رعوم
إني من همدانها صميم

فلما سمعت رعوم شعره ، ازدادت فيه رغبة وبه إعجابا ، فدنت منه وهي تقول :

طـار اليـكم عـرضاً فؤادي
وقلَّ مـن ذكـراكُـمُ رقـادي

وقـد جفـا جنبي عن الـوسـاد
أبـيت قـد حـالفني سـهـادي

فقام إليها جحيش ، فعانقها وعانقته ، وقعدا تحت الشجرة يتغازلان ، فكانا يفعلان ذلك أياماً ، ثم أن أباها افتقدها يوماً وفطن لها فرصدها ، حتى إذا خرجت تبعها ، فانتهى اليهما ، وهما على سوأة ، فلما رآهما قال : سمِّن كلبك يأكلك وشدَّ على جحيش بالسيف فأفلت ولحق بقومه همدان ، وانصرف حازم الى ابنته وهو يقول : موت الحرَّة خير من العَرَّة(١) ؛

١ ـ العورة : هي كل ما يستحيا منه إذا ظهر . وهي من الرجل ما بين السرة والركبة ، ومن المرأة الحرَّة كل جسدها إلا الوجه واليدين . وفي الحديث : « المرأة عورة » جعلها نفسها عورة ، لأنها اذا ظهرت يستحيا منها كما يستحيا من العورة إذا ظهرت .

فلما وصل إليها وجدها قد اختنقت فماتت ، فقال حازم : هان عليَّ الثكل[1] لسوء الفعل وأنشأ يقول :

قد هان الثكل لولا أنني
أحببت قتلك بالحسام الصارم
ولقد هممت بذاك لولا أنني
شمرت في قتل اللعين الظالم
فعليك مقتُ الله من غدارةٍ
وعليكِ لعنتُهُ ولعنة حازم .

---

١ ـ ثكِل ابنه : فقده . يقال : « نساء الغزاة مثاكيل» .

حامي الظعينة *

خرج دريد بن الصمة[1] في فوارس بني جشم يريد الغارة على بني كنانة ، فلما كان بواد لبني كنانة ، رفع له رجل من ناحية الوادي معه ظعينة.

فلما نظر اليه الفارس ، قال لفارس من

* القالي: أبو علي ـ الامالي ج٢ ص ٢٧٠/ الأصفهاني: أبو الفرج ـ الأغاني ج١٤ ص ١٣٤ / ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ج٦ ص ٢٩.

١ ـ دريد بن الصمة: هو معاوية بن الحرث ، فارس شجاع فحل. جعله ابن سلام أول شعراء الفرسان وقد كان اطول الفرسان الشعراء غزواً، وأبعدهم أثراً ، وأكثرهم ظفراً ، وأيمنهم نقيبة عند العرب . وهو سيد بني جشم وفارسهم وقائدهم وكان مظفراً ميمون النقيبة ، وغزا نحو مائة غزاة ما أخفق في واحدة منها. وادرك الاسلام فلم يسلم. قتل يوم حنين.

أصحابه : صِح به أن خلِّ عن الظعينة وانج بنفسك ـ وهو لا يعرفه ـ فانتهى اليه الرجل والحَّ عليه ؛ فلما أبى القى زمام الراحلة ، وقال للظعينة :

سيري على رسلكِ سير الآمنِ
سيرَ رَدَاحٍ[1] ذات جأش ساكن
إنَّ انثنائي دون قرني[2] شائني
أبلي بلائي واخبُري وعايني

ثم حمل على الفارس فصرعه ، وأخذ فرسه فأعطاه للظعينة . فبعث دريد فارساً آخر لينظر ما صنع صاحبه ، فلما انتهى إليه ورآه صريعاً صاح به فتصام عنه[3] ، فظَّن أنه لم يسمع فغشيه ، فالقى زمام الراحلة الى الظعينة ، ثم رجع وهو يقول :

خلِّ سبيل الحُرَّةِ المنيعة
إنك لاق دونها ربيعة

---

١ ـ الرداح : الكتيبة الثقيلة الجرارة.
٢ ـ القِرن : الكفوء / النظير في الشجاعة أو العلم وغيرهما.
٣ ـ تصامَّ عن الحديث : تظاهر أنه أصمّ.

في كفه خطيّةٌ(1) مطيعة
أولا فخذها طعنة سريعة
والطعن مني في الوغي شريعة

ثم حمل عليه فصرعه. فلما أبطأ على دريد، بعث فارساً ثالثاً لينظر ما صنعا، فلما انتهى إليهما رآهما صريعين، ونظر اليه يقود ظعينته، ويجرُّ رمحه فقال له: خلِّ سبيل الظعينة.

فقال للظعينة، اقصدي قصد البيوت، ثم أقبل

ماذا تريد من شتيمٍ(2) عابس
ألم تر الفارس بعد الفارسِ
أرداهما عاملُ رمحٍ يابس

ثم حمل عليه فصرعه وانكسر رمحه؛ وارتاب

---

١ - الخطي ج خطِّيَّة - الرمح المنسوب الى الخط وهو مرفأ للسفن بالبحرين حيث تباع الرماح.
٢ - شَتُمَ: كان كريه الوجه فهو شتيم. الشتّامة: الأسد العابس.

دريد وظنَّ أنهم قد اخذوا الظعينة وقتلوا الرجل . فلحق ربيعة[1] وقد دنا من الحي ، ووجد أصحابه قد قتلوا ، فقال : أيها الفارس، إن مثلك لا يُقتل ، ولا أرى معك رمحاً ، والخيل ثائرة بأصحابها ، فدونك هذا الرمح ، فإني منصرف الى أصحابي فمثبطهم عنك ؛ فانصرف دريد وقال لأصحابه : إنَّ فارس الظعينة قد حماها وقتل فرسانكم ، وانتزع رمحي ولا مطمع لكم فيه فانصرفوا ؛ فانصرف القوم فقال دريد :

ما إن رأيت ولا سمعت بمثله
حامي الظعينة فارساً لم يُقتل
أردى فوارس لم يكونوا نُهْزَةً[2]
ثم استمر كأنه لم يفعل
متهللاً تبدو أسرَّة وجهه
مثلَ الحسام جلَّتْه كف الصيقل[3]

١ ـ ربيعة بن مكدَّم : أحد فرسان مضر المعدودين وشجعانهم المشهورين ، قتله بيشة بن حبيب السلمي في يوم الكديد.
٢ ـ النُّهزة : الفرصة.
٣ ـ الصقيل : شحاذ السيوف.

يُزجي ظعينتــه ويسحـب رمحــه
متوجهـاً يمناه نحو المـنزل
وترى الفوارس من مخـافةِ رمحه
مثلَ البغاث[1] خشين وقع الأجدل[2]
يـاليت شعـري من أبـوه وأمُّــه ؟
يـا صـاح من يــك مثله لا يُجهـل

وقال ربيعة :

إن كـان ينفعـك اليقــين فسـائـلي
عني الـظعينـة يـوم وادي الأخْـرمِ
إذهـي لأوَّل مـن أتـاهـا نُهبـة[3]
لـولا طِـعـانُ ربيـعـة بـن مكـدَّم
اذ قــال لي أدنى الفــوارس ميتــة
خــلِّ الـظعينـة طـائعـاً لا تنـدم

---

١ ـ البغـاث : طـائـر أبغث ، أصغـر من الـرخم بـطيء الطيران / وقولهم : « إن البغاث بارضنا يستنسر » معناه ان من جاورنا عزَّ بنا.
٢ ـ الأجدل ج أجادل : الصقر ، صفة غالبة أصله من الجدل الذي هو الشدَّة .
٣ ـ النهبة : الشيء المنهوب / من النهب أي أخذ الغنيمة .

فصرفت راحلة الظعينة نحوه
عمداً ليعلم بعض ما لم يعلم
وهتكت بالرمح الطويل إهابه[1]
فهوى صريعاً لليدين وللفم
ومنحت آخر بعده جياشة
نجلاء فاغرة كشدق الأضجم[2]
ولقد شفعتهما بآخر ثالث
وأبى الفرار لي الغداة تكرمي

ثم لم يلبث بعد ذلك بنو مالك بن كنانة ، رهط ربيعة بن مكدم ، ان أغاروا على بني جشم رهط دريد، ففكتوا وأسروا وغنموا ، وكان دريد بن الصمة ممن أسروا ، فأخفى نسبه ، فبينا هو عندهم محبوس ، اذ جاءه نسوة يتهادين اليه ، فصرخت إحداهن قائلة : هلكتم وأهلكتم ، ماذا جرَّ علينا قومنا ؟ هذا والله الذي أعطى ربيعة رمحه يوم الظعينة!

ثم ألقت عليه ثوبها ، وقالت : يا آل فراس ، أنا جارةٌ له منكم هذا صاحبنا يوم الوادي .

---

١ ـ الإهاب : الجلد.
٢ ـ الأضجم : الأعوج.

فسألوه من هو ، فقال : أنا دريد بن الصمَّة ، فمن صاحبي ؟

قالوا : ربيعة بن مكدَّم .

قال : فما فعل ؟

قالوا : قتلته بنو سليم .

قال : فما فعلت الظعينة ؟

قالت المرأة : أناهِيه ، وأنا امرأته ريطة بنت جذل .

فحبسه القوم وآمروا أنفسهم ، فقال بعضهم : لا ينبغي لدريد أن نكفر نعمته على صاحبنا .

وقال آخرون : والله لا يخرج من أيدينا ، إلا برضا المخارق الذي أسره ، فانبعثت المرأة في الليل تقول :

سنجزي دريداً عن ربيعة نعمةً
وكل فتى يجزى بما كان قدَّما
فإن كان خيراً كان خيراً جزاؤه
وإن كان شرّاً كان شرّاً مذمما

سنجــزيـه نعمى لم تكن بصغيــرة
بـاعطائـه الـرمـح السـديـد المقـومـا
فقــد أدركت كفــاه فيـنــا جــزاءه
وأهـل بأن يُجـزى الذي كـان أنعما
فــلا تكفــروه حق نعـمــاه فيكم
ولا تــركبوا تلك التي تمــلأ الفـما
فلو كــان حيــاً لم يضق بثــوابــه
ذراعـاً غنيـاً كـان أو كـان معـدمـا
ففكــوا دريــداً من إســار مخــارقٍ
ولا تجعلوا البؤسى[1] الى الشر سلَّما

فلما أصبـح القوم أطلقـوه ، فكسته وجهـزته ، ولحق بقومه . فلم يزل كافًّا عن غزو بني فراس حتى هلك .

---

١ ـ البؤسى : شدة الحاجة والفقر.

مهرة عربية*

قال الحجاج لأبن القرية: ما تقول في التزويج؟

قال: وجدت أسعد الناس في الدنيا، وأقرّهم عيناً، وأطيبهم عيشاً، وأبقاهم سروراً، وأرخاهم بالاً، وأشبهّم شباباً، من رزقه الله زوجة مسلمة، أمينة عفيفة حسنة، لطيفة نظيفة مطيعة، إن أئتمنها زوجها وجدها أمينة، وإن قتّر عليها وجدها قانعة، وإن غاب عنها كانت له حافظة، تجد زوجها أبداً ناعماً، وجارها سالماً، ومملوكها آمناً، وصبيها طاهراً؛ قد ستر حلْمها جهلها، وزين دينُها عقلها، فتلك كالريحانة والنخلة لمن يجتنيها، وكاللؤلؤة التي لم تثقب، والمسكة التي لم تفتق، قوّامة صوّامة(1)، ضاحكة

* الجاحظ ـ المحاسن والأضداد ص ١٤١.

١ ـ قوامة صوامة: أي أنها تقوم بالليل للصلاة وتصوم بالنهار.

بسّامة؛ إذا أيسرت شكرت، وإن أعسرت صبرت؛ فأفلح وأنجح من رزقه الله مثل هذه.

وإنما المرأة السوء كالحمل الثقيل على الشيخ الضعيف، يجرّه في الارض جرّاً؛ فبعلها مشغول، وجارها مقبول، وصبيها مرذول.

قال: يا بن القرية، قم الآن فاخطب لي هنداً بنت أسماء ولاتزد على ثلاث كلمات.

فأتاهم فقال: جئت من عند من تعلمون، والأمير يعطيكم ما تسألون أفتُنكحون أم تدعون؟

قالوا: أنكحنا وغنمنا.

فرجع الى الحجاج، فقال: أصلح الله الأمير، صلاح من رضي عمله، ومدَّ في الخيرات أجله، وبلغ به أمله، جمع الله شملك، وأدام طولك، وأقرَّ عينك، ووقاك حينك[1]، وأعلى كعبك[2]، وذلل

١ ـ الحين: الهلاك / المحنة.

٢ ـ الكعب: الشرف والمجد. يقال: «اعلى الله كعبهم» أي رفع شأنهم. و«ذهب كعبهم» أي ذهب شرفهم. و«رجل عالي الكعب» اي يوصف بالشرف والظفر.

صعبك، وحسن حالك على الرفاء[1] والبنين والبنات، والتيسير والبركة، وأسعد السعود وأيمن الجدود، وجعلها الله ودوداً ولوداً، وجمع بينكما على الخير والبركة.

فتزوجها الحجاج، ثم أنه دخل عليها ذات يوم، وهي تقول:

وما هندُ إلا مهرة عربية
سليلة أفراس تجللها[2] بغلُ
فإن نُتجت مهراً كريماً فبالحرى
وإن يك إقراف[3] فمن قبل الفحلُ.

فخرج من عندها مغضباً، ودعا ابن القرية،

---

١ ـ رفّأه: هنّأه، فقال له: «بالرفاء والبنين» أي بالإلتئام والاتفاق واستيلاد البنين؛ وهو دعاء للمتأهل.
٢ ـ تجلله: علاه.
٣ ـ القِرفة: الهجنة. والمُقرِف: الذي داني الهجنة من الفرس وغيره، الذي أمه عربية وأبوه ليس كذلك لان الإقراف إنما هو من قبل الفحل، والهجنة من قبل الأم. والمقرف: النذل.

فدفع إليه مائة ألف درهم وقال: ادخل الى هند وطلقها عني، ولاتزد على كلمتين، وادفع اليها المال.

فحمل ابن القرية المال، ودخل عليها فقال: كنتِ فبنتِ، وهذه المائة ألف صداقك.

فقالت: يابن القرية، ماسررت به إذ كان، ولاجزعت عليه إذ بان، وهذا المال بشارة لك لما جئتنا به.

فكان القول أشدّ على الحجاج من فراقها.

زينب وعروة*

ذكروا أن بطناً من قريش اشتدت عليهم السنة، وكان فيهم جارية يقال لها «زينب»، من أكمل نسائهم جمالاً، وأتمهّن كمالا؛ وقد أشرفت فرآها شاب يقال له «عروة»، فوقعت في قلبه، فجعل يطالعها، ولا يقدر على أكثر من ذلك، فاشتد وجده بها، فلما انقضت السنة، وأرادوا الرجوع الى منازلهم، دعى بعض جواري الحي، فقال: يا ابنة الكرام، هل لك في يد[1] تتخذين بها عندي شكراً؟

قالت: ما أحوجني الى ذلك!

قال: تنطلقين الى خيمة فلانة، كأنك تقتبسين ناراً، فاذا أنت جلستِ فقولي حيث تسمع زينب:

---

* الجاحظ ـ المحاسن والاضداد ص ١٣٤.

١ ـ اليد: النعمة والإحسان.

ألا هــلْ لنــا قبــلَ التفَــرُّقِ لـيلةٌ
ويــومٌ فنقضي كـل نفس مُنــاهــا

فانطلقت الجارية، ففعلت ذلك، فلما سمعت زينب قولها، وكانت تفلي رأس زوجها، وكان عنده أخ له، فقالت مجيبةً لها:

لعمـري لقد طـال المُقامـة هـا هنا
ولــو أن لِحبٍّ حــاجــةً لقضــاهــا

فسمع أخو الزوج قول الجارية، وجواب زينب، فقال:

ألا يـعـلمُ الــزوجُ المُــفــلّى بــأنّها
رســالــة مشغــوف الفؤاد رجاهــا

فانتبه الزوج لأمرهم، وعرف ما أرادت، فقال:

لحــا الله[1] مـن لا يسـتقـيـم بــودِّه
ومن يمنـح النفس الطروب هــواهــا

---

١ ـ لحا الله فــلاناً: أي قبحه ولعنه.

انطلقي يا زينب فأنت طالق.

فخرجت من عنده وبعثت الى عروة فأعلمته، وأقامت حتى انقضت عدتها، ثم تزوجته.

جميل بثينة*

عن بهلول بن سليمان البلوي قال: إن جميلاً بن معمر(١) أقبل يوماً بإبله حتى أوردها وادياً يقال له بغيض، فاضطجع وأرسل إبله مصعدة، وأهل بثينة بذنب الوادي. فاقبلت بثينة وجارة لها واردتين الماء

* الأصفهاني: أبو الفرج ـ الأغاني ـ ج٧ ص ٨٠.

١ ـ جميل بن معمر: شاعر فصيح مقدم جامع للشعر والرواية، كان يهوى بثنية ويحبها فتحابا وتلاقيا، فتغزل بها، فغضب قومها ورفضوه حين تقدَّم للزواج منها؛ وزوجوها من نبيه بن الأسود؛ فلم يكف جميل عن حبها. وحاول الاتصال بها. فشكاه أهلها، فاهدر الوالي دمه. فهرب الى اليمن حتى عزل الوالي، فرجع ثانية، ثم رحل الى مصر يمدح أميرها عبد العزيز بن مروان. له ديوان معظمه في الغزل العذري الساذج، الصادق العذب العبارة المتوفر النغم. يضرب بجميل المثل في صدق الحب وطهارته.

فمرتا على فِصالٍ له بروك فعزقتهن [1] بثينة؛ وهي إذ ذاك جويرية صغيرة، فسبها جميل فسبته، فملُحَ إليه سبابها فقال:

وأولُ ما قاد المودة بيننا
بوادي بغيض يا بثين سباب
وقلنا لها قولاً فجاءت بمثله
لكل كلامٍ يا بثين جواب

وقد خرج جميل في يوم عيد، والنساء إذ ذاك يتزين ويبدو بعضهن لبعض، ويبدون للرجال في كل عيد؛ فوقف جميل على بثينة، فرأى منها منظراً أعجبه فعشقها، وقد كان معه فتيان من قومها، عرفوا فيه حب بثينة، ووجدوا عليه فراح وهو يقول:

عجل الفراق وليته لم يعجل
وجرت بوادر دمعك المتهلل
لن تستطيع الى بثينة رجعة
بعد التفرق دون عام مقبل

ولما أخبرت بثينة أن جميلاً قد نسب بها، حلفت

---

١ ـ عزق : اسرع في العدو. عزقه ضرباً : أثخنه.

بالله أن لايأتيها على خلاء إلا خرجت إليه، ولاتتوارى منه.

وكان يأتيها عند غفلات الرجال فيتحدث اليها، حتى نمى الى رجالها وكانوا صلافاً غيارى، فواعدت بثينة جميلاً ان يلتقيا في بعض المواضع، فأتى لوعدها، وجاء أعرابي يستضيف قومها، فانزلوه وقروه؛ فقال لهم: قد رأيت في بطن هذا الوادي ثلاثة نفر متفرقين متوارين في الشجر، وأنا خائف عليكم، ان يسلبوا بعض إبلكم.

فعرفوا أنه جميل وصاحباه، فحرسوا بثينة ومنعوها من الوفاء بوعده فلما أسفر الصبح انصرف كئيباً.

وقد رصِد جميل بثينة ذات ليلة في نُجعة[1] لهم، حتى إذا صادف منها خلوة دنا منها، وذلك في ليلة ظلماء، ذات غيم وريحٍ ورعد، فحذفها بحصاة فأصابت بعض أترابها[2] ففزعت وقالت: والله ما حذفني في هذا الوقت بحصاة إلا الجن.

١ ـ النُّجعة: طلب الكلأ في مواضعه.

٢ ـ الترب ج أتراب: من ولد معك. واكثر ما يستعمل في المؤنث. يقال: «هذه ترب فلانة» إذا كانت على سنِّها.

فقالت لها بثينة: ـ وقد فطنت ان جميلاً فعل ذلك ـ فانصرفي ناحية الى منزلك حتى ننام. فانصرفت وبقي مع بثينة أم الحسين وأم منظور، فقامت الى جميل، فادخلته الخباء معها وتحدثا طويلاً، ثم اضطجع واضطجعت الى جنبه فذهب النوم بهما حتى أصبحا.

وجاءها غلام زوجها، بصبوح[1] من اللبن بعث به اليها، فرآها نائمة مع جميل فمضى لوجهه حتى خبر سيده؛ ورأته ليلى والصبوح معه، وقد عرفت خبر جميل وبثينة، فاستوقفته كأنها تسأله عن حاله وبعثت بجارية لها وقالت: حذري بثينة وجميلاً.

فجاءت الجارية فنبهتهما، فلما تبينت بثينة الصبح قد أضاء، والناس منتشرين ارتاعت وقالت: يا جميل نفسك نفسك، فقد جاءني غلام نبيه[2] بصبوحي من اللبن، فرآنا نائمين.

فقال لها جميل وهو غير مكترث لما خوفته منه!

---

١ ـ الصبوح: كل ما أُكل أو شُرب صباحاً.
٢ ـ نبيه: زوج بثنية.

لعمــرك مـا خــوفتني من مخـافـة
بثين ولا حـذرتني مـوضـع الحـذرْ
فـأقـسم لايُـلفى لي الـيـوم غِـرَّةً
وفي الكف مني صـارم قاطـع ذكره

فـاقسمت بثينة عليـه أن يلقي نفسـه تحت النضد[1] وقالت: إنما أسألك ذلك خوفاً على نفسي من الفضيحة لا خوفاً عليك.

ففعل ذلك ونامت كما كانت، واضطجعت أم الحسين الى جانبها وذهبت خادم ليلى إليها فأخبرتها الخبـر، فتـركت العبـد يمضي الى سيـده، فمضى والصبوح معه وقال له: إني رأيت بثينة مضطجعة، وجميل الى جنبها، فجاء نبيه الى أخيها وأبيها، فاخذ بايديهما وعرَّفهما الخبر، وجاءوا بأجمعهم الى بثينة وهي نائمة فكشفوا عنها الثوب، فاذا أم الحسين الى جانبها نائمة فخجل زوجها وسب عبده.

وقالت ليلى لأخيها وأبيها: قبحكما الله، أفي كل يوم تفضحان فتاتكما، ويلقا كما هذا الأعور فيها بكل

---

١ ـ النضد: السرير.

قبيح، قبحه الله وإياكما، وجعلا يسبان زوجها ويقولان له كل قولٍ قبيحٍ وأقام جميل عند بثينة حتى أجنه الليل، ثم ودعها وانصرف. وفي ذلك يقول من قصيدة طويلة:

فلو كان لي بالصُّرم[1] يا صاح طاقة
صرمت ولكني عن الصرم أضعف
لها في سواد العين بالحب منعة
هي الموت او كادت على الموت تشرف
وما ذكرتك النفس يا بثن مرّة
من الدهر إلا كادت النفس تتلف
تعلقتها والجسم مني مصحح
فما زال ينمي حب بثنٍ وأضعف
الى اليوم حتى سلّ جسمي وشفّني
وأنكرت من نفسي الذي كنت أعرف
ولست بناسٍ أهلها حين أقبلوا
وجالوا علينا بالسيوف وطوفوا
وقالوا جميل بات في الحي عندها
وقد جرّدوا اسيافهم ثم وقّفوا

١ ـ الصُّرم : القطيعة.

همت وقد كادت مراراً تطلعت
الى حربهم نفسي وفي الكف مرهف
فكم مرتجٍ أمراً أتيح له الردى
ومن خائف لم ينتقصه التخوف.

وكان قوم بثينة بالمرصاد، فعرفوا بأمر جميل، فترصدوه ليقتلوه، فسألته حبيبته الحذر والاستخفاء، فاعتوره قلق وحيرة، وهجا هؤلاء المنغصين عليه نعيمه، فاستعدوا عليه مروان بن الحكم، وهو على المدينة من قبل معاوية، فاهدر دمه أو نذر ليقطعن لسانه.

نفسي فداؤك*

حكي عن الطفيل بن عامر العمري قال: خرجت ذات يوم أريد الغار، وكنت رجلاً أحب الوحدة، فبينا أنا أسير، إذ أضللت الطريق الذي أردته، فسرت أياماً لاأدري أين اتوجه، حتى نفذ زادي، فجعلت آكل الحشيش وورق الشجر، حتى أشرفت على الهلاك، ويئست من الحياة؛ فبينا أنا أسير، إذ أبصرت قطيع غنم، في ناحية من الطريق، فملت اليها؛ واذا شاب حسن الوجه فصيح اللسان، فقال لي: يابن العم أين تريد؟

فقلت: أردت حاجة لي من بعض المدن، وما ظني إلا قد ضللت الطريق.

فقال: أجل! إن بينك وبين الطريق مسيرة أيام،

* الجاحظ ـ المحاسن والاضداد ص ٦١.

فانزل حتى تستريح وتطمئن وتريح فرسك. فنزلت، فرمى لفرسي حشيشاً، وجاء الي بثريد[١] كثير ولبن، ثم قام الى كبش فذبحه وأجج ناراً، وجعل يكبب[٢] لي ويطعمني حتى اكتفيت؛ فلما جنّنا الليل، قام وفرش لي وقال: قم فارم بنفسك، فان النوم أذهب لتعبك وأرجع لنفسك.

فقمت ووضعت رأسي، فبينا أنا نائم، اذ أقبلت جارية لم تر عيني مثلها قط حسناً وجمالاً، فقصدت الى الفتى، وجعل كل واحد منهما يشكو الى صاحبه ما يلقى من الوجد به؛ فامتنع علي النوم لحسن حديثهما. فلما كان وقت السحر قامت الى منزلها؛ فلما أصبحنا دنوت منه فقلت له: ممن الرجل؟

قال: أنا فلان بن فلان.

فانتسب لي فعرفته فقلت له: ويحك! إنّ أباك

---

١ ـ الثريد: طعام من خبز تفته وتبله بالمرق.
٢ ـ كبّب: عمل الكباب. والكباب: اللحم المشرح يشوى على النار.

لسيد قومه، فما حملك على وضعك نفسك في هذا المكان؟

فقال: أنا والله أخبرك، كنت عاشقاً لابنة عمي هذه التي رأيتها، وكانت هي ايضاً لي مواهقة[1]؛ فشاع خبرنا في الناس، فأتيت عمي فسألته ان يزوجنيها، فقال: يا بني، والله ما سألت شططاً[2]، وماهي بآثر عندي منك، ولكن الناس قد تحدثوا بشيء، وعمك يكره المقالة القبيحة؛ ولكن أنظر غيرها في قومك، حتى يقوم عمك بالواجب لك.

فقلت: لاحاجة لي فيما ذكرت، وتحملت عليه بجماعة من قومي فردَّهم، وزوجها رجلاً من ثقيف، له رياسة وقدر فحملها الى ههنا ـ وأشار الى خيم كثيرة بالقرب منا ـ فضاقت عليَّ الدنيا برحبها وخرجت في أثرها، فلما رأتني فرحت فرحاً شديداً، وقلت لها: لاتخبري أحداً إني منك بسبيل؛ ثم أتيت زوجها فقلت: أنا رجل من الأزد، أصبت دماً[2] وانا

---

١ ـ المواهقة: ان تسير مثل سير صاحبك. تواهق القوم في الأمر: استووا فيه أو تباروا فيه.

٢ ـ شط شططاً: أفرط / تباعد عن الحق.

خائف، وقد قصدتك لما أعرف من رغبتك في اصطناع المعروف، ولي بصرٌ بالغنم إن رأيت ان تعطيني من غنمك شيئاً، فاكون من جوارك وكنفك، فافعل

قال: نعم وكرامة، فأعطاني مائة شاة وقال لي: لاتبعد بها من الحي؛ وكانت ابنة عمي تخرج إلي كل ليلة، في الوقت الذي رأيت وتنصرف؛ فلما رأى حسن حال الغنم، أعطاني هذه فرضيت من الدنيا بما ترى.

قال: فاقمت عنده أياماً، فبينا أنا نائم إذ نبهني وقال: يا أخا بني عامر.

قلت له: ما شأنك؟

قال: إن ابنة عمي، قد أبطأت، ولم تكن هذه عادتها، ووالله ما أظنُّ ذلك إلَّا لأمرٍ حادث فحدثني، فجعلت أحدثه، فأنشأ يقول:

ما بال مية لاتأتي كعادتها
هل هاجها طربٌ أو صدها شغلُ
لكن قلبي لايعنيه غيركم
حتى الممات، ولالي غيركم أملُ

لـو تعلمـين الـذي بي من فـراقكم
لما اعتـذرت ولاطـابت لـكِ العللُ
نفسي فداؤك، قد أحللتِ بي حُرقاً
تكـاد من حرِّهـا الاحـشـاء تنفصـل
لـو كـان عـادية منـه على جبـل
لـزلَّ وانهدَّ مـن أركـانـه الجبـلُ

فو الله ما اكتحل بغمض، حتى انفجر عمـود الصبح، وقام ومرَّ نحو الحي، فابطأ عني ساعة، ثم أقبـل ومعه شيء وجعـل يبكي عليه، فقلت لـه: ماهذا؟

قال: هذه ابنـة عمي افترسهـا السبع، فـأكل بعضهـا ووضعها بالقرب مني، فأوجع والله قلبي، ثم تناول سيفه، ومرَّ نحو الحي، فابطأ هنيهة، ثم أقبل عليَّ وعلى عاتقه ليث كأنه حمار، فقلت له: ماهذا؟

قال: صاحبي!

قلت: وكيف علمته؟!

قال: اني قصدت الموضع الـذي أصابها فيه، وعلمت أنه سيعود الى ما فضل منها، فجاء قاصداً

الى ذلك الموضع ، فعلمت أنه هو، فحملت عليه فقتلته؛ ثم قام فحفر في الأرض فأمعن، وأخرج ثوباً جديداً وقال: يا أخا بني عامر إذا أنا مت فأدرجني معها في هذا الثوب، ثم ضعنا في هذه الحفرة، وهلَّ[1] التراب علينا، واكتب هذين البيتين على قبرنا وعليك السلام:

كنا على ظهرها والعيش في مهل
والدهر يجمعنا والدار والوطن
فخاننا الدهر في تفريق ألفتنا
واليوم يجمعنا في بطنها الكفن.

ثم التفت الى الاسد وقال:

ألا أيها الليث المدل[2] بنفسه
هُبلْتَ[3] لقد جرت يداك لنا حزنا
وغادرتني فرداً وقد كنت آلفاً
وصيرت آفاق البلاد لنا سجنا

---

١ ـ هلَّ السحاب : اذا أمطر بشدَّة.
٢ ـ دلَّ : افتخر . والدل : الغنج.
٣ ـ الهَبَل : الثُّكل . هبلته أمه : ثكلته.

أأصحبُ دهـراً خـانني بفـراقهـا
معـاذ إلهي أن أكون لـه خـدنـا[1]

ثم قال: يا أخا بني عامر، إذا فرغت من شأننا، فصح في أدبار هذه الغنم فردَّها الى صاحبها. ثم قام الى شجرة فاختنق حتى مات.

فقمت فأدرجتهما في ذلك الثوب، ووضعتهما في تلك الحفرة، وكتبت البيتين على قبرهما، ورددت الغنم الى صاحبها، وسألني القوم فأخبرتهم الخبر، فخرج جماعة منهم فقالوا: والله لنخرجنَّ عليه تعظيما له، فخرجوا واخرجوا مائة ناقة، وتسامع الناس فاجتمعوا الينا، فنحرت ثلاثمائة ناقة ثم انصرفنا.

---

١ ـ الخدن: الحبيب والصاحب للمذكر والمؤنث.

جارية بني جمح

ذكر ابن ابي حسان عن الرياشي: أن رجلاً من بني جمح من أهل مكة ولدت له جارية لم يولد مثلها بالحجاز حسناً. فقال ابوها: كأني بها وقد كبرت فتشبب بها عمر بن أبي ربيعة[1] وفضحها ونوه باسمها؛ كما فعل بنساء قريش. والله لأقمت بمكة، فباع ضيعة له بالطائف ومكة، ورحل بابنته الى البصرة فاقام بها وابتاع هناك ضيعة.

ونشأت ابنته من أجمل نساء زمانها؛ ومات أبوها

* * الأصفهاني: أبو الفرج - الأغاني - ج١ ص ٨٨.

١ - عمر بن ابي ربيعة: ويكنى أبا الخطاب، وكان أبو ربيعة جده يسمى ذا الرمحين سمي بذلك لطوله، كان يقال كأنه يمشي على رمحين. شاعر غزلي من سراة القرشيين، رقيق الاسلوب؛ لطيف العواطف في غزله العفيف أو المتعهر. رجع عما فرط منه في آخر حياته وتنسك. له ديوان مطبوع.

فلم تر أحداً من بني جمح حضر جنازته ولا وجدت لها مسعداً، ولاعليها داخلاً، فقالت لجارية لها سوداء: من نحن ومن أي البلاد نحن؟ فخبرتها. فقالت: لاجرم والله لاأقمت في هذا البلد الذي أنا فيه غريبة.

فباعت الضيعة والدار، وخرجت في أيام الحج، وكان عمر يقدم ويعتمر في ذي القعدة؛ ويحلّ ويلبس تلك الحلل الوشي، ويركب النجائب[1] المخضوبة بالحناء، عليها القطوع[2] والديباج، ويسبل لمته[3]، فخرج يوماً، فاذا قبة مكشوفة، فيها جارية كأنها القمر، تعادلها جارية سوداء.

فقال للسوداء: من أنت؟ ومن أين أنت يا خالة؟

فقالت: لقد اطال الله تعبك إن كنت تسأل هذا العالم من هم.

قال: فاخبرني عسى أن يكون لذلك شأن.

---

١ ـ النجيب: الفاضل النفيس في نوعه.
٢ ـ القطوع: ضرب من الثياب الموشاة.
٣ ـ اللِّمّة: الشعر المجاوز شحمة الاذن.

قالت: نحن من أهل العراق. فأما الأصل والمنشأ فمكة. وقد رجعنا الى الأصل، ورحلنا الى بلدنا. فضحك. فلما نظرت الى سواد ثنيته، قالت: قد عرفناك.

قال: ومن أنا؟!

قالت: عمر بن أبي ربيعة.

قال: وبم عرفتني؟

قالت: بسواد ثنيتك التي ليست إلّا لقريش.

فأنشأ يقول:

أصبح القلب في الحبال رهينا
مقصداً يوم فارق الظاعنينا
قلت من أنتم فصدّت وقالت
أمبدّ سؤالك العالمينا
نحن من ساكني العراق وكنا
قبله قاطنين مكة حينا

فلم يزل عمر بها حتى تزوجها وولدت له.

انتهى الكتاب

الكتاب القادم « عفاف العرب »

مصادر الكتاب

١ ـ الأصفهاني: أبو الفرج ـ الأغاني
٢ ـ ابن الأثير: عز الدين ـ الكامل في التاريخ
٣ ـ ابن عبد ربه ـ العقد الفريد
٤ ـ ابن قيم الجوزية ـ أخبار النساء
٥ ـ البغدادي ـ خزانة الأدب
٦ ـ الجاحظ ـ المحاسن والأضداد
٧ ـ الخضري بك ـ مهذب الأغاني
٨ ـ القالي: ابو علي ـ ذيل الأمالي
٩ ـ القالي: ابو علي ـ الأمالي
١٠ ـ الميداني ـ مجمع الأمثال
١١ ـ النويري ـ نهاية الأرب
١٢ ـ الوطواط: ابو إسحاق ـ غرر الخصائص الواضحة.

مؤسسة عز الدين
للطباعة والنشر
هاتف: ٢٧٣٦٣٦-٢٧٥٥٣٢-٢٧٥٥٦٣-٢٧٥٨٦٧- ص.ب: ١٣/٥٢٥١ بيروت - لبنان

عفاف العرب

سلسلة أخبار العرب

عفاف العرب

تأليف

حسن مغنيّة

مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر

١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

مؤسسة عز الدين
للطباعة والنشر

هاتف: ٢٧٣٦٣٦-٢٧٥٥٣٢-٢٧٥٥٦٣-٢٧٥٨٦٧-ص.ب: ١٣/٥٢٥١ بيروت - لبنان

المحتـــويات

الموضوع	الصفحة

ـ كلمة التمهيد ـ

بسم الله الرحمن الرحيم وبه أستعين

إن خير ما نفتتح به هذا الكتاب قوله تعالى: « قل للمؤمنين يغضُوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون. وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهنَّ ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعاً أيُّهَ المؤمنون لعلكم تفلحون »[1].

هذه الومضة السماوية، والشعاع القرآني، يشرع لنا سبيل النور، ويأخذ بأيدينا الى شاطىء الخلاص، مما تتخبط

١ ـ سورة النور آية ٣٠ و٣١

فيه الإنسانية ، من ظلمَات الجهل والضلال . فقد بيّن الله سبحانه ما يحل من النظر وما لا يحل منه ، وطلب الى المؤمنين ان يغضوا أبصارهم عن عورات النساء ، فينقصوا من نظرهم الى ما حرم ، فذلك أنفع لدينهم ودنياهم ، وأظهر وأنفى للتهمة ، وأقرب الى التقوى ، فالله عليم بما يعملون على أي وجه . وكذا أمَرَ النساء بمثل ما أمر به الرجال ، من غض البصر وحفظ الفرج ، ولا يظهرن مواضع الزينة لغير محرم ومن هو في حكمه ، إلا الظاهر منها ، الذي هو في رأي المفسرين المعتبرين : الكحل والخاتم والخدان، والخضاب في الكف . وأُمرن ان يغطين شعورهن وصدورهن وترائبهن وسوالفهن ، فلا يبدينها إلا لأزواجهن ، ومن هم ذوو محرم لهن بالأسباب والأنساب . وكانت المرأة الجاهلية تضرب برجلها ، لتسمع قعقعة الخلخال ، لتلفت إليها أنظار الرجال ، فنهاهن عن ذلك كي يطهرن من أرجاس الجاهلية .

ولقد كانت العلاقة بين الرجال والنساء قبل الإسلام - في جميع العصور ومختلف الأمصار - طبيعية لا تخضع لنظام ولا تلتزم بقيود ، سوى الأعراف الثقيلة ، التي تفرضها بعض المجتمعات ، ولا سيما فيما يتعلق منها بسلوك المرأة وتبيان ما لها من حقوق وما عليها من التزامات . فالمرأة إذاً تخضع لنظام الأسرة القبلي ، وتلتزم بعاداتها وتقاليدها .

فالرومان يعتبرون المرأة شراً يجب تجنبه :

والإغريق يرون أن المرأة مخلوق منحطّ ، وُجِدَ ليلد للدولة رجال حربٍ وليس غير.

ويجد الهندوس في حرق المرأة مع زوجها ، يوم أن يموت في أتون واحد ، شرعة مثلى .

وقد أباح سقراط للرجل أن يهب زوجته لأصدقائه .

ونادى أفلاطون في جمهوريته بتداول النساء بين الرجال ، كالماء والهواء والنار .

وعرف في العهد القديم ، أن يبيع الوالد بنته ، بيع الأرقاء لمن يريد زواجها لنفسه أو لاصدقائه .

ولم يكن للنساء شأن قبل الاسلام ، إلا ما اقتضته العادات والتقاليد والأعراف ، حتى انزل الله الأحكام التشريعية في شأن النساء، فأعطى للمرأة كل الحقوق الانسانية، وألزمها بالتكاليف الدينية والدنيوية، فجعلها بذلك صنو الرجل تقع عليها أعباء الأمانة، أمانة المسؤولية والعقيدة والايمان.

وفي التنزيل العزيز : « وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم . وليستعفف الذين لا يجد.. نكاحاً حتى

يغنيهم الله من فضله والـذين يبتغون الكتـاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً وأتوهم من مال الله الذي أتاكم ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن اردن تحصناً لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد إكراههن غفور رحيم »[١] .

لقد أمر الله سبحانه بالنكاح ، ليغني عباده عن السفاح ، فدعا المؤمنين لتزويج من لا زوج له ، من أحرار الرجال والنساء ، وذلك لصلاح أمورهم بالإيمان ؛ ومن لاسعة له للتزويج ، وعده الله أن يوسع عليه عن التزويج بالفضل الكثير . فالله أعلم بأحوال عباده وما يصلحهم فيعطيهم على قدر ذلك ، وما ذلك على الله بعزيز .ومن لم يجد السبيل الى أن يتزوج ، بان لا يجد المهر والنفقة ، أن يتعفف ولا يدخل في الفاحشة ، ويصبر حتى يوسع الله عليه من رزقه ، لانه هو الرزاق ذو القوة . .

وقال تعالى : « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً »[٢] .

إن دلَّت هذه الآية على شيء فانما تدل على أن أهل الجاهلية كانوا يفعلون ذلك ، من نكاح امرأة الأب . فأنزل

---

١ ـ سورة النور آية ٣٢ و٣٣

٢ ـ سورة النساء آية ٢٢

الله هذه الآية بان لا تتزوجوا ما تزوج آباؤكم . وقد حرِّم عليكم ما كان أهل الجاهلية يفعلونه من نكاح امرأة الأب (إلا ما قد سلف) فإنكم لا تؤخذون به (إنه كان فاحشة) أي زنا ومعصية محرمة قبيحة ، وبغضاً يورث بغض الله . فبئس الطريق ذلك النكاح .

وقال تعالي: « الرجال قوامون على النساء بما فضل بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً إن الله كان علياً كبيراً »(1) .

إذا كان هناك قوامة للزوج على زوجته ، فهي قوامة رعاية ومحافظة ، وإنفاق ومدافعة ، لا إهدار فيها لشخصية المرأة ، ولا نقصان لحق من حقوقها المدنية ، ولا انتقاص لدورها في الأسرة . فالآية تشير الى ان الله تعالى فضَّل الرجال على النساء ، حيث جعلهم مسلطين عليهن في التدبير والتأديب والرياضة والتعليم ، وذلك لما لهم من زيادة الفضل عليهن بالعلم والعقل ، وحسن الرأي والحزم وبما انفقوا عليهن من المهر والنفقة ، فالصالحات منهن مطيعات لله ولأزواجهن يحفظن أنفسهن ومال أزواجهن في غياب

---

1 ـ سورة النساء آية ٣٤

أزواجهن . وأما النساء اللاتي تخافون نشوزهن أي العصيان للزوج ومخالفته والاستيلاء عليه ، فعظوهن بالقول والنصيحة وإن لم ينجح الوعظ، ولم يؤثر النصح بالقول ، فاهجروهن بالمضاجع . فإن رجعن الى طاعتكم في الائتمار بأمركم ، لم يعد من حاجة الى سبيل الضرب والهجران ، بهذا يكلفكم الله ، والله لا يكلف إلا الحق وبمقدار الطاقة .

وقال تعالى: « وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً »[1].

أعطوا النساء مهورهن عطية من الله ، وذلك ان الله تعالى جعل الاستمتاع مشتركاً بين الزوجين ، ثم أوجب للزوجة بازاء الاستمتاع مهراً على زوجها ، فذلك عطية من الله للنساء ؛ فإذا طابت نفوسهن بهبة شيء من الصداق ، فكلوا هذا الموهوب ، هنيئاً مريئاً ؛ وهو لكم طيب مساغ محمود العاقبة ، تام الهضم لا يضر ولا يؤذي ولا ينقصه شيء .

وهنا لا بد من الاشارة الى الخبر المنسوب لأمير المؤمنين علي (ع) أنه جاءه رجل فقال : يا أمير المؤمنين ، إني يوجع بطني .

فقال : ألك زوجة ؟

---

١ ـ سورة النساء آية ٤

فقال : نعم .

فقال استوهب منها شيئاً طيبة به نفسها من مالها ، ثم اشتر به عسلاً ، ثم اسكب عليه من ماء السماء ثم اشربه . فالله تعالى يقول في كتابه « وأنزلنا من السماء ماءً مباركاً ». وقال : « يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس » وقال : « فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً » . فاذا اجتمعت البركة والشفاء والهني المريء شفيت ان شاء الله .

ففعل ذلك فشفي .

وروي عن رسول الله (ص) أنه قال : ألا أخبركم بشرِّ نسائكم ؟

قالوا : بلى يا رسول الله أخبرنا .

قال : « من شرِّ نسائكم الذليلة في أهلها ، العزيزة مع بعلها ، العقيم الحقود ، التي لا تتورع عن قبيح ، المتبرجة إذا غاب عنها زوجها ، الحصان معه إذا حضر ، التي لا تسمع قوله ولا تطيع أمره ؛ فإذا خلا بها تمنَّعت تمنع الصعبة عن ركوبها ، ولا تقبل له عذراً ولا تغفر له ذنباً » .

وعنه (ص) : « إياكم وخضراء الدمن ، قيل : يا رسول الله وما خضراء الدمن ؟ قال : المرأة الحسناء في منبت السوء . » .

وعنه (ص) : « خير نساء ركبن الإبل نساء قريش ، أحناها على ولد في صغره ، وأرعاها على بعل في ذات يده ، ولو علمت أن مريم ابنة عمران ركبت جملاً لا ستثنيتها .

وعنه (ص) : « من تزوج فقد أحرز نصف دينه فليتق الله في النصف الباقي » .

وعنه (ص) : من سرّه انه يلقى الله طاهراً مطهراً ، فليلقه بزوجة صالحة .

وعنه (ص) : اذا صلّت المرأة خمسها وصامت شهرها ، وأحصنت فرجها ، وأطاعت بعلها ، فلتدخل من أي ابواب الجنة شاءت .

وعنه (ص) : « شراركم عِزّابكم » .

وعنه (ص) : « من أدرك له ولد وعنده ما يزوجه فلم يزوجه فأحدث فالإثم بينهما »

وعنه (ص) : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباه فليتزوج ، فأنه أغضى للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » .

وعنه (ص) : « من عشق فعفّ فمات فهو شهيد » .

وعنه (ص) : « عفّوا تعفّ نساؤكم » .

وفي الخبر عن الإمام الصادق (ع) انه قال : « الحياء

عشـرة أجزاء تسعـة في النساء وواحـد في الرجـال . فإذا خفضت المرأة[1] ذهب جزء من حيائها ، واذا تزوجت ذهب جزء ، واذا افترعت[2] ذهب جزء ، واذا ولدت ذهب جزء ، وبقي لها خمسة أجزاء.. فإن فجرت ذهب حياؤها كله، وإن عفّت بقي لها خمسة أجزاء .

وعنه (ع) : «المؤمنون بعضهم أكفـاء بعض» وقال : « الكفؤ ان يكون عفيفاً وعنده يسار » .

وعنه (ع) : أنه سأل أبا بصير : إذا تزوج أحدكم كيف يصنع ؟

فقال : ما أدري .

قال : « إذا همَّ بذلك ، فليصل ركعتين ، وليحمد الله عز وجل وليقل : اللهم إني أريد أن أتزوج ، اللهم فقدر لي من النساء أحسنهن خلْقاً وخُلقاً ، وأعفّهن فرجاً ، وأحفظهن لي في نفسها ومالي ، وأوسعهن رزقـاً ، وأعظمهن بـركة ، واقضِ لي منها ولداً طيباً ، تجعله لي خلفاً صالحاً في حياتي وبعد موتي » .

وعنه (ع) : « من نظر الى امرأة فرفع بصره الى السماء ،

---

١ ـ الخفض: ختان الجارية.

٢ ـ افترعت البكر: أزيلت بكارتها.

أو غمض بصره ؛ لم يرتد اليه بصره حتى يزوجه الله من الحور العين ».

وعنه (ع) : « أول النظرة لك ، والثانية عليك ، والثالثة مهلكة ».

وهكذا فإن الإنسانية لا تطمع في تعاليم أرقى مما شرعه الله في كتابه الكريم ،وشرحه الرسول (ص) بسنته . وبينه السلف الصالح في أخبارهم . هذا هو الاسلام في نصه وعمله ، لا يفرق بين الرجل والمرأة في شيء من أحكامه ومسؤولياته ، إلا حيث فرقت طبيعة الخلق بينهما ، فلكل منهما حقوق وعليه التزامات .

ولقد أوردت في كتاب « عفاف العرب » حفنة مختارة من الأخبار التي تفصح عن رفاهة عواطف العرب ، ورقة قلوبهم ، وسموا نفوسهم، فذكرت طرفاً من أخبار من وقع الحب في قلبه ، فخرج هذا الحب بالشرف والعفاف والفضيلة ، فقدر له ان يعيش معذباً في سبيل من أحب ، أو كتب عليه ان يقضي شهيد الفضل والعفاف ، أو أبت عليه الأعراف والتقاليد والعادات ، بلوغ ما تتوق اليه نفسه من آمال وأماني فوقفت سداً منيعاً حائلاً بينه وبين من أحبَّ . فتنوعت المواقف ، وتعددت الصور ، واختلفت السبل .

ولست أزعم بذلك أني قد بلغت الغاية ، ولكني لا أزال أحاول ، فالكمال لله وحده ، وقد بذلت ما أمكنني من الجهد كي يخرج الكتاب جديراً بموضوعه محققاً لما يرجى منه .

اللهم أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى . وأعوذ بك من كل شرٍّ إنك نعم المولى ونعم النصير .

المؤلف

كذلك الحب*

قال أحد الرواة: رأيت امرأة مستقبلة، في غاية الضعف والنحافة، رافعة يديها تدعو.

فقلت لها: هل من حاجة؟

فقالت: حاجتي أن تنادي في الموقف بقولي:

تـزوَّدَ كـلُّ الـنـاس زاداً يـقـيـهـم
ومـالي زاد والـسـلام عـلى نفسـي

فناديت كما أمرتني. وإذا بفتى نحيل الجسم قد أقبل الي فقال: أنا الزاد.

---

* الأبشيهي ـ المستطرف في كل فن مستظرف ج٢ ص ١٨٢/إبن أبي الحديد ـ شرح نهج البلاغة مجلد ٤ص ٥٢٦

فمضيت به اليها، فما زاد على النظر والبكاء ثم قالت له: إنصرف بسلام.

فقلت: ما علمت أن لقاءكما يقتصر على هذا!!

فقالت: امسك يا هذا، أما علمت أن ركوب العار ودخول النار شديد؟!

قال إبراهيم بن محمد المهلبي:

كم قد ظفرت بمن أهوى فيمنعني
منه الحياءُ وخوف الله والحذر
وكم خلوت بمن أهوى فيقنعني
منه الفكاهة والتأنيس والنظر
أهوى الملاح وأهوى أن أجالسهم
وليس لي في حرام منهم وطر[1]
كذلك الحب لا إتيان معصية
لا خير في لذة من بعدها سقر[2].

---

١ ـ الوطر: الحاجة والبغية/ يقال: «قضى مَنه وطَرَه وأوطاره» أي نال بغيته

٢ ـ سقر: علم لجهنم، والكلمة ممنوعة من الصرف

وقال رجل من كلب:

إن أكن طامح[1] اللحاظ فإني،
والذي يملك الفؤاد، عفيف.

وقال أحدهم:

فقالت بحقِّ الله إلّا أتيتنا
إذا كان لون الليل شبه الطيالس[2]
فجئت ومافي القوم يقظان غيرها
وقد نام عنها كل واش وحارس
فبتنا مبيتاً طيباً نستلذه
جميعاً ولم أمدد لها كف لامس.

---

١ ـ طمح بصره اليه: إرتفع ونظره شديداً. والطمّاح: البعيد الطرف/ الشره.

٢ ـ الطيالس م الطيلس: كساء أخضر يلبسه الخواص من المشايخ والعلماء وهو من لباس العجم. والطُلْسة: غبرة في سواد/ السحابة الرقيقة.

موسومة بالحسن*

ذكر جماعة من الرواة عن إبن الأعرابي: إن نسوة جلسن الى المجنون فقلن له: ما الذي دعاك الى أن أحللت بنفسك ما ترى، في هوى ليلى، وإنما هي امرأة من النساء؛ هل لك في أن تصرف هواك عنها الى إحدانا فنساعفك(1) ونجزيك بهواك، ويرجع اليك ما عزب من عقلك وجسمك؟!

فقال لهن: لو قدرت على صرف الهوى عنها اليكن لصرفته عنها وعن كل أحدٍ بعدها وعشت في الناس سوياً مستريحاً.

---

* الأصفهاني: أبو الفرج ـ الأغاني ج٢ ص ١٢

١ ـ ساعفه: ساعده وعاونه.

فقلن له: ما أعجبك فيها؟

فقال: كل شيء رأيته وشاهدته وسمعته منها أعجبني والله ما رأيت شيئاً منها قط إلا كان في عيني حسناً، وبقلبي علقاً، ولقد جهدت أن يقبح منها عندي شيء أو يسمُج[1] أو يعاب لأسلو عنها فلم أجده.

فقلن له: فصفها لنا.

فأنشأ يقول:

بيضاء خالصة البياض كأنها
قمر توسط جنح ليل مبرد
موسومة بالحسن ذات حواسد
إن الجمال مظنة للحسد
وترى مدامعها ترقرق مقلة
سوداء ترغب عن سواد الأثْمِدِ[2]
خَوْد[3] إذا كثر الكلام تعوذت
بحمى الحياء، وإن تكلم تقصد.

---

١ ـ سمُج: قبُح.

٢ ـ الأثمد والأثمدُ: حجر يكتحل به، يعرفه علماء الكيمياء باسم أنتيموان.

٣ ـ الخَوْد: المرأة الشابة.

من عشق فعف*

قيل لأعرابي: ماأنت صانع إن ظفرت بمن تحب؟

قال: أحلّل ما يشتمل عليه الخِمار(1)، وأحرِّم ما كتمه الأزار(2)، وأزجر الحب عما يغضب الرب.

وقيل لليلى: هذا قيس مات لما به من عشقك!

---

* إبن قيم الجوزية - أخبار النساء ص ٥٥ وما يليها/ الأبشيهي المستطرف في كل فن مستظرف ج٢ ص ١٨٣/ إبن أبي الحديد - شرح نهج البلاغة - ج٤ ص ٥٣٤/ الأصفهاني: أبو الفرج - الأغاني ج٢٠ ص ١٥٢.

١ - الخمار: ما تغطى به المرأة رأسها/ الستر عموماً.

٢ - الإزار: كل ما سترك/ العفاف.

قالت: ولقد خفت والله أن أموت بذلك منه.

قيل لها: فما عندك حيلة تخفف ما به؟

قالت: صبري وصبره، أو يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين.

وقيل لعفراء وقد بلغها ما نزل بعروة[1] فكادت تبوح بسرها، فقيل لها: أما عندك له حيلة تخفف ما به؟

فقالت: والله، لأنا أسرُّ بذلك وأشوق اليه منه، ولكن لاسبيل الى احتمال العار، ودخول النار.

وقيل لمية، بعد موت قابوس: ما كان يضرُّك لو أمتعته بوجهك قبل موته؟

قالت: منعني من ذلك خوف العار، وشماتة الجار، ولقد كان بقلبي منه أكثر مما كان بقلبه، غير

---

١ ـ عروة بن حزام بن مهاجر. شاعر إسلامي، احد المتيمين الذين قتلهم الهوى، لايعرف له شعر إلا في عفراء بنت عمه عقال بن مهاجر وتشبيبه فيها.

إني وجدت ستره أبقى لنا لما في الصدر من المودة، وأحمد للعافية.

ونزل رجل على صديق له، مستتراً خائفاً من عدوٍ له، فأنزله في منزله وتركه فيه، وسافر لبعض حوائجه، وقال لامرأته: أوصيك بضيفي خيراً.

فلما عاد بعد شهر قال لها كيف ضيفنا؟

قالت: ما أشغله بالعمى عن كل شيء وكان الضيف قد أطبق عينيه، فلم ينظر الى امرأة صاحبه، ولا الى منزله، الى أن عاد من سفره.

روي عن عمر بن أبي ربيعة أنه كان عفيفاً، يصف ويعف ويحوم ولايرد.

دخلت بثينة على عبد الملك بن مروان فقال لها: يا بثينة ما أرى فيك شيئاً مما كان يقوله جميل!؟

فقالت: يا أمير المؤمنين، إنه كان يرنو[1] الي بعينين ليستا في رأسك.

قال: فكيف رأيتيه في عشقه؟

---

١ ـ رنا يرنو رَنُوًّا: طرب ولهاً مع شغل قلب وغلبة هوىً.

قالت: كان كما قال الشاعر:

لاوالـــذي تـــســـجـــد الجـــبـــاه لـــه
مـــالي بمـــا تحت ذيـــلـهـــا خـــبـــر
ولا بفيـــها، ولاهمـمـت بهـــا
مـــاكـــان إلا الحـــديـــث والـــنـــظـر

حدَّث ابو سهل الساعدي فقال: دخلت على جميلٍ، وبوجهه آثار الموت، فقال لي: يا أبا سهل، إن رجلاً يلقَى الله، ولم يسفك دماً، ولم يشرب خمراً، ولم يأت فاحشة، أفترجو له الجنة؟

قلت: إي والله، فمن هو؟

قال: إني لأرجو أن أكون ذلك.

فذكرت له بثينة. فقال: إني لفي آخر يوم من الدنيا، وأول يوم من الآخرة، لانالتني شفاعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، إن كنت حدثت نفسي بريبة قط.

قيل أن إبراهيم بن المهدي، اختفى في هربه من المأمون، عند عمته زينب بنت أبي جعفر، فوكلت

بخدمته جارية لها إسمها ملك، وكانت واحدة زمانها في الحسن والأدب، طلبت منها بخمسمائة الف درهم، فهويها ابراهيم، وكره أن يراوده عن نفسها، فغنى يوماً وهي قائمة على رأسه:

يا غزالاً لي إليه
شافع من مقلتيه
أنا ضيف وجزا
ء الضيف إحسان اليه

ففهمت الجارية ما أراد، فحكت ذلك لمولاتها.

فقالت: إذهبي اليه فإعلميه إني قد وهبتك له.

فعادت اليه، فلما رآها أعاد البيتين، فأكبّت عليه فقال لها: كفّي فلست بخائن.

فقالت: قد وهبتني لك مولاتي وأنا الرسول.

فقال: أما الآن فنعم.

فِلقة قمر*

خـرج رجل من بني مـرة، الى ناحيـة الشـام والحجاز، في طلب بغية له، فإذا هو بخيمة قد رفعت له وقد أصابه المطر، فعدل اليها وتنحنح فاذا امرأة قد كلمتـه، فقالت: إنـزل، فنـزلت: فقـالت من أين أقبلت؟

فقلت: من ناحية تهامة ونجد.

فقالت: أدخل أيها الرجل.

فدخلت الى ناحيـة من الخيمة، فـأرخت بيني وبينها ستراً ثم قالت لي: يا عبد الله، أي بلاد نجد وطئت؟

---

* الأصفهاني أبو الفرج ـ الأغاني ج٢ ص ١٣

فقلت: كلها

قالت: فيمن نزلت هناك؟

قلت: ببني عامر.

فتنفست الصعداء، ثم قالت: فبأي عامر نزلت؟

فقلت: ببني الحريش.

فاستعبرت[1] ثم قالت: فهل سمعت بذكر فتى منهم يقال له قيس بن الملوح، ويلقب بالمجنون؟

قلت: بلى والله! وعلى أبيه نزلت، وأتيته فنظرت اليه يهيم في تلك الفيافي، ويكون مع الوحش لايعقل ولايفهم، إلا أن تذكر له أمرأة يقال لها ليلى، فيبكي وينشد أشعاراً

فرفعت الستر بيني وبينها، فاذا فلِقة قمر لم تر عيني مثلها، فبكت حتى ظننت ـ والله ـ أن قلبها قد انصدع. فقلت أيتها المرأة؛ إتقي الله فما قلت بأساً؛ فمكثت طويلاً على تلك الحال من البكاء والنحيب، ثم قالت:

---

١ ـ إستعبرت: جرت عبرتها/ حزنت.

ألا ليت شعــري والخــطوب كثيــرة
متى رحــل قيسٍ مستقــلٌّ فــراجــعُ
بـنفـسـي مـن لايسـتـقــل بــرحـله
ومن هــو إن لم يحفظ الله ضــائــع

ثم بكت حتى سقطت مغشياً عليها. فقلت لها: من أنت ياأمة الله؟ وما قصتك؟

قالت: أنا ليلى، صاحبته المشؤمة ـ والله ـ عليه، غير المؤنسة له، فما رأيت مثل حزنها ووجدها عليه قط.

وارحمتا للعاشقين*

حـدَّث أبـو الحسن الصـالحي، قـال: قـال الجاحظ(1): ذُكرتُ لأمير المؤمنين المتوكل، لتأديب

---

* المسعودي - مروج الذهب - ج٤ ص ١٠٠/ النويري - نهاية الأرب ج٢ ص ١٩٥.

١ - الجاحظ: هو عمرو بن بحر (٧٧٥ - ٨٦٨ م) كاتب ولد ومات بالبصرة، كان من أسرة فقيرة، توفي أبوه وهو صغير، باع الخبز والسمك وواصل تحصيله العلمي. إطلع على كل ما وقعت عليه يداه. تهادته قصور الخلفاء والوزراء والكبراء حيث أصبح أمام الأدباء في العصر العباسي، أصيب بفالج نصفي في أواخر حياته، أحاط بمعارف عصره من عربية وهندية وفارسية ويونانية. ولم يترك موضوعاً إجتماعياً أو ثقافياً أو أدبياً إلا كتب فيه. فألف أكثر من ٢٥٠ كتاباً.

بعض ولده، فلما رآني إستبشع منظري، فأمرلي بعشرة الآف درهم وصرفني.

وخرجت من عنده، فلقيت محمد بن إبراهيم، وهو يريد الإنصراف الى مدينة السلام، فعرض عليّ الخروج معه، والإنحدار في حرّاقته[1]، فركبنا فيها فلما أتينا فم نهر القاطول وخرجنا من سامرّا[2]، نصب ستارته وأمر بالغناء، فاندفعت عوّادة فغنت:

كل يومٍ قطيعة وعتاب
ينقضي دهرنا ونحن غضاب
ليت شعري أنا خصصت بهذا
دون الخلق أم كذا الاحباب؟

وسكتت، فأمر الطنبورية فغنت:

---

١ ـ الحراقة: نوع من السفن

٢ ـ سامراء: مدينة تقع على الضفة اليسرى من نهر دجلة في العراق. تبعد عن بغداد حوالي ١٠٠ كلم شمالاً أنشئت زمن الخليفة المعتصم. وبلغت أقسى إتساعها زمن المتوكل. لم يبق من أطلالها إلا بقايا دار الخليفة والمنارة الملوية، وفيها ضريحا الامامين علي الهادي وولده الحسن العسكري (ع). وكانت مقراً للخلافة العباسية.

وارحمتا للعاشقين
ما إن أرى لهم مُعينا
كم يُهجرون ويصرمو
ن ويقطعون فيصبرونا؟

قال: فقالت لها العوادة: فيصنعون ماذا؟

قالت: هكذا يصنعون، وضربت بيدها الى الستارة فهتكتها، وبرزت كأنها فِلقة قمر، فزجّت بنفسها الى الماء، وعلى رأس محمد غلام يضاهيها في الجمال، وبيده مِذَبَّة[1]، فأتى الموضع، ونظر اليها وهي تمر بين الماء، فأنشأ يقول:

أنت الذي غرقتني
بعد القضا لو تعلمينا

فزج بنفسه في أثرها، فأدار الملاح الحراقة، فاذا هما معتنقان، ثم غاصا فلم يريا!

فهال محمد ذلك واستعظمه، وقال: يا عمرو

---

١ ـ المذبة: ما يذب به الذباب. ومنه: «أذنابها مذابّها» أي تدفع بها الذباب عن أنفسها.

لتحدثني حديثاً يسليني عن فقد هذين؛ وإلا ألحقتك بهما.

قال: فحضرني حديث يزيد بن عبد الملك، وقد قعد للمظالم، وعرضت عليه القصص؛ فمرت به قصة فيها: «إن رأى أمير المؤمنين ـ أعزه الله أن يخرج جاريته فلانة حتى تغنيني ثلاثة أصوات فعل».

فاغتاظ يزيد، وأمر من يخرج اليه ويأتيه برأسه، ثم أمر أن يتبع الرسول برسول آخر، يأمره أن يدخل اليه الرجل، فلما وقف بين يديه قال له: ما الذي حملك على ما صنعت؟

قال: الثقة بحلمك، والإتكال على عفوك.

فأمره بالجلوس، حتى لم يبق أحد من بني أمية إلا خرج؛ ثم أمر فأخرجت الجارية، ومعها عودها، فقال لها الفتى غني:

تألّق البرق نجدياً فقلت له:
يا أيها البرقُ إني عنك مشغول
يكفيك عني عدوٌ ثائرٌ حنق
في كفه صارم كالرمح مسلول.

فغنته فقال: قل.

قال: تأمر لي برطل شراب، فلما استتم شرابه، حتى وثب وصعد على أعلى قبة ليزيد، فرمى بنفسه على دماغه، فمات.

فقال يزيد: إنا لله وإنا اليه راجعون، أتراه الأحمق الجاهل، ظن أني أخرج اليه جاريتي، وأردها الى ملكي؟! يا غلمان: خذو بيدها واحملوها الى أهله، إن كان له أهل، وإلا فبيعوها وتصدقوا بثمنها عنه.

فانطلقوا بها الى أهله، فلما توسطت الدار، نظرت الى حفرة في دار يزيد، قد أعدت للمطر، فجذبت نفسها من أيديهم، وأنشأت تقول:

من مات عشقاً فليمت هكذا
لاخير في عشق بلا موت

ثم زجت بنفسها على دماغها فماتت.

فسرى عن محمد، وأحسن صلتي.

صدق الحب وطهارته*

عن أيوب بن عباية قال: سعت أمة لبثينة بها الى أبيها وأخيها، وقالت لهما: إن جميلاً[1] عندها

* الأصفهاني: أبو الفرج ـ الأغاني ج٧ ص ٨٤

١ ـ جميل بثينة أو جميل بن عبد الله العذري: (ت ٧٠١ م) ولد بوادي القرى شمالي المدينة، وتوفي بمصر، أحبَّ بثينة وأحبته وتلاقيا فتغزل بها فغضب قومها ورفضوه حين تقدم للزواج منها، وزوجوها من نبيه بن الأسود، فلم يكف جميل عن حبها، وحاول الاتصال بها، فشكاه أهلها. وأهدر الوالي دمه، فهرب الى اليمن حتى عزل الوالي فرجع ثانية. ثم رحل الى مصر ليمدح أميرها عيد العزيز بن مروان. له ديوان معظمه في الغزل العذري الساذج الصادق العذب العبارة المتوفر النغم. يضرب المثل بجميل في صدق الحب وطهارته.

الليلة؛ فأتياها مشتملين على سيفين، فرأياه جالساً حَجْرة[1] منها يحدثها ويشكو اليها بثه، ثم قال لها: يا بثينة؛ أرأيت وُدِّي إياك، وشغفي بك، ألا تجزينيه؟

قالت: بماذا؟

قال: بما يكون بين المتحابين.

فقالت له: يا جميل، أهذا تبغي؟! والله لقد كنت عندي بعيداً منه، ولئن عاودت تعريضاً بريبة، لارأيت وجهي أبداً.

فضحك وقال: والله ما قلت لك هذا إلا لأعلم ما عندك فيه، ولو علمت أنك تجيبينني اليه لعلمت أنك تحبين غيري، ولو رأيت منك مساعدةً عليه لضربتك بسيفي هذا ما استمسك في يدي، ولو أطاعتني نفسي لهجرتك هجرة الأبد، أو ما سمعت قولي:

وإني لأرضى من بثينة بالذي
لو أبصره الواشي لقَّرت بلابله

---

١ ـ الحَجْرة: الناحية.

بلا وبألَّا استطيع وبالمنى
وبالأمل المرجو قد خاب آمله
وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضي
أواخره لا نلتقي وأوائله .

فقال أبوها لأخيها: قم بنا فما ينبغي لنا بعد اليوم أن نمنع هذا الرجل من لقائهما، فانصرفا وتركاهما .

تحية الأحبة*

أراد زوج عزة أن يحج بها، فسمع كُثيرٌ الخبر؛ فقال: والله لأحجنَّ، لعلي أفوز من عزة بنظرة.

فبينما الناس في الطواف، إذ نظر كثير عزة، وقد مضت الى جمله، فحيته ومسحت بين عينيه، وقالت: حييت يا جمل!

فبادر كُثير ليلحقها، ففاته؛ فوقف على الجمل وقال:

حيتك عزة بعد الحج وانصرفت
فحيِّ ويحك من حياك يا جمل

---

*الأبشيهي - المستطرف في كل فن مستظرف ج٢ ص ١٩١

لو كنت حييتها، ما زلت ذا مقةٍ[1]
عندي ولا مسَّك الادلاج[2] والعمل
ليت التحية كانت لي فأشكرها
مكان يا جملُ، حييت يارجلُ.

فسمعه الفرزدق، فتبسم، وقال له: من تكون يرحمك الله؟!

قال: أنا كثير عزة! فمن أنت يرحمك الله؟

قال: أنا الفرزدق بن غالب التميمي.

قال: أنت القائل:

رحلت جمالهم بكل أسيلة[3]
تركت فؤادك هائماً مخبولا
لو كنت أملكهم إذا لم يرحلوا
حتى أودع قلبي المتبولا[4]

---

١ ـ المقة: المحبة

٢ ـ أدلج إدلاجاً: سار الليل كلّه أو في آخره:

٣ ـ خدٌّ أسيل: وهو السهل اللين الدقيق المستوي.

٤ ـ أتبله الحب أو الدهر: أسقمه. وأتبله: ذهب بعقله، فهو متبول.

ساروا بقلبي في الحدوج(٥) وغادروا
جسمي يعالج زفرة وعويلا

فقال الفرزدق: نعم!

فقال كثير: والله لولا إني في البيت الحرام، لأصيحن صيحة أفزع هشام بن عبد الملك، وهو على سرير ملكه.

فقال الفرزدق: والله لأعرفن بذلك هشاماً.

ثم توادعا وافترقا.

ولما وصل الفرزدق الى دمشق، دخل الى هشام ابن عبد الملك، فعرّفه بما إتفق له مع كثير، فقال له: أكتب اليه بالحضور عندنا، لنطلق عزة من زوجها، ونزوجه إياها؛ فكتب اليه بذلك.

فخرج كثير يريد دمشق، فلما خرج من حيّه وسار قليلاً، رأى غراباً على بانة(١) وهو يفلي نفسه،

---

١ - الحدوج م الحِدج: ما تركب فيه النساء على البعير كالهودج.

٢ ـ البان: شجر من فصيلة البانيات، ذو أوراق طويلة مركبة، أبيض الزهر، يستخرج منه نوع من الزيت.

وريشه يتساقط، فاصفر لـونه، وأرتـاع من ذلك، وجدّ في السير، ثم أنه مال ليسقي راحلته، من حي بني فهد وهم زجرة الطير فبصر به شيخ من الحي، فقال: يابن أخي؛ أرأيت في طريقك شيئاً فراعك؟

قال: نعم ياعم! رأيت غراباً يتفلى وينتف ريشه.

فقال له الشيـخ: أما الغـراب فإنـه إغتراب، والبانة بين، والتفلي فرقة.

فإزداد كثير حزناً على حزنه، لما سمع من كلام الشيخ، وجدّ في السير، الى أن وصل الى دمشق، ودخل من أحد أبوابها، فرأى الناس يصلون عـلى جنـازة، فنزل وصـلى معهم، فلما قضيت الصلاة، صاح صائح: لاإله إلا الله! ما أغفلك يا كثير عن هذا اليوم!

فقال: ماهذا اليوم يا سيدي؟

فقال: إن هذه عزة قد ماتت، وهذه جنازتها.

فخرَّ مغشياً عليه، فلما أفاق أنشأ يقول:

فـما أعـرف الـفـهـدي لادر درّه!
وأزجـره لـلطير لاعـزّ نـاصـره

رأيت غراباً قد علا فوق بانةٍ
ينتف أعلى ريشه ويطايره
فقال: غراب إغتراب من النوى
وبانة بين من حبيب تعاشره

ثم شهق شهقة، فارقت روحه الدنيا، ومات من ساعته، ودفن مع عزة في يوم واحد.

حديث بثينة*

قالت جميلة[1]: حدثتني بثينة - وكانت صدوقة اللسان، جميلة الوجه، حسنة البيان، عفيفة - قالت: والله ما أرادني جميل - رحمة الله عليه - بريبة قط،

* الأصفهاني: أبو الفرج - الأغاني ج٧ ص١٣١

١ - جميلة: المغنية (ت ٧٢٠ م). مولاة الأنصار، أصل من أصول الغناء العربي. عاشت في القرن الأول للهجرة وعنها أخذ ابن معبد. وعائشة وسلامة القس وغيرهم. وكان معبد يقول: « أصل الغناء جميلة، وفرعه نحن » كانت جميلة حسنة الوجه والخلق، جيدة الصناعة في الالحان، كات حجة يحتكم اليها المغنون اذا اختلفوا. كان الشاعر الأحوص معجباً بها. وكانت هي مكرمة له.

ولاحدثت أنا نفسي بذلك منه، وان الحي انتجعوا موضعاً، وإني لفي هودج لي أسيره اذا أنا بهاتف ينشد أبياتاً.

فلم أتمالك أن رميت بنفسي، وأهل الحي ينظرون، فبقيت أطلب المنشد فلم أقف عليه، فناديت: أيها الهاتف بشعر جميل، ما وراءك منه؟ - وأني أحسبه قد قضى نحبه، ومضى لسبيله - فلم يجبني مجيب، فناديت ثلاثاً، وفي كل ذلك لايرد علي أحد شيئاً.

فقالت صواحباتي: أصابك يا بثينة طائف من الشيطان!

فقلت: كلا، لقد سمعت قائلاً يقول!

قلن: نحن معك ولم نسمع.

فرجعت فركبت مطيتي، وأنا حيرى والهة العقل كاسفة البال.

ثم سرنا، فلما كان في الليل، سمعت ذلك الهاتف، يهتف بذلك الشعر بعينه، فرميت بنفسي، وسعيت الى الصوت؛ فلما قربت منه انقطع؛ فقلت:

أيها الهاتف! إرحم حيرتي، وسكن عبرتي بخبر هذه الأبيات؛ فإن لها شأناً! فلم يرد علي شيئاً!

فرجعت الى رحلي، فركبت وسرت وأنا ذاهبة العقل، وفي ذلك لاتخبرني صواحباتي، أنهن سمعن شيئاً.

فلما كانت الليلة القابلة، نزلنا وأخذ الحيُّ مضاجعهم، ونامت كل عين، فاذا الهاتف يهتف بي ويقول: يا بثينة؛ اقبلي الي أنبئك عما تريدين، فأقبلت نحو الصوت، فاذا شيخ كأنه من رجال الحي، فسألته عن اسمه وبيته، فقال: دعي هذا، وخذي فيما هو أهم عليك.

فقلت له: وإن هذا لما يهمني.

قال: أقنعي بما قلت لك.

فقلت: أنت المنشد الأبيات؟

قال: نعم.

قلت: فما خبر جميل؟

قال: نعم، فارقته وقد قضى نحبه، وصار الى حفرته، رحمة الله عليه.

فصرخت صرخة آذيت منها الحي، وسقطت لوجهي، فاغمي علي، فكأن صوتي لم يسمعه أحد، وبقيت سائر ليلتي، ثم أفقت عند طلوع الفجر، وأهلي يطلبونني فلا يقفون على موضعي، ورفعت صوتي بالعويل والبكاء، ورجعت الى مكاني، فقال لي أهلي: ما خبرك؟ وما شأنك؟

فقصصت عليهم القصة، فقالوا: يرحم الله جميلاً.

واجتمع نساء الحي، وأنشدتهن الأبيات، فأسعدنني بالبكاء فلم نزل كذلك، لا يفارقنني ثلاثاً، وتحزَّن الرجال ايضاً، وبكوا ورثوه وقالوا كلهم: يرحمه الله، فإنه كان عفيفاً صدوقاً.

فلم أكتحل بعده بإثمِد[1]، ولافرقت رأسي بخيط ولامشط، ولادهنته إلا من صداع خفت على بصري منه، ولالبست خماراً مصبوغاً، ولا إزاراً، ولاأزال كذلك أبكيه الى الممات!

---

١ ـ الإثمد: حجر يكتحل به، يعرفه علماء الكيمياء بأسم « أنتيموان ».

الصدق أولى بالنجاة*

عرض الحجاج سجنه يوماً، فأتي برجل فقال له: ما كان جرمك؟

قال: أصلح الله الأمير، أخذني العسس[1] وأنا مخبرك بخبري، فإن يكن الكذب ينجي، فالصدق أولى بالنجاة.

فقال: ماقصتك؟

قال: كنت أخاً لرجل فضرب الأمير عليه

---

* إبن قيم الجوزية ـ أخبار النساء ص ٥٢

١ ـ العسس: الذين يطوفون بالليل يحرسون الناس ويكشفون أهل الريبة.

البعث[1] الى خراسان[2] فكانت امرأته تجد[3] بي وأنا لاأشعر، فبعثت الي يوماً رسولاً، قد جاء كتاب صاحبك فهلم فلتقرأه. فمضيت اليها، فجعلت تشغلني بالحديث حتى صلينا العشاء، ثم أظهرت لي ما في نفسها، ودعتني الى السوء، فأبيت ذلك. فقالت: والله لئن لم تفعل لأصيحنَّ ولأقولن أنك

١ ـ البعث: الجيش، أو كل قوم بعثوا. والبعثة كالبعث، يقال: « بعثة عسكرية » و « بعثة سياسية أو ثقافية »

٢ ـ خراسان: بلاد قديمة في آسيا، بين نهر أموداريا شمالاً وشرقاً، وجبال هندوكوش جنوباً، ومناطق فارس غرباً، إمتدت أحياناً الى بلاد سُغد، ماوراء النهر، والى سجستان جنوباً. تتقاسمها اليوم إيران الشرقية الشمالية (إشتهر منها نيسابور) وافغانستان الشمالية (إشتهر مها هراة وبلخ) ومقاطعة تركمانيا السوفياتية (إشتهير منها مرو). غزاها الضحاك (٦٥٦م) وحشد فيها أبو مسلم الخراساني ودعاة العباسيين (٧٤٨ م) الجيوش التي قضت على الخلافة الاموية في الشرق. وكلمة خُراسان مركبة من (خور) شمس و (أسان) مشرق.

٣ ـ وجد يجد وجداً بفلان: أحبَّه حباً شديداً.

لص: فلما أبيت عليها صرخت فخرجت هارباً. وكان القتل أهون علي من خيانة أخي. فلقيني عسس الأمير فأخذوني. وانا أقول متمثلاً:

ربَّ بــيــضــاء ذات دِلٍّ وحُــســن
قــد دعــتــني لــوصــلهــا فــابــيــت

فعرف صدق حديثه وأمر بإطلاقه.

الشاب الجميل العاشق*

حدث يونس الكاتب فقال: كنا يوماً متنزهين بالعقيق، أنا وجماعة من قريش، فبينا نحن على حالنا، إذ أقبل ابن عائشة[1] يمشي ومعه غلام من بني

---

* القالي: أبو علي ـ الامالي ج١ ص٣٧/ الأصفهاني: ابو الفرج ـ الأغاني ج٢ ص ٧٥/

١ ـ إبن عائشة: محمد بن عائشة ويكنى أبا جعفر، ولم يكن يعرف له أب، فكان ينسب الى أمه ويلقبه من عاداه أو أراد سبّه: إبن عاهة الدار. وكان هو يزعم أن اسم أبيه جعفر، وليس يعرف ذلك، وعائشة أمه مولاة لكثير بن الصلت الكندي. وكان إبن عائشة يفتن كل من سمعه، وكان فتيان من المدينة قد فسدوا في زمانه بمحادثته ومجالسته وقد أخذ عن معبد ومالك وساواهما.

ليث، وهو متوكىء على يده، فلما رأى جماعتنا، وسمعني أغني جاءنا فسلّم، وجلس الينا، وتحدث معنا، وكانت الجماعة تعرف سوء خلقه وغضبه اذا سئل أن يغني، فأقبل بعضهم على بعض يتحدثون بأحاديث كثير وجميل وغيرهما من الشعراء، يستجرون بذلك أن يطرب فيغني، فلم يجدوا عنده ما أرادوا.

فقلت لهم: لقد حدثني اليوم بعض الأعراب حديثاً يأكل الأحاديث، فإن شئتم حدثتكم إياه.

قالوا: هات!

قلت: حدَّثني هذا الرجل أنه مرّ بناحية الربذة[1]، فإذا صبيان يتغاطسون في غدير، واذا شاب جميل منهوك الجسم، عليه أثر العلة، والنحول في جسمه بيِّن، وهو جالس ينظر اليهم، فسلمت عليه فردَّ علي السلام، وقال: من أين وضح الراكب؟

قلت: من الحمى.

قال: ومتى عهدك به؟

---

١ ـ الربذة: قرية تبعد ثلاثة أميال عن المدينة المنورة.

قلت: رائحاً.

قال: وأين كان مبيتك؟

قلت: ببني فلان.

قال: أوّه! وألقى بنفسه على ظهره، وتنفس الصعداء.

فقلت: إنه قد خرّق حجاب قلبه، ثم أنشأ يقول:

سقى بلداً أمست سليمى تحلّه
من المزن ما يروى به ويسيمُ[1]
وإن لم أكن من قاطنيه فإنه
يحلّ به شخص عليّ كريمُ
ألا حبذا من ليس يعدل قربه
لدي ـ وإن شط المزار ـ نعيمُ
ومن لامني فيه حبيبٌ وصاحبٌ
فردَّ بغيظٍ صاحبٌ وحميمُ

---

١ ـ وسم الوسمي الأرض: أصابها، والوسمي: أول مطر الربيع لأنه يسم الأرض بالنبات.

ثم سكن كالمغشي عليه، فصحت بالصبية، فأتوا بماء، فصببته على وجهه، فأفاق وأنشأ يقول:

إذا الصبُّ الغريب رأى خشوعي
وأنفاسي تزين بالخشوع
ولي عين أضرّ بها التفاني
الى الأجزاع[1] مطلقة الدموع
الى الخلوات يأنس فيك قلبي
كما أنس الغريب الى الجميع

فقلت له: ألا أنزل فأساعدك، أو أكر عودي على بدئي الى الحمى، إن كانت لك فيه حاجة أو رسالة؟

فقال: جزيت خيراً وصحبتك السلامة، أمضي لطيتك[2] فلو أني علمت أنك تُغني عني شيئاً، لكنت موضعاً للرغبة، وحقيقاً بإسعاف المسألة، ولكنك

---

١ ـ جزع الوادي: قطعه عرضاً. الجزع من الوادي ج أجزاع: حيث تقطعه/ محلة القوم.

٢ ـ الطِيَّة: الحاجة والوطر/ الضمير والنية. يقال: «مضى لِطيتّه» أي لنيته التي نواها.

أدركتني في صبابة من حياتي يسيرة؛ فانصرفت وأنا لاأراه يمسي ليلته إلا ميتاً.

فقال القوم: ما أعجب هذا الحديث! واندفع ابن عائشة فتغنى في الشعرين جميعاً وطرب وشرب بقية يومه، ولم يزل يغنينا الى أن انصرفنا.

شبه ليلى*

عن الهيثم بن عدي قال: مرَّ المجنون برجلين، قد صادا ظبية فربطاها بحبل وذهبا بها، فلما نظر اليها وهي تركض في حبالهما، دمعت عيناه وقال لهما حلّاها وخذا مكانها شاة من غنمي. ثم أنشد:

يا صاحبي اللذين اليوم قد أخذا
في الحبل شبهاً لليلى ثم غلّاها
إني أرى اليوم في أعطاف شاتكما
مشابهاً أشبهت ليلى فحُلّاها.

---

* إبن منظور ـ لسان العرب ـ (مادة روع)/ الأصفهاني: ابو الفرج ـ الأغاني ج٢ ص ١١/ القالي: أبو علي ـ ذيل الامالي ص ٦٣.

ثم أعطاهما الشاة وحلّاها، فولَّت تعدو هاربة مذعورة فنظر اليها وقال:

أيا شبه ليلى لاتُراعي[1] فإنني
لك اليوم من وحشية، لصديقُ
ويا شبه ليلى لو تلبثتِ ساعة
لعل فؤادي من جواه يُفيقُ
فعيناك عيناها وجيدك جيدها
ولكن عظم الساق منك دقيقُ
أقول وقد أطلقتها من وثاقها
لأنت لليلى ما حييتُ طليقُ

---

١ ـ لاتراعي: لاتخافي.

كامل وأسماء*

قال العتبي: عشق كامل بن الرضين أسماء بنت عبد الله بن مسافر الثقفية، وهي ابنة عمه، فلم يزل به العشق حتى صار كالشن[1] البالي.

فلما اشتد ما به، شكا أبوه الى أبيها فزوجها له، فحمل الى دارها وفيه رمق، فلما دخل الدار قال: أو أنا بموضع تسمع أسماء كلامي؟

قيل: نعم!

فشهق شهقة قضى مكانه.

---

* إبن قيم الجوزية ـ أخبار النساء ص ٥٧

١ ـ الشن: القربة الخَلَقُ الصغيرة. يقال: «قربة أشنان» أي خَلَق كأنهم جعلوا كل جزء منها شنا ثم جمعوا على أشنان.

فقيل لها: يا أسماء، قد مات بغصَّة.

قالت: والله لأموتن بمثلها، ولقد كنت على زيارته قادرة فمنعني قبيح ذكر الريبة، وسماجة الغيبة. وسقطت في المرض، فلما اشتد بها، قالت لأخص نسائها: صوري لي صورته، فاني أحب أن أزوره قبل موتي. ففعلت. فلما رأت الصورة إعتنقتها وشهقت شهقة قضت نحبها. فدفنت مع الفتى في قبر واحد. وكتب على قبرهما.

بنفسي هما ما مُتعا بهواهما
على الدهر حتى غُيبا في المقابر
أقاما على غير التزاور برهة
فلما أصيبا قرِّبا بالتزاور
فيا حُسْنَ قبر زار قبراً يحبه
ويا زورة جاءت بريب المقادر.

كذاك الدهر*

كـان منزل قـوم قيس بن ذريح[1] في ظـاهـر المدينة، وكان هو وأبوه من حاضرة المدينة؛ فمر قيس

---

* الأصفهاني: أبو الفرج - الأغاني - ج٨ ص ١١٢.

١ - قيس بن ذريح الكناني (٦٢٥ - ٦٨٨م): كـان رضيع الحسين بن علي بن أبي طالب (ع). شاعر عذري، ولد ومات ببادية المدينة. أحب لبنى بنت الحباب الخزاعية، وتزوجها على غير رغبة والديه. وكان وحيدهما فألحا عليه في تطليقها، وعذبا نفسيهما ليكرهاه عليه، وأثارا عليه قومه، حتى رضخ لهما. ولكنه لم يتحمل الفراق. ومرض فزوجاه أخرى، فلم يعاشرها. وتزوجت لبنى من خالـد بن حلزة الغطفاني، فلم يكف قيس عن حبها، وبذل كل الجهود حتى =

لبعض حاجاته، بخيام بني كعب بن خزاعة، فوقف على خيمة منها، والحي خُلُوفٌ[٢]، والخيمة خيمة لبنى بنت الحباب الكعبية فاستسقى ماءً، فسقته وخرجت اليه به، وكانت امرأةً مديدة القامة، شهلاء[٣] حلوة المنظر والكلام.

فلما رآها وقعت في نفسه، وشرب الماء، فقالت له: أتنزل فتبترد عندنا؟

قال: نعم! فنزل بهم وجاء أبوها فنحر له وأكرمه، فانصرف قيس وفي قلبه من لبنى حرٌّ لا يطفأ، فجعل ينطق بالشعر فيها حتى شاع ورُوي

=طلقها من زوجها. اختلف المؤرخون، فقال بعضهم أنه تزوجها بعد طلاقها، وقال آخرون انها ماتت قبل أن يتزوجها فمات بعدها له ديوان مطبوع من الشعر السهل الالفاظ العذب العبارات، الحلو الأنغام، الصادق المشاعر.

٢ ـ الحي خُلُوف: أي غيب/ لم يبق منهم أحد.

٣ ـ الشهلة: أن يكون سواد العين بين الحمرة والسواد. يقال: رجل أشهل وامرأة شهلاء....

ثم أتاها يوماً آخر، وقد اشتد وجده بها، فسلَّم، فظهرت له وردَّت سلامه، وتحفت به؛ فشكا اليها ما يجد بها، وما يلقى من حبها، وشكت اليه مثل ذلك فأطالت، وعرف كل واحد منهما، ماله عند صاحبه.

فانصرف الى أبيه وأعلمه حاله، وسأله أن يزوجه إياها. فأبي عليه، وقال: يا بني، عليك بإحدى بنات عمك، فهنّ أحق بك ـ وكان ذريح كثير المال موسراً، فأحب ألا يخرج ابنه الى غريبة ـ.

فانصرف قيس، وقد ساءه ما خاطبه به، فأتى أمه فشكا ذلك اليها، واستعان بها على أبيه؛ فلم يجد عندها ما يحب.

فأتى الحسين بن علي بن أبي طالب (ع)، وابن أبي عتيق، فشكا اليهما، ما به وما ردَّ عليه أبوه.

فقال له الحسين (ع): أنا أكفيك. فمشى معه الى أبي لبنى؛ فلماَّ بصر به، أعظمه ووثب اليه وقال له: يا بن رسول الله؛ ما جاء بك؟ ألاَّ بعثت اليَّ فأتيتك!

قال: إن الذي جئت به يوجب قصدك، وقد جئتك خاطباً ابنتك لُبنى لقيس بن ذريح.

فقال: يا بن رسول الله؛ ما كنا لنعصي لك أمراً، وما بنا عن الفتى رغبة؛ ولكن أحب الأمر الينا، أن يخطبها ذريح أبوه علينا، وأن يكون ذلك عن أمره؛ فإنا نخاف إن لم يسع ابوه في هذا أن يكون عاراً وسُبَّة علينا.

فأتى الحسين (ع) ذريحاً وقومه وهم مجتمعون، فقاموا اليه إعظاماً له، وقالوا له مثل قول الخزاعيين. فقال لذريح: أقسمت عليك إلا خطبت لبنى لابنك قيس.

قال: السمع والطاعة لأمرك.

فخرج معه في وجوه من قومه، حتى أتوا دار لبنى، فخطبها ذريح على ابنه الى أبيها فزوجه إياها، وزفت اليه بعد ذلك، فاقامت معه مدة لاينكر أحد من صاحبه شيئاً.

وكان أبرَّ الناس بأمه، فألهته لبنى وعكوفه عليها عن بعض ذلك، فوجدت(١) أمه في نفسها، وقالت:

---

١ ـ وجد يجد وجداً بفلان: أحبه حباً شديداً

لقد شغلت هذه المرأة إبني عن برِّي، ولم تر للكلام في ذلك موضعاً، حتى مرض مرضاً شديداً.

فلما برأ من علته قالت أمه لأبيه: لقد خشيت ان يموت قيس، وما يترك خلفاً، وقد حرم الولد من هذه المرأة؛ وانت ذو مال، فيصير مالك الى **الكلالة**(1) فزوجه بغيرها، لعل الله أن يرزقه ولداً، والحت عليه في ذلك.

فأمهل قيساً حتى إذا اجتمع قومه دعاه، فقال: يا قيس؛ إنك اعتللت هذه العلة، فخفت عليك ولاولد لك، ولالي سواك، وهذه المرأة ليست بولود، فتزوج إحدى بنات عمك، لعل الله أن يهب لك ولداً، تقر به عينك وأعيننا.

فقال قيس: لست متزوجاً غيرها أبداً.

فقال له أبوه: فإن في مالي سعة، فتسر **بالإماء**(2).

---

١ ـ الكلالة: بنو العم الأباعد/ من تكلل نسبه بنسبك كابن العم ومن أشبهه.

٢ ـ الاماء م أمة: الجواري.

قال: ولاأسوؤها بشيء أبداً والله.

قال أبوه: فإني أقسم عليك إلا طلقتها.

فأبى وقال: الموت والله عليَّ أسهل من ذلك؛ ولكني أخيرك خصلة من ثلاث خصال.

قال وما هي؟

قال: تتزوج أنت فلعل الله أن يرزقك ولداً غيري.

قال: فما فيَّ فضلة لذلك.

قال: فدعني أرتحل عنك بأهلي وأصنع ماكنت صانعاً لو متُّ في علتي هذه.

قال: ولاهذه.

قال: فأدعُ لبنى عندك وأرتحل عنك، فلعلي أسلوها، فإني ما أحب ان تكون نفسي طيبة أنها في خيالي.

قال: لا أرضى أو تطلقها، وحلف لايكَنُّهُ سقفُ بيتٍ أبداً، حتى يطلق لبنى...

فكان يخرج فيقف في حرّ الشمس، ويجيء قيس فيقف الى جانبه فيظُلُّه بردائه، ويَصلى هو بحرّ الشمس، حتى يفيء الفيء[1]، فينصرف عنه، ويدخل الى لبنى فيعانقها وتعانقه، ويبكي وتبكي معه، وتقول له: يا قيس؛ لاتطع أباك فتهلك وتهلكني.

فيقول: ما كنت لأطيع أحداً فيك أبداً. ومكث كذلك سنة ثم طلقها.

فلما بَانت لبنى بطلاقه، وفُرغ من الكلام، لم يلبث حتى أستطير عقله وذهب به، ولحقه مثل الجنون، وتذكر لبنى وحالها معه، فأسف وجعل يبكي وينشج (٢) أحرَّ نشيج.

وبلغها الخبر فأرسلت الى أبيها ليحملها؛ فأقبل أبوها بهودج على ناقةٍ وبإبلٍ تحمل أثاثها.

فلما رأى ذلك قيس، أقبل على جاريتها فقال: ويحك! ما دهاني فيكم؟

---

١ ـ الفيء: الغنيمة / الخراج.
٢ ـ نشج: غص بالبكاء من غير انتحاب.

فقالت: لاتسألني وسل لبنى، فذهب ليُلِمَّ بخبائها فيسألها، فمنعه قومها.

فأقبلت عليه امرأة من قومه فقالت له: مالك؟ ويحك! تسأل كأنك جاهل أو متجاهل، هذه لبنى ترتحل الليلة أو غداً، فسقط مغشياً عليه لايعقل، ثم أفاق وهو يقول:

وإني لمفنٍ دمع عيني بالبكا
جِذار الذي قد كان أو هو كائن
وقالوا غداً أو بعد ذاك بليلة
فراق حبيب لم يبن وهو بائن
وما كنت أخشى أن تكون منيتي
بكفيك إلا أنَّ ما حان حائن

ثم التفت فرأى غراباً، سقط قريباً منه، فجعل ينعق مراراً، فتطير منه وقال:

لقد نادى الغراب ببين لبنى
وتنأى بعد ود واقتراب
فقلت تعست ويحك من غراب
وكان الدهر سعيُك في تباب(١)

١ ـ التباب: الخسارة/ الهلاك.

ومنعه قومه من الالمام بها، فقال:

ألا يـاغـراب الـبـين ويحـك نبِّني
بـعـلمـك في لـبـنى وأنـت خـبـيرُ
فـإن أنت لم تخبـر بمـا قـد علمتـه
فـلا طـرت إلا والجـنـاح كـسـير
ودرت بـأعـداءٍ حـبيبـك فـيهـم
كـما قـد تـراني بـالحـبيـب أدور

ثم أُدخلت في هودجها، ورحلت وهي تبكي!
فأتبعها وهو يقول:

ألا يا غراب البين هل أنت مخبري
بخـيرٍ كـما خبَّـرت بـالـنأي والشـرِّ
وقلت: كذاك الدهـر ما زال فـاجعاً
صدقت وهل شيء بباق على الـدهر

ثم علم أن أباها سيمنعه من المسير معها، فوقف ينظر اليهم ويبكي، حتى غابوا عن عينه فكرَّ راجعاً؛ ونظر الى أثر خفِّ بعيرها، فأكبَّ عليه يقبله، ورجع يقبل موضع مجلسها واثر قدمها؛ فَلِيمَ على ذلك، وعنفه قومه على تقبيل التراب، فقال:

وما أحببت أرضكم ولكن
أقبل إثر من وطىء الترابا
لقد لأقيت من كلفي بلبنى
بلاءً ما أسيغ به الشرابا
إذا نادى المنادي باسم لبنى
عييت فما أطيق له جوابا.

وقال وقد نظر الى آثارها:

ألا ياربع لبنى ما تقول؟
أبِن لي اليوم ما فعل الحلول
فلو أن الديار تجيب صباً
لردَّ جوابي الربع المحيلُ
ولو أني قدرت غداة قالت:
غدرت، وماء مقلتها يسيل
نحرت النفس حين سمعت منها
مقالتها وذاك لها قليل
شفيت غليل نفسي من فعالي
ولم أغبر بلا عقل أجول
كأني واله بفراق لبنى
تهيم بفقد واحدها ثكول

ألا يـا قلب ويحك! كن جليداً،
فقد رحلت، وفات بها الذميل[1]
فإنك لاتطيق رجوع لبنى
إذا رحلت، وإن كثر العويل
وكم قد عشت كم بالقرب منها
ولكن الفراق هو السبيل
فصبراً؛ كل مؤتلفين يوماً
من الأيام عيشهما يزول.

فلما جنَّ عليه الليل، وانفرد وآوى الى مضجعه، لم يأخذه القرار، وجعل يتململ تململ السليم، ثم وثب حتى أتى موضع خبائها، فجعل يتمرغ فيه ويبكي ويقول:

بتُّ والهم يا لبيني ضجيعي
وجرت مذ نأيت عني، دموعي
وتنفست إذ ذكرتك حتى
زالت اليوم عن فؤادي ضلوعي

---

١ ـ الذميل: السير اللين. ناقة ذمول: تسير سيراً ليناً.

أتنـاسـاك كي يـزيـغ فـؤادي
ثـم يـشـتـد عـنـد ذاك ولـوعـي
يـا لبيني، فـدتـك نفسي وأهـلي!
هـل لـدهـرٍ لـنـا مـن رجـوع!

* * *

قال خالد بن كلثوم: مرض قيس، فسأل أبوه فتيات الحي أن يعدنه ويحدثنه، لعله أن يتسلى، ففعلن ذلك، ودخل الطبيب اليه ليداويه، والفتيات معه، فلما اجتمعن عنده جعلن يحادثنه، وأطلن السؤال عن سبب علته فقال:

عِيـدَ قيسٌ مـن حب لـبنى، ولـبنى
داء قـيسٍ، والحـب داء شـديـد
واذا عـادني الـعـوائـد يـومـاً
قـالـت العـين: لاأرى مـن أريـد
لـيت لـبنى تـعـودني ثـم أقـضي
إنها لاتـعـود فـيـمـن يـعـود
ويـح قـيسٍ لقـد تـضمـن منها
داء خبـلٍ فـالقـلب منـه عـميـد

فقال له الطبيب: منذ كم هذه العلة؟ ومنذ كم وجدت بهذه المرأة ما وجدت؟ فقال:

تعلق روحي روحها قبل خلقنا
ومن بعد ما كنا نطافاً وفي المهد
فزاد كما زدناه، فأصبح نامياً
وليس اذا متنا بمنصرم العهد
ولكنه باقٍ على كل حادثٍ
وزائرنا في كلمة القبر واللحد

فقال له الطبيب: إن مما يسليك عنها، أن تتذكر ما فيها من المساوىء والمعايب، وما تعافه النفس من أقذار بني آدم، فإن النفس تنبو حينئذٍ وتسلو ويخف ما بها. فقال:

اذا عبتها شبهتها البدر طالعاً
وحسبك من عيب لها شبه البدر
لقد فضلت لبنى على الناس مثل ما
على ألف شهر فضلت ليلة القدر
اذا ما مشت شبراً من الأرض أرجفت
من الجرِّ حتى ما تزيد على شبر

لها كفل[1] يرتج منها اذا مشت
ومتن[2] كغصن البان مضطمر الحفر

ودخل أبوه وهو يخاطب الطبيب بهذه المخاطبة ، فأنبّه ولامه ، وقال له : يا بني ، الله الله في نفسك ! فإنك ميت ان دُمتَ على هذا؛ فقال :

وفي عروة العذري[3] إن مت أسوة
وعمرو بن عجلان[4] الذي قتلت هند
وبي مثل ما ماتا به غير أنني
الى أجلٍ لم يأتني وقته بعد
هل الحب إلا عبرة بعد زفرة
وحَرّ على الاحشاء ليس له برد

---

١ ـ الكفل : العجز أو الردف .
٢ ـ المتن : الظهر
٣ ـ أنظر ص ٢٤
٤ ـ عمرو بن عجلان : هو عمرو ذي الكلب، قيل سمي ذا الكلب لأنه كان له كلب لايفارقه، وكان قد علق إمرأة من فهم يقال لها أم جليحة، فأحبها وأحبته، وكان أهلها قد

وفيض دموع تستهلُّ إذا بدا
لنا علم من أرضكم لم يكن يبدو.

... ...

قال خالد بن جمل : لما طال على قيس ما به من الأمر بعد طلاق لبنى ، أشار قومه على أبيه بأن يزوجه امرأة جميلة ، فلعله أن يسلو بها عن لبنى ، فدعاه الى ذلك ، فأباه ثم قال :

لقد خفت ان لا تقنع النفس بعدها
بشيء من الدنيا وإن كان مقنعا
وازجر عنها النفس إذ حيل دونها
وتأبى إليها النفس إلا تطلعا.

فاعلمهم أبوه بما ردَّ عليه، فقالوا : فمره بالمسير في أحياء العرب والنزول عليهم ، فلعل عينه ان تقع على امرأة تعجبه .

وجدوا عليها وعليه، وطلبوا دمه، فتعقبوه حتى قتلوه، وأخذوا سلبه، فرجعوا به الى أم جليحة وطرحوا اليها ثيابة فأخذتها فشمتها فقالت ريح عطر، وثوب عمر.

فاقسم عليه أبوه ان يفعل . فسار حتى نزل بحي من فزارة ، فرأى جارية حسناء ، قد حسرت برقع خزٍّ عن وجهها وهي كالبدر ليلة تمّه ، فقال لها :

ما اسمك يا جارية ؟

قالت : لبنى .

فسقط على وجهه مغشياً عليه ، فنضحت على وجهه ماءً ، وارتاعت لما عراه ، ثم قالت : إذا لم يكن هذا قيس بن ذريح ، إنه لمجنون ! فأفاق فنسبته فانتسب فقالت : قد علمت أنك قيس ، ولكن نشدتك بالله ، وبحق لبنى إلا أصبت من طعامنا، وقدمت إليه طعاماً ، فاصاب منه بإصبعه ، وركب فأتى على أثره أخ لها كان غائباً ، فرأى مناخ ناقته ؛ فسألهم عنه فأخبروه ، فركب حتى ردَّه الى منزله ، وحلف عليه ليقيمنَّ عنده شهراً .

فقال له : لقد شققت علي ، ولكني سأتبع هواك ، والفزاريُّ يزداد إعجاباً بحديثه وعقله وروايته ، فعرض عليه الصِّهر .

فقال له : يا هذا ؛ إن فيك لرغبة ، ولكني في شغلٍ لا ينتفع بي معه .

فلم يزل يعاوده ، والحي يلومونه ويقولون له : قد خشينا ان يصير علينا فعلك سبّة .

فقال : دعوني ففي مثل هذا الفتى يرغب الكرام . فلم يزل به حتى أجابه ، وعقد الصهر بينه وبينه على أخته المسماة لبنى ، وقال له : أنا اسوق عنك صداقها .

فقال : أنا والله يا أخي اكثر قومي مالاً ، فما حاجتك الى تكلُّف هذا؟ أنا سائر الى قومي ، وسائق إليها المهر . ففعل وأعلم أباه الذي كان منه ، فسرَّه وساق المهر عنه .

ورجع الى الفزاريين ، حتى أدخلت عليه زوجته ، فلم يروه هش اليها ولا دنا منها ، ولا خاطبها بحرف ، ولا نظر إليها .

وأقام على ذلك أياماً كثيرة ، ثم أعلمهم انه يريد الخروج الى قومه أياماً ، فأذنوا له في ذلك ، فمضى لوجهه الى المدينة ، وكان له صديق من الأنصار بها ؛ فأتاه فأعلمه الأنصاري، ان خبر تزويجه بلغ لبنى فغمها وقالت : إنه لغدار ! ولقد كنت امتنع من إجابة قومي الى التزويج ، فأنا الآن أجيبهم .

وقد كان أبوها شكا قيساً الى معاوية ، وأعلمه تعرضه لها بعد الطلاق ، فكتب الى مروان بن الحكم يُهدر دَمَه إن تعرّض لها ؛ وأمر أباها أن يزوجها رجلاً يعرف بخالد بن حِلزّة ؛ فزوجها أبوها منه ، فجعل نساء الحي يقلن ليلة زفافها :

لبينى زوجها أصبح ... لا حرٌّ بواديه
له فضل على الناس ... بما باتت تناجيه
وقيس ميت حيٌّ ... صريع في بواكيه
فلا يبعده الله ... وبعداً لنواعيه

فجزع قيس جزعاً شديداً ، وجعل ينشج أحرَّ نشيج ، ويبكي أحرَّ بكاء . ثم ركب من فوره حتى أتى محلة قومها ، فناداه النساء : ما تصنع الآن ههنا ؟ قد نقلت لبنى الى زوجها ! وجعل الفتيان يعارضونه بهذه المقالة وما أشبهها ، وهو لا يجيبهم ، حتى أتى موضع خبائها ، فنزل عن راحلته ، وجعل يتمعّك[1]

---

١ ـ يتمعك : يتمرغ .

في موضعها ، ويمرغ خدَّه على ترابها ، ويبكي أحرَّ بكاء ؛ ثم قال :

الى الله أشكـو فقد لبنى كـما شكـا
الى الله فـقـد الـوالـدين يـتـيـم
يتيم جـفـاه الأقـربـون فجسـمـه
نحيـل وعهـد الـوالـدين قـديم
بكت دارهـم من نـأيهـم فتـهللت
دمـوعي ، فـأي الجـازعيـن ألـوم؟
أمستعبـراً يبكي من الشوق والهـوى
أم آخــر يـبـكـي شـجــوه ويـهـيـم
تَهَـيَّفني من حـب لـبنى عـلائـق
وأصنـاف حب هـو لهـنَّ عـظيم
ومـن يـتـعـلق حـبَّ لـبـنى فـؤادُه
يمت ، أو يعش ما عاش وهو كليم (١)
فـإني وإن أجمـعـت عـنـك تجلداً
عـلى العهـد فيـما بيننـا لمقيم .

... ...

الكلم : الجرح . والكليم : المجروح .

حجَّ قيس بن دريح ، واتفق ان حجَّت لبنى في تلك السنة ، فراها ومعها امرأة من قومها ، فدهش وبقي واقفاً مكانه ومضت لسبيلها .

ثم ارسلت إليه بالمرأة تبلغه السلام وتسأله عن خبره ، فألقته جالساً وحده ينشد ويبكي :

ويوم منىً أعرضتِ عني فلم أقل
بحاجة نفسٍ عند لبنى مقالها
وفي اليأس للنفس المريضة راحة
إذا النفس رامت خطة لاتنالها

فدخلت خباءه ، وجعلت تحدثه عن لبنى ، ويحدثها عن نفسه ملياً ، ولم تعلمه أن لبنى أرسلتها إليه ، فسألها ان تبلغها عنه السلام ، فامتنعت عليه فأنشأ يقول :

اذا طلعت شمس النهار فسلمي
فآية تسليمي عليك طلوعها
بعشر تحيات اذا الشمس أشرقت
وعشرٍ اذا اصفَّرت وحان رجوعها
ولو أبلغتها جارة قولي اسلمي
بكت جزعاً وارفضّ منها دموعها

وبأن الذي تخفي من الوجد في الحشى
اذا جاءها عني الحديث يروعها

وقضى الناس حجهم وانصرفوا ؛ فمرض قيس في طريقه مرضاً شديداً ، أشفى منه على الموت ؛ فلم يأته رسولها عائداً لأن قومها رأوه وعلموا به فقال :

أَلُبنى لقد جلت عليك مصيبتي
غداة غدٍ اذ حلَّ ما أتوقع
تُمَنِّينني نَيلاً وتَلْوِينني به
فنفسي شوقاً كل يوم تقطع
وقلبك قط لا يلين لما يرى
فواكبدي قد طال هذا التضرع
ألومك في شأني وأنت مليمة
لعمري ، وأجفى للمحب وأقطع
أُخبرتي أني فيك ميت حسرتي
فما فاض من عينيك للوجد مدمع
ولكن لعمري قد بكيتك جاهداً
وإن كان داني كله منك أجمع
صبيحة جاء العائدات يَعُدنني
فظلَّت علي العائدات تفجع

فقائلة جئنا اليه وقد قضى
وقائلة لا، بل تركناه ينزع

فما غشيت عينيك من ذاك عبرةٌ
وعيني على ما بي بذكراك تدمع

اذا أنت لم تبكِ عليّ جنازة
لديك فلا تبكِ غداً حين أُرفع

فبلغتها الأبيات ، فجزعت جزعاً شديداً ، وبكت بكاءً شديداً ، ثم خرجت إليه ليلاً على موعد ؛ فاعتذرت وقالت : إنما أُبقي عليك وأخشى ان تقتل ، فإني اتحاماك لذلك ، ولولا هذا لما افترقنا ، وودعته وأنصرفت .

وبلغه ان أهلها قالوا لها : إنه عليل لما به ، وانه سيموت في سفره هذا.

فقالت لهم لتدفعهم عن نفسها : ما أراه إلا كاذباً فيما يدعي ، ومتعللاً لا عليلاً ، فبلغه ذلك فقال :

تكاد بلاد الله يا أم معمر
بما رحبت يوماً علي تضيق

تكذبني بالود لبنى وليتها
تكلف مني مثله فتذوق
تتوق اليك النفس ثم أردها
حياءً ومثلي بالحياء حقيق

الى ان قال :

سعى الدهر والواشون بيني وبينها
فقطع حبل الوصل وهو وثيق
هل الصبر إلا أن أصدَّ فلا أرى
بأرضك إلا أن يكون طريق.

ثم أتى قومه فاقتطع قطعة من إبله ، وأعلم أباه انه يريد المدينة ليبيعها ويمتار(١) لاهله بثمنها . فعرف أبوه أنه إنما يريد لبنى ، فعاتبه وزجره عن ذلك ؛ فلم يقبل منه ، وأخذ إبله وقدم المدينة .

فبينما هو يعرضها ، إذ ساومه زوج لبنى بناقة منها ، وهما لا يتعارفان ، فباعه إياها . فقال له : إذا

١ ـ الميرة: جلب الطعام للبيع وقيل الطعام يمتاره الانسان. .
يقال للرفقة التي تنهض من البادية الى القرى لتمتار: ميارة.
(اللسان مادة مير)

كان غدٌ فاتني في دار كثير بن الصلت فاقبض الثمن .

قال : نعم .

ومضى زوج لبنى إليها ، فقال لها : اني ابتعت ناقة من رجل من أهل البادية ، وهو يأتينا غداً لقبض ثمنها ، فاعدي له طعاماً ففعلت .

فلما كان من الغد جاء قيس فصوت بالخادم : قولي لسيدك صاحب الناقة بالباب .

فعرفت لبنى نغمته فلم تقل شيئاً . فقال زوجها للخادم : قولي له ادخل . فدخل فجلس . فقالت لبنى للخادم : قولي له : يا فتى ؛ مالي اراك أشعث أغبر ؟ فقالت له ذلك .

فتنفس ثم قال لها : هكذا تكون حال من فارق الأحبة واختار الموت على الحياة وبكى .

فقالت لها لبنى : قولي له : حدثنا حديثك .

فلما ابتدأ يحدث به ، كشفت الحجاب ، وقالت : حسبك ! قد عرفنا حديثك ! واسبلت الحجاب ؛ فبهت ساعة لا يتكلم ، ثم انفجر باكياً ونهض فخرج ؛ فناداه زوجها : ويحك ! ما قصتك ؟

ارجع اقبض ثمن ناقتك ، وإن شئت زدناك .

فلم يكلمه ، وخرج فاغترز في رحله ومضى .

وقالت لبنى لزوجها ، ويحك ! هذا قيس بن ذريح ، فما حملك على ما فعلت به ؟

قال : ما عرفته .

وجعل قيس يبكي في طريقه ، ويندب نفسه ، ويوبخها على فعله ثم قال :

أتبكي على لبنى وأنت تركتها
وأنت عليها بالملا أنت أقدر
فإن تكن الدنيا بلبنى تقلبت
عليَّ فللدنيا بطون وأظهر
لقد كان فينا للأمانة موضع
وللكلف مرتاد وللعين منظر
وللحائم العطشان ريٌّ بريقها
وللمرح المختال خمر ومُسكرُ
كأني لها ارجوحة بين أحبل
اذا ذُكرةٌ منها على القلب تخطر

وعاد الى قومه بعد رؤيته اياها وقد أنكر نفسه ، وأسف ولحقه أمر عظيم ، فانكروه وسألوه عن حاله ،

فلم يخبرهم ، ومرض مرضاً شديداً اشرف على الموت .

فدخل إليه أبوه ورجال قومه ، فكلموه وعاتبوه وناشدوه الله .

فقال : ويحكم ! أتروني أمرضت نفسي ، أو وجدت لها سلوة بعد اليأس ، فاخترت الهم والبلاء ، أولي في ذلك صنع ، هذا ما اختاره لي أبواي وقتلاني به .

فجعل أبوه يبكي ويدعو له بالفرج والسلوة .

فقال قيس :

لقد عذَّبتني يا حبَّ لُبنى
فقع إما بموتٍ أو حياة
فإن الموت أروح من حياة
تدوم على التباعد والشتات
وقال الاقربون تعزّ عنها
فقلت لهم إذاً حانت وفاتي.

نوادر بعض العفائف*

خرجت امرأة من صالحات نساء قريش الى بابها تغلقه ورأسها مكشوف، فرآها رجل أجنبي، فرجعت وحلقت شعرها وكانت من أحسن النساء شعراً، فقيل لها في ذلك. فقالت: ماكنت لأدع على رأسي شعراً رآه من ليس لي بمحرم.

وكانإبن سيرين[1] يقول: ما غشيت امرأة قط في يقظة ولانوم، غير أم عبد الله، وأني لأرى المرأة في المنام، وأعلم أنها لاتحل لي فأصرف بصري عنها.

---

* إبن أبي الحديد - شرح نهج البلاغة ج٤ ص ٥٢٥

١ - إبن سيرين: محمد الأنصاري (توفي ٧٢٨م)، ابوه من سبي خالد بن الوليد، وأمه مولاة أبي بكر، معاصر الحسن =

وقال بعضهم :

وإني لعفٌّ عن فكـاهـة جـارتي
وإني لمشنـوء[1] الى إغـتيـابهـا
اذا غـاب عنها بعلهـا لم أكن لها
صـديقاً، ولم يـأنس الي كـلابهـا
ولم أك طـلابـاً أحـاديث سـرّهـا
ولاعـالمـاً من أي حـوك ثيـابهـا.

وفي الحديث المرفوع: «لاتكونن حديث النظر الى ماليس لك، فإنه لايزني فرجك ما حفظتَ عينيك، وإن استطعت ان لاتنظر الى ثوب المرأة التي لاتحل لك فافعل، ولن تستطيع ذلك إلا بإذن الله».

كان إبن المولى، الشاعر المدني، موصوفاً بالعفة وطيب الأزار، فأنشد عبد الملك شعراً له، من جملته :

=البصري، أحد الطبقة الثانية من رواة الحديث. استقر بالبصرة وأشتهر بالورع، وكان حجة في تعبير الرؤيا وله فيه كتاب. عنه أخذ النابلسي.

١ ـ شنأ الرجل: أبغضه مع عداوة وسوء خلق فهو شانيء وذاك مشنوء

وأبكي فـلا ليـلى بكت من صبـابـة
لبـاكٍ ولاليـلى لـذي البـذل تبـذل
وأخنـع[1] بـالعتبى اذا كنت مـذنبـاً
وإن أذنـبت كـنت الـذي أتـنـصـل

فقال: عبد الملك: من ليلى هذه؟ إن كانت حرّة لأزوجنكها، وإن كانت أمة لاشترينها لك بالغة ما بلغت.

فقال: كلا يا أمير المؤمنين، ما كنت لأصعِّر وجه حرٍّ أبداً في حرّته ولافي أمته، وما ليلى التي أنسب بها إلَّا قوسي هذه، سميتها ليلى لأن الشاعر لابد له من النسيب.

وصف أعرابي امرأة طرقها فقال: ما زال القمر يرينيها، فلما غاب أرتنيه.

فقيل: فما كان بينكما؟

قال: ما أقرب ما أحل الله مما حرّم، إشارة في غير باس، ودنو غير ماس ولا وجع أشد من الذنوب.

---

١ ـ الخَنَع: الذل. خنع له واليه: خضع وذلَّ.

وقال أحمد بن أبي عثمان الكاتب:

وإني لـيـرضيـني المـرور ببـابهـا
وأقنـع منها بـالـوعيـد وبـالـزجـر

مرَّت امرأة حسناء، بقوم من بني نمير، مجتمعين في نادٍ لهم، فرمقوها بأبصارهم، وقال قائل منهم: ما أكملها لولا أنها رشحاء.

فالتفتت اليهم وقالت: والله يا بني نمير، ما أطعتم الله ولا الشاعر، قال الله ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ﴾. وقال الشاعر:

فـغض الـطرف إنـك مـن نمـير
فـلا كـعـبـاً بـلـغـت ولا كـلابـا

فأخجلتهم.

قال عبد بني الحسحاس: على فسقه:

لعمـر أبيهـا مـا صبـوت ولاصبت
اليَّ وإني مـن صـبـا لحـلـيـم
سـوى قـبلة أسـتغـفـر الله ذنبـهـا
سـأطـعـم مـسـكـيـنـاً لهـا وأصـوم

وقال آخر:

وجـــدولـــة جـــدل العَنَـاق[1] كـــأنمـــا
سنا البرق في داجي الظلام ابتسامها
ضـــربت لهـــا الميعـــاد ليست بكَنَّـة[2]
ولاجـــارة. يخشـــى علـــي ذمـــامـهـــا
فلما التقينـا قـالت: الحكم فـاحتكم
ســوى خلة هيهـات منـــك مـرامهـــا
فقلت معاذ الله أن أركب التـــي
تبيـــد ويبقـى في المعـــاد أثـــامـهـــا.

وقال آخر:

ومـا نلت منها محـرماً غـير أنني
أقبـــل بســـامـــاً من الثـغـــر أفلجـــا
وألـــثـــم فـــاهـــا آخـــذاً بـــقــــرونها
وأتـــرك خـــاجـــات النفـــوس تحـــرجـــا.

---

١ ـ العَنَاق: شيء من دواب الأرض كالفهد. وقيل عناق الأرض دويبة أصغر من الفهد، طويلة الظهر، تصيد كل شيء حتى الطير.

٢ ـ الكنة ج كنائن: إمرأة الابن أو الأخ.

وقال آخر:

أنـا زاني الـلسـان والـطرف إلا
أن قـلبـي يـعـاف ذاك ويـابـا
لايـراني الالـه أشـرب إلا
كـلّ ما حـل شربـه لي وطـابـا

وقال آخر:

نلهـو بهن كـذا من غـير فـاحشـة
لهـو الـصيـام بـتفـاح الـبسـاتـين

أخٌ محبٌّ*

عن الكلبي قال: بينا عمر بن أبي ربيعة يطوف في البيت في حال نسكه، فإذا هو بشاب قد دنا من شابة ظاهرة الجمال، فألقى اليها كلاماً، فقال له عمر: يا عدو الله، في بلد الله الحرام، وعند بيته تصنع هذا؟!

فقال: يا عمّاه، إنّها إبنة عمي، وأحبُّ الناس إلي، وإني عندها لكذلك، وما كان بيني وبينها من سوء قط أكثر مما رأيت.

قال: ومن أنت؟

قال: أنا فلان بن فلان.

---

* الجاحظ ـ المحاسن والأضداد ص ١٩٩

قال: أفلا تتزوجها؟

قال: أبى عليَّ أبوها.

قال: ولِمَ؟

قال: يقول: ليس لك مال.

فقال: إنصرف وألقني.

فلقيه بعد ذلك، فدعا ببغلته فركبها، ثم أتى عمَّ الفتى في منزله، فخرج اليه فرحاً. بمجيئه، ورحَّب وقرَّب، فقال: ما حاجتك يا أبا الخطاب؟

قال: لم أرك منذ أيام فاشتقت اليك.

قال: فانزل فأنزله وألطفه.

فقال له عمر في بعض حديثه: إني رأيت ابن أخيك، فأعجبني تحركه، وما رأيت من جماله وشبابه.

قال له: أجل! ما يغيب عنك أفضل مما رأيت.

قال: فهل لك من ولد؟

قال: لا، إلاَّ فلانة.

قال: فما يمنعك أن تزوجه إياها؟

قال: إنه لامال له.

قال: فإن لم يكن له مال، فلك مال.

قال: فإني أضنّ به عنه.

قال: لكني لاأضنّ به عنه، فزوجه واحتكم.

قال: مائة دينار.

قال: نعم! فدفعها عنه، وتزوجها الفتى، وانصرف عمر الى منزله، فقامت اليه جارية من جواريه، فأخذت رداءه، وألقى نفسه على فراشها وجعل يتقلب. فأتته بطعام، فلم يتعرض له. فقالت: أظنك والله، قد وجدت بعض ما كان يعرض لك من حكم النساء، فلا تكتمها.

فقال: هاتي الدواة، فكتب:

تقول وليدتي لمّا رأتني
طربتُ، وكنت قد أقصرت حينا
أراك اليوم قد أحدثت شوقاً
وهاج لك الهوى داءً دفينا.
وكنت زعمت أنك ذو عزاءٍ
إذا ما شئت فارقت القرينا

بعيشك هل أتاك لها رسولٌ
يَسُرُّكَ أم لقيتَ لها خدينا[1]؟
فقلت: شكا إليَّ أخٌ محبٌّ
كبعض زماننا، إذ تعلمينا
وذو القلب المصاب ولو تَعَزَّى
مشوق حين يلقى العاشقينا
فقصَّ عليَّ ما يلقى بهند
وأشبه ذاك ما كُنَّا لقينا
فكم من خلَّةٍ أعرضت عنها
وكنتُ بودِّها دهراً ضنينا[2]
أردت فراقها، فصبرت عنه
ولو جُنَّ الفؤادُ بها جنونا

وكان ذلك بعد توبة عمر، حيث أعتق تسعة من عبيده، براً بحلفه، لكل بيت واحداً.

---

١ ـ خادنه مخادنة: صاحبه وصادقه. والخدين: من يخادن الناس كثيراً.

٢ ـ ضنَّ: بخل. الضنين: البخيل. يقال «إنما يُضَنّ بالضنين» وهو مثل معناه انه يتمسك بإخاء من يتمسك بإخائك.

خمسة أعتقت خمس*

كان أحد الخلفاء قد نذر على نفسه أن لاينشد شعراً، ومتى أنشد بيت شعرٍ، فعليه عتق رقبة.

قال: فبينما هو في الطواف يوماً إذ نظر الى شاب يتحدث مع شابة جميلة الوجه، فقال له: يا هذا إتق الله! أفي مثل هذا المكان؟!

فقال: يا أمير المؤمنين، والله ماذاك لخنى، ولكنها ابنة عمي، وأعزّ الناس عليّ، وإن أباها منعني من تزويجها لفقري وفاقتي، وطلب مني مائة ناقةٍ، ومائة أوقية من الذهب، ولم أقدر على ذلك.

قال: فطلب الخليفة أباها ودفع اليه ما اشترطه

---

* الأبشيهي ـ المستطرف في كل فن مستظرف ج٢ ص ١٨٤

على ابن أخيه، ولم يقم من مقامه حتى عقد له عليها، ثم دخل الخليفة الى بيته، وهو يترنم ببيت من الشعر، فقالت له جارية من حظاياه: أراك اليوم يامولاي تنشد الشعر! أفنسيت ما نذرت أم تراك قد هويت؟

فأنشد هذه الأبيات:

تقول وليدتي لما رأتني
طربت وكنت قد أسليت حيناً
أراك اليوم قد أحدثت عهداً
وأورثك الهوى داءً دفينا
بحقك هل سمعت لها حديثاً
فشاقك أو رأيت لها جبينا
فقلت شكا إليّ أخ محب
كمثل زماننا إذ تعلمينا
وذو الشجو القديم وإن تعزّى
محبٌّ حين يلقى العاشقينا

ثم عدَّ الأبيات، فإذا هي خمسة أبيات، فأعتق خمس رقاب، ثم قال: لله درك من خمسة أعتقت خمس، وجمعت بين رأسين في الحلال.

عروة وعفراء*

هلك حُزام، وترك ابنه عروة(1) صغيراً في حجر عمه عقال، وكانت عفراء ترباً(2) لعروة، يلعبان جميعاً، ويكونان معاً، حتى تألَّف كل واحد منهما صاحبه إلفاً شديداً، وكان عقال يقول لعروة لما يرى من إلفهما: أبشر فإن عفراء أمتك إن شاء الله!

---

* الأصفهاني: أبو الفرج - الأغاني ج٢٠ ص ١٥٢/ القالي: ابو علي - ذيل الامالي ج١ ص ١٥٧

١ - انظر ص ٢٤

٢ - الترب ج أتراب: من ولد معك. وأكثر ما يستعمل في المؤنث، يقال: « هذه ترب فلانه » اذا كانت على سنّها.

فكان كذلك حتى لحقت عفراء بالنساء، ولحق عروة بالرجال، فأتى عروة عمةً له يقال لها هند بنت مهاجر، وقال لها في بعض ما يقول: ياعمة، إني لمكلمك، وإني منك لمستحي، ولكن لم أفعل هذا حتى ضقت ذرعاً بما أنا فيه.

فذهبت عمته الى أخيها، فقالت له: يا أخي، قد أتيتك في حاجة أحبُّ أن تحسن بها، فإن الله يأجُرُك لصلة رحمك بي.

فقال لها: قولي، فلن تسألي حاجة إلا رددتك بها.

قالت: تزوج عروة إبن أخيك بابنتك عفراء.

فقال: ماعنه مذهب، ولاهو دون رجل يُرغب فيه، ولا بنا عنه رغبة، ولكنه ليس بذي مال، وليست عليه عجلة.

فطابت نفس عروة، وسكن بعض السكون، وكانت أمها سيئة الرأي فيه، تريد لابنتها ذا مال ووفر، وكانت عرضةً لذلك كمالاً وجمالاً.

فلما تكاملت سنة، وبلغ أشدَّه، عرف أن رجلاً

من قومه ذا يسار ومالٍ كثير يخطبها، فأتى عمه، فقال: ياعم، قد عرفت حقي وقرابتي، وإني ولدك وربيت في حجرك، وقد بلغني أن رجلاً خطب عفراء، فإن أسعفته بطلبته قتلتني وسفكت دمي، فأنشدك الله ورحمي وحقي!

فرقّ له، وقال: يابني، أنت معدِم، وحالنا قريبة من حالك، ولست مخرجها الى سواك، وأمها قد أبت أن تزوجها إلا بمهرٍ غالٍ.

فضرب في الأرض يبتغي الرزق، ثم جاء الى أمها، فألطفها وداراها، فأبت أن تجيبه إلا بما تحتكمه من المهر، وبعد أن يسوق شطره اليها، فوعدها بذلك، وعلم أنه لاتنفعه قرابة ولاغيرها، إلا المال الذي يطلبونه، فعمل على قصد ابن عمٍّ له موسر، كان مقيماً بالري، فجاء الى عمه وامرأته، فأخبرهما بعزمه، فصوَّباه[1] ووعداه أن لايحدثا حدثاً حتى يعود.

---

١ ـ صوَّبه رأيه: حكم له بالصواب. وصوَّب فلاناً: قال له أصبت.

وصار في ليلة رحيله الى عفراء، فجلس عندها هو وجواري الحي يتحدثون حتى أصبحوا، ثم ودَّعها وودع الحي، وشدَّ على راحلته، وصحبه في طريقه فتيان كانا يألفانه، وكان حياهم متجاورين، وكان في طول سفره ساهياً، يكلمانه فلايفهم، فكرهُ في عفراء، حتى يردا القول عليه مراراً.

بقي على هذه الحال، حتى قدم على ابن عمه، فلقيه وعرفه حاله وما قدم له، فوصله وكساه وأعطاه مائة من الابل، فانصرف بها الى أهله. وقد كان رجل من أهل الشام، من أنساب بني أمية، نزل في حي عفراء، فنحر ووهب وأطعم وكان ذا مال، فرأى عفراء، وكان منزله قريباً من منزلهم، فأعجبته وخطبها الى أبيها، فاعتذر اليه وقال: قد سميتها الى ابن أخٍ لي، يعد لها عندي وما اليها لغيره سبيل.

فقال له: إني أرغبك في المهر.

قال: لاحاجة لي بذلك.

فعدل الى أمها، فوافق عندها قبولاً، لبذله ورغبة في ماله، فأجابته ووعدته، وجاءت الى عقال، فأذنته واستصحبته، وقالت: أي خير في عروة، حتى تحبس

ابنتي عليه، وقد جاءها الغنى يطرق عليها بابها، والله ما ندري أعروة حي أم ميت، وهل ينقلب اليك بخير أم لا، فتكون قد حرمت ابنتك خيراً حاضراً ورزقاً سنياً، فلم تزل به حتى قال لها: فإن عاد لي خاطباً أجبته.

فوجهت اليه ان عد اليه خاطباً، فلما كان من غدٍ، نحر جزوراً عدة، وأطعم ووهب وجمع الحي معه على طعامه، وفيهم ابو عفراء، فلما طعموا عاد القول في الخطبة، فأجابه وزوجه وساق اليه المهر، وحولت اليه عفراء، وقالت قبل أن يبتني بها:

يا عرو إنَّ الحي قد نقضوا
عهد الاله وحاولوا الغَدْرَا

فلما كان الليل دخل عليها زوجها، وأقام فيهم ثلاثاً، ثم ارتحل بها الى الشام، وعمد أبوها الى قبرٍ عتيق، فجدَّده وسواه، وسأل الحي كتمان أمرها.

وقدم عروة بعد أيام، فنعاها أبوها اليه، وذهب به الى ذلك القبر، فمكث يختلف اليه أياماً وهو مضنى هالك، حتى جاءته جارية من جواري الحي، فأخبرته

الخبر، فتركهم وركب بعض إبله، وأخذ معه زاداً ونفقة، ورحل الى الشام فقدمها، وسأل عن الرجل، فأخبر به ودلّ عليه، فقصده وانتسب اليه في عدنان، فأكرمه وأحسن ضيافته، فمكث أياماً حتى أنسوا به.

ثم قال لجارية لهم: هل لك في يدٍ تُولينها؟

قالت: نعم!

قال: تدفعين خاتمي هذا الى مولاتك.

فقالت: سوءةً لك! أما تستحي لهذا القول!

فأمسك عنها، ثم أعاد عليها، وقال لها: ويحك! هي والله بنت عمي، وما أحد منا إلا أعزّ على صاحبه من الناس، فاطرحي هذا الخاتم في صحنها، فإن أنكرت عليك، فقولي لها: إصطبح[1] ضيفك قبلك، ولعله سقط منه!

فرقت الجارية، وفعلت ما أمرها به، فلما شربت عفراء اللبن، رأت الخاتم فعرفته، فشهقت، ثم

---

١ ـ إصطبح: تناول الصبوح. والصبوح: كل ما أكل أو شرب صباحاً.

قالت: أصدقيني الخبر، فصدقتها، فلما جاء زوجها قالت له: أتدري من ضيفك هذا؟

قال: نعم، فلان إبن فلان (للنسب الذي إنتسبه له عروة).

فقالت: كلا، والله بل هو عروة بن حزام إبن عمي، وقد كتمك نفسه حياءً منك.

فبعث اليه فدعاه وعاتبه على كتمانه نفسه إياه، وقال له: بالرحب والسعة، نشدتك الله إن رمت[1] هذا المكان أبداً، وخرج وتركه مع عفراء يتحدثان، وأوصى خادماً بالاستماع عليهما، وإعادة ما تسمعه منهما عليه.

فلما خلوا تشاكيا ما وجدا بعد الفراق، فطالت الشكوى وهو يبكي أحرَّ بكاء، ثم أتته بشراب، وسألته أن يشربه، فقال: والله ما دخل في جوفي حرامٌ قط، ولاإرتكبته منذ كنت، ولو استحللت حراماً لكنت قد استحللت منك، فأنت حظي من الدنيا، وقد ذهبت مني وذهبت بعدك فما أعيش، وقد

---

١ ـ رام المكان: زال عنه وفارقه.

أجمل هذا الرجل الكريم وأحسن، وأنا أستحي منه، ووالله لاأقيم بعد علمه مكاني، وإني عالم إني راحل الى منيتي، فبكت وبكى وانصرف.

فلما جاء زوجها، أخبرته الجارية بما دار بينهما، فقال: ياعفراء، إمنعي ابن عمك من الخروج.

فقالت: لايمتنع، هو والله أكرم وأشد حياء، من أن يقيم بعد ما جرى بينكما.

فدعاه وقال له: ياأخي، اتق الله في نفسك، فقد عرفت خبرك، وإنك إن رحلت تَلِفْتَ، ووالله لأمنعك من الاجتماع معها أبداً، ولئن شئت لأفارقنَّها، ولأنزلن عنها لك.

فقال له: جزاك الله خيراً، وأثنى عليه، وقال: إنما كان الطمع إليها آفتي، والآن قد يئست، وحملت نفسي على الصبر، فإن اليأس يسلى، ولي أمور لابد لي من رجوعي اليها، فإن وجدتُ بي قوة على ذلك، والا عدت اليكم وزرتكم، حتى يقضي الله من أمري ما يشاء، فزودوه وأكرموه وشيعوه، فانصرف.

فلما رحل عنهم، نُكِس بعد صلاحه وتماسكه،

وأصابه عشيٌ وخفقان، فكان كلما أغمي عليه، ألقى على وجهه خماراً لعفراء، زودته إياه فيُفيق.

ولقيه في الطريق إبن مكحول عرّاف اليمامة، فرآه وجلس عنده وسأله عما به، وهل هو خَبَل أو جنون؟

فقال له عروة: ألك علم بالأوجاع؟

قال: نعم!

فأنشأ يقول:

ما بي من خبل ولا بي جُنَّة
ولكن عمي يا أُخيَّ كذوبُ
أقول لعراف اليمامة داوني
فإنك إن داويتني لطبيبُ
فيا كبداً أمست رفاتاً كأنما
يُلذِّعُها بالموقدات طبيبُ
عشية لاعفراء منك بعيدة
فتسلو ولاعفراء منك قريبُ
فوالله لاأنساك ماهبت الصِّبا
وما عقبتها في الرياح جنوبُ

وإني لـتـعـروني لـذكـراك هِـزَّةٌ
لهـا بـين جـلدي والعـظام دبـيـبُ

وقال ايضاً يخاطب صاحبيه الهليليين بقصته :

خليـلي من عليـا هـلال بن عـامـر
بصنعـاء **عـوجـا**(١) اليـوم وانـتـظراني
ولاتـزهـدا في الأجـر عنـدي وأجمـلا
فـإنـكـما بي الـيـوم مـبـتـليـان
إلمـاً عـلى عـفـراء إنـكـما غـدا
بشحط الـنـوى والبـين معـتـرفـان
فـيـا واشي عـفـرا دعـاني ونـظرة
تـقـرُّ بهـا عـيـنـاي ثـم كـلاني
أغـركـما مـني قـمـيص لـبـسـتـه
جـديـد وبـردا يمـنـةٍ زهـيـان
متى تـرفعـا عني القـميص تبيـنـا
بي الضُّـر من عـفـراء يـا فتيـان
إذا تـريـا لحـماً قـليـلاً وأعـظماً
يـلين وقـلبـاً دائـم الخـفـقـان

---

١ ـ عاج الى أو على المكان : مال وعطف

على كبدي من حب عفراء قُرحةٌ
وعيناي من وجدٍ بها تَكِفان
فعفراء أرجى الناس عندي مودةً
وعفراء عني المعرض المتواني
فياليت كل اثنين بينهما هوىً
من الناس والانعام يلتقيان
فيقضي حبيب من حبيب لُبانة[1]
ويرعاهما ربي فلا يريان
هوى ناقتي خلفي وقدامي الهوى
وإني وإياها لمختلفان

* * *

تحملت من عفراء ما ليس لي به
ولا للجبال الراسيات يدان
كأن قطاةً علقت بجناحها
على كبدي من شدة الخفقان

---

١ ـ اللبانة: الحاجة من غير فاقة بل من همة. والهمة ما همَّ به من أمر ليفُعل. تقول: « قضيت لبانتي » أي حاجتي.

جعلت لعراف اليمامة حكمه
وعراف نجد إن هما شفياني
فقالا نعم تشفى من الداء كلِّه
وقاما مع العواد[1] يبتدران
فما تركا من رقية يعلمانها
ولاسلوة إلا وقد سقياني
وما شفيا الداء الذي بي كله
ولاذخرَا نُصحاً ولاً ألواني[2]
فقالا شفاك الله، والله مالنا
بما ضمنت منك الضلوعُ يدان
فيا عَمِّ ياذا الغدر لازلت مبتلي
حليفاً لهمٍّ لازمٍ وهوان
غدرت وكان الغدر منك سجية
فألزمت قلبي دائم الخفقان
وأورثتني غماً وكرباً وحسرة
وأورثت عيني دائم الهملان

١ ـ العواد: زوار المريض
٢ ـ ألواني: قصَّرا في حقي

فـلازلت ذا شـوق الى من هـويته
وقـلبـك مـقسـوم بـكـل مـكـان
وأني لاهـوى الحشـر إذ قيـل أنني
وعـفـراء يـوم الحشـر مـلتقيـان

* * *

فـويـلي عـلى عفـراء ويـلاً كـأنـه
عـلى الصـدر والأحشـاء حـد سنـان
أحب ابنـة العـذري حبـاً وإن نـأت
ودانـيت فـيهـا غـير مـا متـدان
فيـا رب أنت المستعـان عـلى الـذي
تحـملت مـن عفـراء منـذ زمـان.

ثم توفي وهو راجع بالشام، ولما بلغ عفراء موته، قالت لزوجها: قد كان من خبر ابن عمي ما بلغك، ووالله ما عرفت منه قط إلا الحسَن، وقد مات فيَّ وبسببي، ولابد لي من أن أندبه، فأقيم مأتماً عليه.

قال: افعلي!

فما زالت تندبه ثلاثاً، حتى توفيت في اليوم الرابع.

الناسك الفاسق*

ذكروا أن الحجاج بن يوسف أرق ذات ليلة، فبعث الى ابن القرية فقال: أرقت فحدثني حديثاً يقصر عليّ طول ليلي، ولكن من مكر النساء وفعالهن.

فقال: أصلح الله الأمير ذكروا أن رجلاً يقال له عمرو بن عامر من أهل البصرة، كان معروفاً بالنسك والسخاء، وكانت له زوجة يقال لها جميلة، وله صديق من النساك. فاستودعه عمر ألف دينار، وقال: إن حدثت بي حادثة، ورأيت أهلي محتاجين، فأعطهم هذا المال.

فعاش ما عاش، ثم دُعي فأجاب، فمكثت

* الجاحظ ـ المحاسن والأضداد ص ١٥٥

جميلة بعده حيناً، ثم ساءت حالها، وأمرت خادمتها يوماً ببيع خاتمها، لغداء يوم أوعشاء ليلة، فبينا الخادمة تعرض الخاتم على البيع، إذ لقيها الناسك، فقال: فلانة؟!

قالت: نعم.

قال: حاجتك؟

فأخبرته بسوء الحال، وما اضطرت اليه مولاتها من بيع خاتمها.

فهملت عيناه دموعاً، ثم قال: إن لعمرو قبلي ألف دينار، فاعلمي بذلك صاحبتك.

فأقبلت الجارية ضاحكة مستبشرة، وهي تقول: رزق حلال عاجل، من كدِّ مولاي الكريم الفاضل.

فلما سمعت مولاتها ذلك، سألتها عن القصة، فأخبرتها. فخرَّت ساجدة وحمدت ربها، وبعثت بالجارية الى الناسك، فأقبل الناسك،ومعه المال، فلما دخل الدار، كره أن يدفع المال الى أحدٍ سواها.

فخرجت، فلما نظر الى جمالها وكمالها، أخذت

مجامع قلبه، وفارقه النُهى[١]، وذهب عنه الحياء، وأنشأ يقول:

قد سلبتِ الجسم والقلبَ معاً
وبريتِ العظمَ مما تلحظين
فارددي قلب عميدٍ واقبلي
صلة الضعفين مما ترتجين.

فأطرقت جميلة لقوله طويلاً، ثم قالت: ويحك ألست المعروف بالنسك، المنسوب الى الورع؟

قال: بلى! ولكن نور وجهك سلّ جسمي، فتداركيني بكلمة تقيمين بها أودي[٢]، فهذا مقام اللائذ[٣] بكِ.

قالت: أيها المرائي المخادع! أخرج عني مذموماً مدحوراً.

---

١ ـ النهى: العقل، سمي به لأنه ينهى عن القبيح وعن كل ما ينافي العقل.

٢ ـ الأود: الأعوجاج. يقال: «قوَّم أوده» أي إعوجاجه.

٣ ـ لاذ بالقوم: إلتجأ اليهم وداناهم وعاذبهم.

فخرج عنها، وقد هام قلبه، وأضحت جميلة تُعمل الحيلة في استخراج حقها، فأتت الملك ترفع اليه ظلامتها، فلم تصل اليه، فأتت الحاجب فشكت اليه، فأعجب بها إعجاباً شديداً، وقال: إن لوجهك صورة أدفعها عن هذا، ولايجمل بمثلك الخصومة فهل لك في ضعفي مالكِ في ستر ورفق؟

فقالت: سوءة لامرأة حرَّه تميل الى ريبة. فانصرفت الى صاحب الشرطة، فأنهت ظلامتها اليه.

فأعجب بها وقال: إن حجّتك على الناسك، لاتقبل إلا بشاهدين عدلين، وأنا مشترٍ منك خصومتك، إن أنت نزلت عند مسرّتي.

فانصرفت عنه الى القاضي، فشكت اليه، فأخذت بقلبه، وكاد يجن إعجاباً بها، وقال: ياقرَّة العين! إنه لايُزهد في أمثالك، فهل لك في مواصلتي وغناء الدهر؟

فانصرفت وباتت تحتال في استخراج حقها. فبعثت الجارية الى نجار، فعمل لها تابوتاً بثلاثة أبواب، كل منها منفرد، ثم بعثت الجارية الى

الحاجب أن يأتيها إذا أصبح، والى صاحب الشرطة إن يأتيها ضحوة، والى القاضي أن يأتيها اذا تعالى النهار، والى الناسك أن يأتيها اذا انتصف النهار.

فأتاها الحاجب، فأقبلت عليه تحدثه، فما فرغت من حديثها، حتى قالت لها الجارية: صاحب الشرطة بالباب، فقالت للحاجب: ليس في البيت ملجأ الاهذا التابوت، فادخل أي بيت شئت منه. فدخل الحاجب بيتاً من التابوت فاقفلت عليه.

ودخل صاحب الشرطة، فاقبلت جميلة عليه تضاحكه وتلاطفه، فما كان بأسرع من أن قالت الجارية: القاضي بالباب.

فقال صاحب الشرطة: أين أختبىء؟

فقالت: لاملجأ إلا هذا التابوت، وفيه بيتان، فادخل أيهما شئت، فدخل فأقفلت عليه.

فلما دخل القاضي، قالت: مرحباً وأهلاً، وأقبلت عليه بالترحيب والتلطيف. فبينا هي كذلك، إذ قالت الجارية: الناسك بالباب. فقال القاضي: ماذا ترين في ردّه؟

قالت: مالي الى ردِّه سبيل.

قال: فكيف الحيلة؟

قالت: إني مدخلتك هذا التابوت ومخاصمته، فاشهد لي بما تسمع، وأحكم بيني وبينه بالحق.

قال: نعم، فدخل البيت الثالث من التابوت، فأقفلت عليه.

ودخل الناسك، فقالت له: مرحباً بالزائر الجاني، كيف بدا لك في زيارتنا؟

قال: شوقاً الى رؤيتك، وحنيناً الى قربك.

قالت: فالمال، ما تقول فيه؟ أشهد الله على نفسك بردِّه.

قال: اللهم إنني أشهدك الله لجميلة عندي الف دينار وديعة زوجها.

فلما سمعت ذلك، هتفت بجاريتها، وخرجت مبادرة نحو باب الملك، فأنهت ظلامتها اليه. فأرسل الملك الى الحاجب، وصاحب الشرطة، والقاضي، فلم يعثر على واحد منهم، فقعد لها وسألها البينة.

فقالت: يشهد تابوت عندي.

فضحك الملك وقال: يحتمل ذلك لجمالك. فبعث بالعجلة فوضع التابوت فيها، وحُمل الى بين يدي الملك، فقامت وضربت بيدها الى التابوت، وقالت: أعطي الله عهداً لتنطقن بالحق، وتشهدن بما سمعت، أو لأضرمنك ناراً.

فاذا ثلاثة أصوات من جوف التابوت، تشهد على إقرار الناسك لجميلة بألف دينار.

فكبر ذلك على الملك، فقالت جميلة: لم أجد في المملكة قوماً أوفى ولا أقوم بالحق من هؤلاء الثلاثة، فأشهدتهم على غريمي، ثم فتحت التابوت، وأخرجت ثلاثة النفر، وسألها الملك عن قصتها فأخبرته، وأخذت حقها من الناسك.

فقال الحجاج: لله درها، ما أحسن ما احتالت لاستخراج حقها.

عزّة غريمي(١)*

كانت أول علاقة كثير بعزّة أن خرج من منزله، خلف غنم يسوقها الى الجار،(٢) فلما كان بالخبت(٣)، وقف على نسوة من بني ضمرة، فسألهن عن الماء، فقلن لعزّة ـ وهي جارية حين كعب(٤) ثدياها ـ: أرشديه الى الماء، فأرشدته وأعجبته.

فبينا هو يسقي غنمه إذ جاءته عزة بدراهم،

---

* الأصفهاني: ابو الفرج ـ ج٨ ص ٣٧

١ ـ الغريم: المديون.

٢ ـ الجار: أسم مكان قرب المدينة

٣ ـ الخبت: الوادي الضيق العميق.

٤ ـ كعبت الجارية: نهد ثديها أي انتبر وأشرف فهي كاعب وكعب الثدي: نهد.

فقالت: يقلن لك النسوة: بعنا بهذه الدراهم كبشاً من ضأنك.

فأمر الغلام فدفع اليها كبشاً، وقال: ردّي الدراهم وقولي لهن: إذا رِحتُ بكنَّ إقتضيت حقي.

فلما راح مرَّ بهنّ، فقلن له: هذا حقك فخذه.

فقال: عزة غريمي، ولست أقتضي حقي إلا منها.

فمزحن معه، وقلن: ويحك! عزة جارية صغيرة، وليس فيها وفاء لحقك، فأحله على إحدانا، فإننا أملأ به منها، وأسرع له أداءً.

فقال: ما أنا بمحيل حقي عنها. ومضى لوجهه، ثم رجع اليهن حين فرغ من بيع جَلَبه (١) فأنشدهن فيها:

نظرت اليها نظرة وهي عاتقٌ (٢)
على حين أن شبت وبان نهودها

---

١ ـ الجلب: ما تجلبه من بلد الى بلد.
٢ ـ العاتق: الجارية أول ما أدركت، أو التي بين الأدراك =

وقد درّعوها[١] وهي ذاتُ مؤصَّدٍ[٢]
مجوب[٣] ولما يلبس الدرع ريدها[٤]
من الخفـرات[٥] البيّض ودَّ جليسهـا
إذا ما انقضت أحدوثـة لو تعيـدها.

وأنشدهن أيضاً

قضى كـل ذي دين فـوفَّى غـريمـه
وعـزة ممـطول فـعـزّى غـريمهـا.

فقلن لـه: أبيت إلا عزَّة! وأبـرزنها اليه وهي كارهة.
ثم أحبته عزة بعد ذلك، أشد من حَبه إياها.

= والتعنيس، سميت بذلك لأنها عتقت من خدمة أبويها ولم يدركها زوج بعد.
١ ـ درَّع المرأة: ألبسها الدرع أي القميص.
٢ - المؤصد أو الموصد: الحذر
٣ ـ مجوب: له جيب.
٤ ـ ريدها: تربها/ من هم في مثل عمرها.
٥ ـ خفرت الجارية: إستحيت أشد الحياء

إفتخار بالعفاف*

روي عن إبن عباس أن عبد الله بن عبد المطلب، أبا النبي (ص)، قد دعته كاهنة من خشعم، يقال لها فاطمة بنت مُرّ، متهوِّدة من أهل تبالة، قد قرأت الكتب، فرأت في وجهه نوراً، فدعته الى نفسها وبذلت له مائة من الابل، وقيل إنها قالت له لك عندي مثل الابل التي نحرت عنك، وكانت تتكهن وتسمع بإتيان رسول الله (ص)،

* الطبري: ابن جرير - تاريخ الرسل والملوك ج٢ ص ٢٤٣/
ابن هشام - السيرة النبوية ج١ ص ١٠٥/
الأبشيهي - المستطرف في كل فن مستظرف ج٢ ص ١٨٤/
ابن ابي الحديد - شرح نهج البلاغة ج٤ ص ٥٢٤.

وكانت جميلة فأرادت ان تخدع عبد الله، رجاء أن يكون النبي (ص) منها للنور الذي رأته بين عينيه، فأبى وقال:

أما الحرام فالممات دونه
والحِلّ لاحِلّ فأستبينه
فكيف بالأمر الذي تبغينه
يحمي الكريمُ عرضَه ودينه

وقال آخر في هذا المعنى:

وأحور مخضوب البنان محجب
دعاني فلم أعرف الى مادعا وجهاً
بخلت بنفسي عن مقام يشينها
ولست مريداً ذاك طوعاً ولاكرها.

وراود شاب ليلى الأخيلية عن نفسها فاشمأزت وقالت:

وذي حاجة قلنا له لانبح بها
فليس اليها ما حييت سبيل

لنا صاحب لاينبغي أن نخونه
وأنت لأخرى صاحب وخليل.

وقال ابن ميادة:

موانع لايعطين حبة خردلٍ
وهنَّ دوانٍ في الحديث أوانس
ويكرهن ان يسمعن في اللهو ريبة
كما كرهت صوت اللجام الشوامس(١)

وقال آخر:

حور حرائر ما هممن بريبة
كظباء مكة صيدهن حرام
يحسبن من لين الكلام فواسقاً
ويصدهن عن الخنى(٢) الاسلام

وكان الأصمعي يستحسن بيتي العباس بن الاحنف:

---

١ ـ شمس الفرس: كان لايمكن أحداً من ركوبه أو إسراجه ولايكاد يستقر فهو شامس (ج) شوامس.
٢ ـ الخنى: الفحش في الكلام.

أتأذنون لصبٍّ في زيارتكم
فعندكم شهوات السمع والبصر
لايظهر الشوق إن طال الجلوس به
عف الضمير ولكن فاسق النظر

وأنشد المبرد:

ما إن دعاني الهوى لفاحشة
إلا نهاني الحياء والكرم
فلا الى فاحش مددت يدي
ولامشت بي لزلّة قدم.

وقال آخر:

يقولون لاتنظر فذاك بلية
بلى كل ذي عينين لابد ناظر
وهل باكتحال العين بالعين ريبة
اذا عفّ فيما بينهن السرائر

نهاية المجنون*

حدث شيخ من بني مرة، أنه خرج الى أرض بني غامر ليلقى المجنون، قال: فدللت على محلته فأتيتها، فاذا أبوه شيخ كبير، وإخوة له رجال، وإذا نِعِم كثيرٌ وخير ظاهر، فسألتهم عنه فاستعبروا جميعاً.

وقال الشيخ: والله لهو كان آثر في نفسي من هؤلاء وأحبهم إلي! وإنه هوي امرأة من قومه ، والله ماكانت تطمع في مثله، فلما أن فشا أمره وأمرها، كره أبوه أن يزوجها منه بعد ظهور الخبر، فزوجها من غيره، فذهب عقل إبني ولحقه خَبَل[1]، وهام في

---

* الأصفهاني: ابو الفرج ـ الاغاني ج٢ ص ١٤/ المسعودي ـ مروج الذهب ج٢ ص ٤١٧

١ ـ الخبل: فساد الأعضاء. ويقال: «خبل الحب قلبه» أي فتنه.

الفيافي وَجْداً عليها، فحبسناه وقيدناه، فجعل يعضّ لسانه وشفتيه، حتى خفنا عليه أن يقطعها، فخلينا سبيله، فهو يهيم في هذه الفيافي، مع الوحوش، يُذهُب اليه كل يوم بطعامه، فيوضع له حيث يراه، فإذا تنحَّوا عنه، جاء فأكل منه.

قال: فسألتهم أن يدلوني عليه، فدلوني على فتى من الحي كان صديقاً له، وقالوا: إنه لايأنس إلا به، ولايأخذ أشعاره عنه غيره، فأتيته وسألته أن يدلني عليه فقال: إن كنت تريد شعره، فكل شعر قاله الي أمس عندي، وأنا ذاهب اليه غداً، فإن كان قال شيئاً أتيتك به.

فقلت: بل أريد أن تدلني عليه لآتيه.

فقال لي: إنه إن نفر منك نفر مني، فيذهب شعره، فأبيت إلا أن يدلني عليه.

فقال: اطلبه في هذه الصحاري، فاذا رأيته فادن منه مستأنساً، ولاتراه أنك تهابه، فإنه يتهددك ويتوعدك أن يرميك بشيء، فلا يروعنك، واجلس صارفاً بصرك عنه، والحظه أحياناً، فاذا رأيته قد

سكن من نفاره، فأنشده شعراً غزلاً، وإن كنت تروي من شعر قيس بن ذريح شيئاً، فأنشده إياه فإنه معجب به.

فخرجت فطلبته يومي الى العصر، فوجدته جالساً على رملٍ قد خطَّ فيه بإصبعه خطوطاً، فدنوت منه غير منقبض، فنفر مني نفور الوحش من الأنس، والى جانبه أحجار فتناول حجراً، فأعرضت عنه، فمكث ساعة كأنه نافر يريد القيام، فلما طال جلوسي سكن، وأقبل يخط بإصبعه، فأقبلت عليه وقلت: أحسن والله قيس بن ذريح حيث يقول:

ألا يا غراب البين ويحك نبني
بعلمك في لبنى وأنت خبير
فإن أنت لم تخبر بشيء علمته
فلا طرت إلا والجناح كسير
ودُرت بأعداءٍ حبيبُك فيهم
كما قد تراني بالحبيب أدور

فأقبل علي وهو يبكي ثم قال: وأنا أحسن منه قولاً حيث أقول:

كأن القلب ليلة قيل يغدي
بليلى العامرية أو يُراح
قطاة عزّها(1) شرك فباتت
تنازعه وقد علق الجناح

فامسكت عنه هنيهة، ثم أقبلت عليه فقلت:
وأحسن والله قيس بن ذريح حيث يقول:

وإني لمفنٍ دمع عيني بالبكا
حِذاراً لما قد كان أو هو كائن
وقالوا: غداً أو بعد ذاك بليلة
فراق حبيب لم يبن وهو بائن
وماكنت أخشى أن تكون منيتي
بكفيك إلا أن ماحان حائن

قال: فبكى - والله - حتى ظننت أن نفسه قد فاضت، وقد رأيت دموعه قد بلّت الرمل الذي بين يديه، ثم قال: أحسنَ لعمر الله، وأنا والله أشعر منه حيث أقول:

---

١ - عزَّ الشيء: صعب فكاد لايقوى عليه.

وأدنيتني حتى اذا ما سبيتني
بقول يحل العُصم[1] سهل الأباطح
تناءيت عني حين لالي حيلة
وخلّفت ما خلّفت بين الجوانح

ثم سنحت له ظبية، فوثب يعدو خلفها، حتى غاب عني وانصرفت. وعدت من غدٍ فطلبته فلم أجده، وجاءت امرأة كانت تصنع له طعامه الى الطعام فوجدته بحاله.

فلما كان في اليوم الثالث، غدوت وجاء أهله معي، فطلبناه يومنا فلم نجده. وغدونا في اليوم الرابع، نستقري أثره، حتى وجدناه في واد كثير الحجارة، خشن وهو ميت بين تلك الحجارة، فبينما هم يقلبونه، إذ وجدوا خرقة فيها مكتوب:

ألا أيها الشيخ الذي مابنا يرضى
شقيتَ ولا هُنِّيتَ من عيشك الغضّا[2]

١ ـ عصم الظبي: كان أعصم ج عصم: أي في ذراعيه أو احداهما بياض وسائره أحمر أو أسود. والمقصود هنا أن قولها يستنزل الوعول من الجبال الى الاباطح.
٢ ـ الغضا: شجر من الأثل، خشبه من أصلب الخشب، =

شقيت كما أشقيتني وتركتني
أهيم مع الهلَّاك لاأطعم الغمضا
كأن فؤادي في مخالب طائر
اذا ذكرت ليلى يشد به قبضا
كأن فجاج الأرض حلقة خاتم
عليَّ فما تزداد طولاً ولاعرضا

واحتمله أهله فغسلوه وكفنوه ودفنوه، فلم تبق فتاة من بني جعدة ولابني الحَرِيش، إلا خرجت حاسرة صارخة عليه تندبه، واجتمع فتيان الحي يبكون عليه أحرَّ بكاء، وينشجون(١) عليه أشد نشيج، وحضرهم حيٍ ليلى معزين وأبوها معهم، فكان أشد القوم جزعاً وبكاءً عليه، وجعل يقول: ما علمنا أن الأمر يبلغ كل هذا، ولكني كنت امرأً عربياً أخاف من العار، وقبح الأحدوثة ما يخافه مثلي، فزوجتها وخرجت عن يدي، ولو علمت أن أمره

= وجمره يبقى زمناً طويلاً لاينطفىء.

١ ـ نشج الباكي: غص بالبكاء من غير انتحاب.

يجري على هذا، ما أخرجتها عن يده، ولا احتملت ما كان عليٌّ في ذلك.

قال: فما رُئي يوم كان أكثر باكية وباكياً على ميت من يومئذٍ.

جمال وحسن منطق*

حكى الأصمعي عن رجل من بني ضبة قال: ضلَّت لي إبل فخرجت في طلبها، حتى أتيت بلاد بني سليم، فلما كنت في بعض أحومها، إذا جارية غشى بصري إشراق وجهها، فقالت: ما بغيتك، فإني أراك مولها؟

قلت: إبلٌ ضلَّت لي، فأنا في طلبها.

قالت: فتحب أن أرشدك الى من هي عنده؟

قلت: نعم!

قالت: الذي أعطاكهن، هو الذي أخذهنّ، فإن

* ابن قيم الجوزية ـ أخبار النساء ـ ص ١٢٥

شاء ردَّهن، فاسأله منّ طريق اليقين لامن طريق الاختيار.

فأعجبني ما رأيت من جمالها وحسن منطقها:

فقلت لها: هل لك من بعل؟

قالت: كان والله فدعي فأجاب إلى ما منه خلق، ونعم البعل كان.

قلت لها: فهل لك في بعلٍ لاتذم خلائقه، ولاتخشى بوائقه[1]؟

فأطرقت ساعة ثم رفعت رأسها وعيناها تذرفان دموعاً فأنشأت تقول:

كنا كغصنين من بان غذاؤهما
ماء الجداول في روضات جنات
فاجتثّ[2] صاحبها من جنب صاحبه
دهر يَكِرُّ بفرحاتٍ وترْحات

---

١ ـ البوائق م البائقة: الشرور، ويقال: «رفعت عنك بائقة فلان» أي غائلته وسرُّه/ الدواهي.

٢ ـ اجتثه: قلعه من أصله.

وكـان عـاهـدني إن خـانـني زمنٌ
أن لايضـاجـع أنثى بعـد مـوتـات
وكنت عـاهـدتـه أيضـاً فعـاجـله
ريب المنـون قـريبـاً مـذ سنينـات
فـاصرف عتـابك عمنَّ ليس يصـرفـه
عن الـوفـاء لـه خلب[1] التحيـات

قال: فانصرفت وتركتها.

١ ـ الخُلَّب: السحاب لامطر فيه فكأنه يخدع. يقال لمن يعد ولا ينجز: «إنما انت كبرق خُلَّب»

جبل التوباد*

كـان المجنون وليـلى وهما صبيـان يرعيـان غنماً لأهلهما عند جبل في بلادهما، يقال له التوباد، فلما ذهب عقله وتوحش، كان يجيء الى ذلك الجبل فيقيم به، فاذا تذكر أيام كان يُطيف هو وليلى به، جزع جزعاً شديداً واستوحش، فهام على وجهه، حتى يأتي نـواحي الشام، فـاذا أثـاب اليـه عقله، رأى بلداً لايعرفه، فيقول للناس الذين يلقاهم: بأبي أنتم أين التوباد من أرض بني عامر؟

فيقال له: وأين أنت من أرض بني عامر! أنت بالشام! عليك بنجم كذا فأمَّه، فيمضي على وجهه

* الأصفهاني: ابو الفرج ـ الأغاني ج١ ص ١٨٦

نحو ذلك النجم حتى يقع بأرض اليمن، فيرى بلاداً ينكرها وقوماً لايعرفهم، فيسألهم عن التوباد وأرض بني عامر، فيقولون: وأين أنت من أرض بني عامر! عليك بنجم كذا وكذا، فلا يزال كذلك حتى يقع على التوباد، فاذا رآه قال في ذلك:

وأجهشت[1] للتوباد حين رأيته
وكبّر للرحمن حين رآني
وأذريت دمع العين لمّا عرفته
ونادى بأعلى صوته فدعاني
فقلت له: قد كان حولك جيرة
وعهدي بذاك الصرم[2] منذ زمان
فقال: مضوا واستودعوني بلادهم
ومن ذا الذي يبقى على الحدثان
وإني لأبكي اليوم من حذري غداً
فراقك والحيان مجتمعان

---

١ ـ أجهشت النفس: نهضت وقامت وهمّت بالبكاء.

٢ ـ الصُّرم: القطيعة.

عناوين قصيرة*

سئل أعرابي عن النساء، وكان ذا تجربة وعلم بهن، فقال: أفضل النساء أطولهن إذا قامت وأعظمهن اذا قعدت، وأصدقهن اذا قالت، التي اذا غضبت حلمت واذا ضحكت تبسمت واذا صنعت شيئاً جوّدت، التي تطيع زوجها، وتلزم بيتها، العزيزة في قومها، الذليلة في نفسها الودود الولود، وكل أمرها محمود.

---

* ابن ابي الحديد ـ شرح نهج البلاغة مجلد ٤ ص ٥٢٦/ الأصفهاني: ابو الفرج ـ الاغاني ج ٧ص ٨٤/ الأبشيهي ـ المستطرف في كل فن مستظرف ج٢ ص ١٩٢/ الهاشمي: السيد أحمد ـ جواهر الأدب ج١ ص ١٨٦/ ابن عبد ربه العقد الفريد ج٧ ص ١٠١ و ١٠٩

وقالوا: إن الجارية الحسناء تتلون بلون الشمس، فهي بالضحى بيضاء، وبالعشي صفراء.

قال الشاعر:

بيضاء ضحوتها وصفـ ـراء العشية كالعرارة[1]

وقال ذو الرُّمة:

بيضاء صفراء قد تنازعها
لونان من فضةٍ ومن ذهبِ.

وقال آخر:

بيضاء يحمر خداها اذا خجلت
كما جرى ذهب في صفحة ورق

وقال آخر:

ما إن رأيت ولاسمعت بمثله
دراً يعود من الحياء عقيقا

قال أبو الدرداء لامرأته: إذا رأيتني غضبت

---

١ ـ العرار، الواحدة «عرارة»: النرجس البري.

فَتَرَضِّيني ، وإن رأيتك غضبت ترضيتك، وإلا لم نصطحب.

قال الزهري وهكذا تكون الاخوان.

قال الأصمعي: رأيت بالبادية أعرابية لاتتكلم. فقلت: أخرساء هي؟ فقيل لي: لا، ولكنها كان زوجها معجباً بنغمتها فتوفى، فآلت أن لاتتكلم بعده أبداً.

والعرب يزعمون أن أطيب الأفواه أفواه الظباء، كما أن أبعارها أطيب رائحة من سائر الأبعار، ويزعمون أن ليس في السباع أطيب أفواهاً من الكلاب، وفي الناس أطيب أفواهاً من الزنج، ويزعمون أن علة ذلك كثرة الريق، لأن علة الخلوف(١) جفوف الريق، والبخر(٢) يحدثه الكبر. والأفواه الموصوفة بالنتن أفواه الأسود وأفواه الصقور.

قال شيخ من بني العنبر: كان يقال:

---

١ ـ خلف فم الصائم: تغيرت رائحته وفسدت. ومنه المثل: « نومة الضحى مخلفة الفم » أي مغيرة رائحته ومفسدته.

٢ ـ بخِر الفم: أنتن ريحه.

النساء ثلاث: فهيِّنة ليِّنة عفيفة مسلمة، تعين أهلها على العيش، ولاتعين العيش على أهلها، وأخرى وعاء للولد، واخرى غُلٌّ قَمِلٌ يضعه الله في عُنُق من يشاء.

والرجال ثلاثة: فهين لين عفيف مسلم، يصدر الأمور مصادرها ويوردها مواردها، وآخر ينتهي الى رأي ذي اللب والمقدرة فيأخذ بقوله وينتهي الى أمره، وآخر حائر بائر لايأتمر لرشد ولايطيع المرشد.

عن محمد بن يحى المدني قال: سمعت بعض المدنيين يقول: كان الرجل اذا أحبّ الفتاة، يطوف حول دارها حولاً، يفرح أن يرى من يراها، فإن ظفر منها بمجلس، تشاكيا وتناشدا الأشعار، واليوم هو يشير اليها وهي تشير اليه، ويعدها وتعده، فإن التقيا لم يتشاكيا حباً، ولم يتناشدا شعراً...

وقال بعض الظرفاء: كان أرباب الهوى يسرون فيما مضى، ويقنعون، بأن يمضغ أحدهم لُبَّاناً(١) قد مضغته محبوبته، أو يستاك بسواكها، ويرون ذاك

---

١ ـ اللبَّان: شجيرة شوكة، لا تسمو أكثر من ذراعين، ولها

عظيماً. واليوم يطلب أحدهم الخلوة، وإرخاء الستور، كأنه قد أشهد على نكاحها أبا سعيد وأبا هريرة.

لقي جميل بثينة بعد تهاجر كان بينهما طالت مدته، فتعاتبا طويلاً، فقالت بثينة: ويحك يا جميل! أتزعم أنك تهواني وأنت الذي تقول:

رمى الله في عيني بثينة بالقذى
وفي الغر من أنيابها بالقوادح[1]

فأطرق طويلاً يبكي ثم قال: بل أنا القائل:

ألا ليتني أعمى أصم تقودني
بثينة لايخفى عليَّ كلامها.

فقالت له: ويحك ما حملك على هذه المنى! أوليس في سعة العافية ما كفانا جميعاً.

ورقة مثل ورق الآس، وثمره مثل ثمرته، وله حرارة في الفم.

١ ـ قدح الدود في الأسنان أو الشجر: كان فيها تأكل. والقوادح: الدود الذي ينخر الشجر أو الاسنان.

قيل أن عبد الله بن عجلان الهندي، رأى أثر كف عشيقته في ثوب زوجها فمات.

حكى الأصمعي قال: بينما أنا أسير في البادية، إذ مررت بحجر مكتوب عليه هذا البيت:

أيا معشر العشاق بالله خبروا
إذا حلّ عشق بالفتى كيف يصنع

فكتبت تحته:

يداري هواه ثم يكتم سرّه
ويخشع في كل الأمور ويخضع

ثم عدت في اليوم الثاني فوجدت مكتوباً تحته:

فكيف يداري والهوى قاتل الفتى
وفي كل يومٍ قلبه يتقطع

فكتبت تحته:

إذا لم يجد صبراً لكتمان سرّه
فليس له شيء سوى الموت أنفع

ثم عدت في اليوم الثالث فوجدت شاباً ملقى

تحت ذلك الحجر ميتا . فقلت: لاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم، وقد كتب قبل موته:

سمعنـا أطعنـا ثم متنـا فـبلغـوا
سـلامي على من كـان للوصـل يمنـع

حكي عن الأصمعي أنه قال: بينما أنا نائم في بعض مقابر البصرة، إذ رأيت جارية على قبر تندب وتقول:

بـروحـي فتى أوفي البـريـة كلهـا
وأقواهم في الحب صبراً عـلى الحب.

قال: فقلت لها: ياجارية، بم كان أوفى البرية، وبم كان أقواها؟!؟!

فقالت: يا هذا إنه ابن عمي، هويني فهويته، فكان إن أباح عنفوه وإن كتم لاموه، فـأنشد بيتي شعر، وما زال يكررهما الى ان مات، والله لاندبنه حتى أصير مثله في قبرٍ الى جانبه.

فقلت لها: يا جارية فما البيتان؟!

قالت:

يقولون لي: إن بحت قد غرّك الهوى
وإن لم أبح بالحب قالوا تصبرا
فما لامرىء يهوى ويكتم أمره
من الحب، إلا أن يموت فيعذرا

ثم أنها شهقت شهقة فارقت روحها الدنيا، رحمة الله عليها.

حدثتْ قسيمة بنت عياض، أنها وجماعة من نساء قومها اجتمعت بعد أن سارت اليهن عزة في جماعة من قومها، قالت: فجئناها فرأينا امرأة حلوة حميراء[1] نظيفة، فتضاءل لنا لها، ومعها نسوة كلهنَّ لها عليهن فضل من الجمال والخلق، الى أن تحدثت ساعة، فاذا هي أبرع الناس وأحلاهم حديثاً، فما فارقناها، إلا

---

١ ـ حميراء: بيضاء. فالعرب تقول امرأة حمراء أي بيضاء. فالعرب لاتقول: رجل أبيض من بياض اللون، إنما الأبيض عندهم الطاهر النقي من العيوب فإذا أرادوا الأبيض من اللون قالوا: أحمر.

وقال عليّ (ع) لعائشة (رض): «إياك أن تكونيها يا حميراء. أي يا بيضاء (لسان العرب مادة حمر)

ولها علينا الفضل في أعيننا، وما نرى في الدنيا امرأة تروقها جمالاً وحسناً وحلاوة.

وقد سأل عبد الملك بن مروان كثيراً عن أعجب خبرٍ له مع عزة فقال: حججت سنة من السنين، وحج زوج عزة بها، ولم يعلم أحد منا بصاحبه، فلما كنا ببعض الطريق، أمرها زوجها بابتياع سمن تصلح به طعاماً لأهل رفقته، فجعلت تدور الخيام خيمة خيمة، حتى دخلت اليَّ وهي لاتعلم أنها خيمتي، وكنت أبري أسهماً لي، فلما رأيتها جعلت أبري وأنا أنظر اليها، ولاأعلم حتى بريت عظامي مرات ولاأشعر به والدم يجري، فلما تبينتْ ذلك، دخلت الي فأمسكت يدي وجعلت تمسح الدم عنها بثوبها، وكان عندي نحي[٢] من سمن فحلفت لتأخذنه، فأخذته وجاءت الى زوجها بالسمن، فلما رأى الدم، سألها عن خبره، فكاتمته حتى حلف لتصدقنه، فصدقته فضربها، وحلف لتشتمني في وجهي، فوقفت

---

٢ ـ النحي: زق السمن/ جرة فخار يجعل فيها اللبن فيمخض

علي وهو معها، فقالت: يا ابن الزانية، وهي تبكي ثم انصرفا، فذلك حين أقول:

يكفلهـــا الخنـزيــر شتمي ومــا بهــا
هــواني، ولكن للمليك استــذلــت.

العفة في المحبة*

روي عن عثمان الضحاك قال: خرجت أريد الحج فنزلت بخيمة بالأبواء، فإذا بجارية جالسة على باب الخيمة فأعجبني حسنها، فتمثلت بقول نصيب:

بزينب ألمم[1] قبل أن يرحل الركب
وقل لاتملينا فما ملك القلب.

فقالت: ياهذا أتعرف قائل هذا البيت؟

قلت: بلى! هو نصيب.

---

* الأصفهاني: أبو الفرج ـ الأغاني ج٥ ص١٨٧

١ ـ ألَمَّ بالقوم وعلى القوم: أتاهم فنزل بهم وزارهم زيارة غير طويلة

فقالت: أتعرف زينبه؟

قلت: لا!

قالت: أنا زينبه.

قلت: حياك الله وحباك.

قالت: أما والله إن اليوم موعده، وعدني العام الأول بالاجتماع في هذا اليوم، فلعلك أن لاتبرح حتى تراه.

قال: فبينما هي تكلمني، إذا أنا براكب.

قالت: ترى ذلك الراكب؟

قلت: نعم!

قالت: إني لأحسبه إياه.

فأقبل إذا هو نصيب، فنزل قريباً من الخيمة، ثم أقبل فسلّم، ثم جلس قريباً منها فسألته أن ينشدها، فأنشدها، فقلت في نفسي، محبّان قد طال التنائي بينهما فلا بد أن يكون لأحدهما الى صاحبه حاجة، فقمت الى بعيري لأشد عليه.

فقال: على رسلك إني معك.

فجلست حتى نهض معي ، فسرنا وتسامرنا، فقال لي: أقلت في نفسك، محبَّان التقيا بعد طول تناء، فلابد أن يكون لأحدهما الى صاحبه حاجة!

قلت: نعم، قد كان ذلك قال: ورب هذا البيت، منذ أحببتها ما جلست منها مجلساً هو أقرب من مجلسي هذا.

فتعجبت لذلك وقلت: والله هذه هي العفة في المحبة.

ليس لهَّن مثيل*

ذكر محمد بن واسع الهيتي: أن عبد الملك بن مروان بعثَ كتاباً الى الحجاج بن يوسف الثقفي يقول فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، من عند عبد الملك بن مروان الى الحجاج بن يوسف، أما بعد... إذا ورد عليك كتابي هذا وقرأته، فسيِّر لي ثلاث جوارٍ مولدات أبكار، يكون إليهنّ المنتهى في الجمال، واكتب لي بصفة كل جارية منهن، ومبلغ ثمنها من المال.

فلما ورد الكتاب على الحجاج، دعا بالنخاسين[1] وأمرهم بما أمره به أمير المؤمنين، وأمرهم أن يسيروا

---

* الأبشيهي ـ المستطرف في كل فن مستظرف ج٢ ص ١٨٨

١ ـ النخاس: بائع الرقيق.

الى أقصى البلاد، حتى يقعوا بالغرض، وأعطاهم المال وكتب لهم كتباً الى كل الجهات، فساروا يطلبون ما أراد أمير المؤمنين، فلم يزالوا من بلد الى بلد، ومن إقليم الى إقليم، حتى وقعوا بالغرض، ورجعوا الى الحجاج، بثلاث جوارٍ مولدات ليس لهن مثيل.

قال: وكان الحجاج فصيحاً، فجعل ينظر الى كل واحدة منهن ومبلغ ثمنها، فوجدهن لايقام لهنَّ بقيمة، وإن ثمنهن ثمن واحدة منهن. ثم كتب كتاباً الى عبد الملك بن مروان يقول فيه بعد الثناء الجميل:

وصلني كتاب أمير المؤمنين، أمتعني الله تعالى ببقائه، يذكر فيه أن أشتري له ثلاث جوارٍ مولدات أبكاراً، وأن أكتب له صفة كل واحدة منهن وثمنها، فاما الجارية الاولى، أطال الله تعالى بقاء أمير المؤمنين، فإنها جارية عيطاء السوالف، عظيمة الروادف، كحلاء العينين، حمراء الوجنتين، قد أنهدت نهداها، والتفَّت فخذاها، كأنها ذهب شيب بفضة وهي كما قيل:

بيضاء فيها، اذا استقبلتها، دعج
كأنها فضة قد شابها ذهب

وثمنها يا أمير المؤمنين ثلاثون ألف درهم.

وأما الثانية، فإنها جارية فائقة في الجمال، معتدلة القد والكمال، تشفي السقيم، بكلامها الرخيم؛ وثمنها يا أمير المؤمنين ستون الف درهم.

واما الثالثة، فإنها جارية فاترة الطرف، لطيفة الكف، عميمة الردف، شاكرة للقليل، مساعدة للخليل، بديعة الجمال، كأنها خِشف[1] الغزال، وثمنها يا أمير المؤمنين ثمانون الف درهم.

ثم أطنب في الشكر والثناء على أمير المؤمنين، وطوى الكتاب وختمه، ودعا النخاسين فقال لهم: تجهزوا للسفر بهؤلاء الجواري الى أمير المؤمنين. فقال أحد النخاسين: أيد الله الأمير، إني رجل كبير ضعيف عن السفر، ولي ولد ينوب عني أفتأذن لي في ذلك؟

قال: نعم.

فتجهزوا وخرجوا، ففي بعض مسيرهم، نزلوا

---

١ ـ الخِشف: ولد الظبي أول ما يولد

يوماً يستريحوا في بعض الأماكن، فنامت الجواري فهبت الريح، فانكشف بطن إحداهن وهي الكوفية ـ فبان نور ساطع، وكان اسمها مكتوم، فنظر إليها ابن النحاس، وكان شاباً جميلاً، ففتن بها لساعته، فأتاها على غفلة من أصحابه وجعل يقول:

أمكتوم، عيني لاتمل من البكا
وقلبي بأسهام الأسى يترشق
أمكتوم، كم من عاشق في الهوى قتل
وقلبي رهين كيف لاأتعشق

فأجابته تقول:

لو كان حقاً ما تقول لزرتنا
ليلاً اذا هجعت عيون الحسد

قال: فلما جنَّ الليل، انتضى الفتى إبن النخاس سيفه، واتى نحو الجارية، فوجدها قائمة تنتظر قدومه، فأخذها وأراد أن يهرب ففطن به أصحابه، فأخذوه وكتفوه وأوثقوه بالحديد، ولم يزل مأسوراً معهم الى ان قدموا على عبد الملك بن مروان.

فلما مثلوا بالجواري بين يديه، أخذ الكتاب

ففتحه وقرأه، فوجد الصفة وافقت اثنتين من الجواري، ولم توافق الثالثة ورأى في وجهها صفرة، وهي الجارية الكوفية، فقال للنخاسين: ما بال هذه الجارية، لم توافق حليتها التي ذكرها الحجاج في كتابه؟! وما هذا الاصفرار الذي بها والانتحال؟

فقالوا: يا أمير المؤمنين، نقول ولنا الامان؟

قال: إن صدقتم أمنتم، وإن كذبتم هلكتم.

فخرج أحد النخاسين، وأتى بالفتى وهو مصفد بالحديد، فلما قدموه بين يدي أمير المؤمنين، بكى بكاءً شديداً وأيقن بالعذاب، ثم أنشأ يقول:

أمير المؤمنين أتيت رغماً
وقد شدت الى عنقي يديا
مقراً بالقبيح وسوء فعلي
ولست بما رُميت به بريا
فإن تقتل ففوق القتل ذنبي
وأن تعفو فمن جود عليا

فقال عبد الملك: يا فتى ما حملك على ما صنعت!؟ أستخفاف بنا أم هوى الجارية؟

قال: وحق رأسك يا أمير المؤمنين وعظم قدرك، ما هو الا هوى الجارية.

فقال: هي لك بما أعددته لها.

فأخذها الغلام، بكل ما اعده لها أمير المؤمنين من الحلى والحلل، وسار بها فرحاً مسروراً الى نحو أهله، حتى اذا كانا ببعض الطريق، نزلا بمرحلة ليلاً، فتعانقا وناما، فلما أصبح الصباح، وأراد الناس السير، فنبهوهما فوجدوهما ميتين.

فبكوا عليهما ودفنوهما بالطريق، ووصل خبرهما الى عبد الملك، فبكى عليهما وتعجب من ذلك.

من أحاديث المجنون*

عن أبي ثمامة الجعدي أن بعض العشيرة حدَّث فقال: قلت لقيس بن الملوح قبل أن يخالَط(1) ما أعجب شيء أصابك في وجدك بليلي ؟

قال : طرقنا ذات ليلة أضياف ، ولم يكن عندنا لهم أدم، فبعثني أبي الى منزل أبي ليلى ، وقال لي : أطلب لنا منه أدماً ، فأتيته ، فوقفت على خبائه ، فصحت به ، فقال : ما تشاء ؟

فقلت : طرقنا ضيفان ، ولا أدم عندنا لهم ، فأرسلني أبي نطلب منك أدماً.

---

* الأصفهاني: أبو الفرج ـ الأغاني ج١ ص ١٧٨ .

١ ـ خولط في عقله : اضطرب عقله واختل. إختلط الرجل: فسد عقله .

فقال : يا ليلى ؛ أخرجي اليه ذلك النِّحي[٢]، فاملئي له إناءه من السمن .

فأخرجته ومعي قَعْب[٣]، فجعلت تصبُّ السمن فيه ونتحدث، فألهانا الحديث وهي تصب السمن، وقد امتلأ القعب ولانعلم جميعاً، وهو يسيل حتى استنقعت أرجلنا في السمن.

فأتيتهم ليلة ثانية أطلب ناراً، وأنا متلفع ببردٍ لي، فأخرجت لي ناراً في عطبة[٤] لي فأعطتنيها، ووقفنا نتحدث؛ فلما احترقت العطبة خرقت من بردي خِرقة، وجعلت النار فيها، فكلما احترقت خرقت أخرى، وأذكيت بها النار، حتى لم يبق على من البرد إلا ماوارى عوراتي، وما أعقل ما أصنع.

---

٢ ـ النحي : زق السمن

٣ ـ القَعْب : القدح الضخم الغليظ.

٤ ـ العُطبة : القطعة من القطن، أو خرقة تؤخذ بها النار. يقال : « أجد ريح عُطبة » أي ريح خرقة أو قطنة محترقة.

ومن الحب ما قتل*

حكي عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، أنه قدم على عبد الملك بن مروان، فجلس ذات ليلة يسامره، فتذاكر الغناء والجواري والمغنيات والعشق، فقال عبد الملك لعبد الله : حدثني بأمرٍ ما مرّ لك في هذه الأغاني وما رأيت من الجواري .

قال: نعم يا أمير المؤمنين، اشتريت جارية مولدة، بعشرة آلاف درهم، وكانت حاذقة مطبوعة، فوصفت ليزيد بن معاوية، فكتب الي في شأنها، فكتبت اليه والله لاتخرج مني ببيع ولاهبة، فأمسك

* الأبشيهي ـ المستطرف في كل فن مستظرف ج٢ ص ١٨٧

عني؛ فكانت عندي على تلك الحالة لاأزداد فيها إلا حباً.

فبينما أنا ذات ليلة، إذا أتتني عجوز من عجائزنا، فذكرت لي أن بعض أعراب المدينة يحبها وتحبه، ويراها وتراه، وأنه يجيء كل ليلة متنكراً، فيقف بالباب، فيسمع غناءها ويبكي شغفاً وحباً.

فراعيت ذلك الوقت الذي قالت عليه العجوز، فإذا به قد أقبل مقنعاً رأسه، وقعد مستخفياً، فلم أدع بها في تلك الليلة، وجعلت أتأمل موضعها وموضعه، فاذا بها تكلمه ويكلمها، ولم أر بينهما إلا عتباً، ولم يزالا كذلك حتى ابيض الصبح، فدعوت بها وقلت لقيمة الجواري: أصلحي فلانة بما يمكنك، فأصلحتها وزينتها.

فلما جاءت بها، قبضت على يديها، وفتحت الباب وخرجت، فجئت الى الفتى فحرّكته فانتبه مذعوراً، فقلت: لا بأس عليك ولاخوف، هي هبة مني اليك، فدهش الفتى ولم يجبني، فدنوت الى أذنه وقلت: قد أظفرك الله تعالى ببغيتك، فقم وانصرف بها الى منزلك، فلم يرد جواباً، فحرّكته فاذا هو ميت.

فلم أر شيئاً قط، كان أعجب من أمره.

قال عبد الملك: لقد حدثني بعجب! فما صنعت الجارية؟

قلت: ماتت والله بعده بأيام، بعد نحول عظيم وتعليل، وماتت كمداً ووجداً على الغلام.

غريب لايُعرف*

قال أبو ريحانة، حاجب عبد الملك بن مروان: كان عبد الملك يجلس في كل أسبوع يومين، جلوساً عاماً للناس؛ فبينما هو جالس في مُستشرف[1] له وقد أدخلت عليه القصص، إذ وقعت في يده قصة، فيها: « إن رأى أمير المؤمنين أن يأمر جاريته فلانة أن تغنيني ثلاثة أصوات، ثم ينفِّذ فيّ ما شاء من حكمه فعل! ».

---

* النويري ـ نهاية الأرب ج٢ ص ١٦٠/ السراج: ابو جعفر بن أحمد ـ مصارع العشاق ص ٢٥٣

١ ـ المستشرف: المرتفع.

فاستشاط من ذلك غضباً، وقال: يارباح؛ عليّ بصاحب هذه القصة! فخرج الناس جميعاً، وأدخل عليه غلام من أجمل الفتيان وأحسنهم، فقال له عبد الملك: ياغلام؛ أهذه قصتك؟

قال: نعم يا أمير المؤمنين.

قال: وما الذي غرَّك مني، والله لأمثلنَّ بك، ولارد عنَّ بك نظراءك من أهل الجسارة! ثم قال: عليَّ بالجارية، فجيء بها كأنها فلقة قمر! وبيدها عودها فطرح لها الكرسي، فجلست، فقال عبد الملك: مرها يا غلام.

فقال لها: غنيني يا جارية بشعر قيس بن ذريح:

لقد كنتِ حبَّ النفس، لو دام ودُّنا
ولكنما الدنيا متاع غرور!
وكنا جميعاً قبل أن يظهر الهوى
بأنعم حالى غبطةٍ وسرورِ
فما برح الواشون حتى بدت لنا
بطون الهوى مقلوبة لظهور

فغنت، فخرج الغلام بجميع ما كان عليه من الثياب تخريقاً.

ثم قال له عبد الملك: مرها تُغنِّك الصوت الثاني، فقال: غنيني بشعر جميل:

ألا ليت شعري! هل أبيتن ليلة
بوادي القرى؟ إني إذن لسعيدُ!
إذا قلت: ما بي يا بثينة قاتلي
من الحب! قالت: ثابت ويزيد
وإن قلت: ردِّي بعض عقلي أعش به
مع الناس! قالت: ذاك منك بعيد!
فلا أنا مردود بما جئت طالباً
ولاحبُّها فيما يَبيدُ يبيدُ
يموت الهوى مني إذا ما لقيتها،
ويحيا اذا فارقتها فيعود.

فغنته الجارية، فسقط الغلام مغشياً عليه ساعة، ثم أفاق، فقال له عبد الملك: مرها فلتغنك الصوت الثالث.

فقال: يا جارية؛ غنيني بشعر قيس بن الملوح:

وفي الجيرة الغادين من بطن وجرة[1]
غـزال غـضـيض المـقـلتـين ربـيـب
فـلا تحسبي أن الغريب الـذي نـأى
ولـكن مـن تـنـأيـن عنـه غـريـب!

فغنتـه الجـاريـة، فـطرح الغـلام نفسـه من المستشرف، فلم يصل الى الأرض حتى تقطع.

فقال عبد الملك: ويحه! لقد عجل على نفسه! ولقد كان تقديري فيه غير الذي فعل! وأمر فأخرجت الجارية من قصره، ثم سأل عن الغلام، فقالـوا: غـريب لايعرف، إلا أنـه منذ ثـلاث، ينـادي في الأسواق، ويده على رأسه:

غـداً يكـثر البـاكـون منـا ومنكم
وتـزداد داري من ديـاركم بـعـد.

١ ـ وجرة: موضع بين مكة والبصرة.

إنتهى الكتاب

الكتاب القادم « حال العرب »

المصادر والمراجع

١ ـ الأبشيهي ـ المستطرف في كل فن مستظرف.

٢ ـ إبن أبي الحديد ـ شرح نهج البلاغة.

٣ ـ ابن قيم الجوزية ـ أخبار النساء.

٤ ـ إبن منظور ـ لسان العرب.

٥ ـ ابن هشام ـ السيرة النبوية.

٦ ـ ابن عبد ربه ـ العقد الفريد.

٧ ـ الأصفهاني أبو الفرج ـ الأغاني.

٨ ـ الجاحظ ـ المحاسن والأضداد.

٩ ـ السراج: أبو جعفر بن أحمد ـ مصارع العشاق.

١٠ ـ الطبري : إبن جرير ـ تاريخ الرسل والملوك .
١١ ـ القالي : أبو علي ـ ذيل الأمالي .
١٢ ـ القالي : أبو علي ـ الأمالي .
١٣ ـ المسعودي ـ مروج الذهب .
١٤ ـ النويري ـ نهاية الأرب .
١٥ ـ الهاشمي : السيد أحمد ـ جواهر الأدب .

مؤسسة عز الدين
للطباعة والنشر

هاتف: ٢٧٣٦٣٦ - ٢٧٥٥٣٢ - ٢٧٥٥٦٣ - ٢٧٥٨٦٧ - ص.ب: ١٣/٥٢٥١ بيروت - لبنان

حال العرب

سلسلة أخبار العرب

حال العرب

تأليف
حسن مغنية

مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر

١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

مؤسسة عز الدين
للطباعة والنشر

هاتف: ٢٧٣٦٣٦-٢٧٥٥٣٢-٢٧٥٥٦٣-٢٧٥٨٦٧-ص.ب: ١٣/٥٠٥١ بيروت - لبنان

المحتويات

الموضوع	الصفحة

كلمة التمهيد(١)

بسم الله الرحمن الرحيم وبه أستعين.

لقد اقتبس مؤرخو العرب أخبار العرب، من أشعار العرب وأقوالهم وأمثالهم التي كانت شائعة بينهم ، والتي تتناول حروبهم ووقائعهم ، وعاداتهم وأخلاقهم ، فدونوها في كتب التاريخ والسير والآداب ، وقد وصلت إلينا هذه الأخبار مختلطة غامضة ، لذلك كانت الأحداث والوقائع ، ترد بصور متعددة ، وبأشكال مختلفة ، لكنها بالحقيقة تعود الى جوهر ، يكاد يكون واحداً تقريباً؛ وكان هذا الإختلاف ، والإختلاط والإلتباس ، عائداً إلى اختلاف الكتابات العربية ، التي كانت تتخذ أشكالاً مختلفة ، أو إلى تناقل الأخبار العربية أجيالاً، على السنة الرواة ، بغير تدوين أو ضبط، فتتعرض هذه الروايات، الى التحريف والتغيير ، كما أن سبباً آخر كان من أسباب هذا الإختلاف ، هو نسبة الحادثة الى غير صاحبها ، فإذا اشتهر رجل بمنقبة ، نسبوا إليه جميع ما ينضوي تحت لواء تلك المنقبة، أو عرف عن انسان فضيلة،

١ ـ الطبري : ابن جرير ـ تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٣٢ / علي : جواد ـ تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٨ ص ١٩٦.

نسبوا إليه كل ما ينطوي تحت تلك الفضيلة. فالقائد العظيم ينسبون إليه براعة فنون الخطط العسكرية، وتنظيم الجيوش والكتائب أوالألوية، والفاتح المعروف، يلصقون به كل فتح عظيم. ويروون عن الحكيم كل حكمة رائعة أو قول مأثور.

ومن الأسباب الأخرى، التي كان لها أثر الاختلاف، مزج الدين بالتاريخ؛ لذلك نرى أن ما يروونه عن القدماء، ما هو إلا تنبيه الى زوال الدنيا، وإرهاب من العقاب، وإبراز لفضيلة التقوى؛ لذا كان للمبالغات أثر واضح، ومقام بيِّن في أخبار العرب. ورغم كل ذلك، لم يكن هذا الخلط والتناقض، يخلو من حقيقة تاريخية، لا تخفى على الباحث الناقد، والمؤرخ البصير، فيعمد الى تجريدها من شبهاتها، وتعريتها من شوائبها، ومن ثم تدوينها بشكل أو بآخر، حيث تصل الى القاريء متناسبة مع مفهوم العصر.

وما وصل الينا من أخبار العرب، وأشعارهم وآدابهم وعاداتهم في تاريخ الجاهلية، ليس إلا فصول في مقدمات كتب التاريخ العامة، ونتف متفرقة، يجتمع منها تاريخ ناقص؛ علماً بأن للعرب آثاراً، لو أتيح كشفها ودرسها، لانجلت للناشئة بأبهى الصور وأحسنها.

ولقد أجمع المؤرخون والكتاب والمفكرون في هذا العصر، على أن العرب قوم ساميون ـ نسبة الى سام بن نوح ـ سكنوا شبه جزيرة العرب ويرجع نسبهم الى يعرب بن

قحطان ؛ وهم قسمان : بدو وحضر . فالبدو منهم هم سكان البادية ، الذين تتوفر لديهم الأبدان القوية ، وتربى نفوسهم على الاستقلال والحرية ، والحضر هم سكان المدن ، الذين يركنون الى الراحة ، وينغمسون في الملذات ، ويعيشون في رخاء وترف . لذلك كان أهل الحضارة أو المدن يستعينون بأهل البداوة أو الجبال ، فيما يحتاج الى جهد في مقومات حياتهم ومعيشتهم ؛ ومن ذلك أنهم كانوا يرضعون أطفالهم في البادية كي يشبوا أقوياء أشداء ؛ لذا كان أهل البادية مصدر الغذاء للمدن ، يحيون أهلها بالنزول بينهم والتزوج منهم ، فيربون لهم الماشية والسائمة[1] لغذائهم وركوبهم .

وهنا لا بد من الاشارة ، الى أنه لا يمكننا الاستطراد في الكلام ، بل أصبح لزاماً علينا أن نسير بخط يمكن لنا معه ، من تصوير حالة العرب ، ومن إعطاء فكرة واضحة عما كان لهم ، من معتقدات وعادات وتقاليد، وصفات تحدد هويتهم الإجتماعية ، وتصنفهم بين الأمم والقبائل والشعوب .

فقد ذكر الرواة أن إسماعيل بن ابراهيم (ع)، أول من نطق بالعربية ، وعمر بيت الله الحرام بعد أبيه إبراهيم، وأول من ركب الخيل ؛ حيث كانت قبل ذلك وحوشاً لم تركب .

---

١ ـ السائمة والسوام ج سوائم : الماشية والإبل الراعية .

ثم كان عدنان بن معد، أشرف ولد اسماعيل، أول من وضع الأنصاب وكسا الكعبة، وكان أبوه معد، أول من وضع رحلاً على جمل وناقة، وأول من زمّها بالنِّسع[1].

ثم كان قصي بن كلاب، أوَّل من أعزَّ قريشاً، وظهر به فخرها، فحماها وأسكنها مكة، وكانت قبل متفرقة الدار، قليلة العِّز، ذليلة البقاع، حتى جمع الله إلفتها، وأكرم دارها، وأعز مثواها؛ ولما حاز قصي شرف مكة كلها، وقسمها بين قريش، هدم البيت ثم بناه بنياناً لم يبنه، أحد، وكان طول جدرانه تسع أذرع، فجعله ثماني عشرة ذراعاً، وبني دار الندوة[2]، وكان لا ينكح رجل من قريش، ولا يتشاورون في أمر، ولا يعقدون لواءً بالحرب، إلا في دار الندوة، وكانت قريش في حياته وبعد وفاته، يرون أمره كالدين المتبع.

ثم انتقلب الرياسة بعده، الى حفيده هاشم بن عبد مناف، الذي جلَّ أمره، فولته قريش الرياسة والسقاية

---

١ ـ النسِّع: حبل غريض طويل تشد به الرحال، والقطعة من «النِّسعة».

٢ ـ الندوة والنادي والمنتدى والنّدي: مجلس القوم الذي يجتمع فيه الملأ لتصريف شؤون البلاد، أو شؤون القوم.

والرفادة[1]، فكان إذا حضر الحج ، قام في الناس خطيباً، فقال : يا معشر قريش، إنكم جيران الله وأهل بيته الحرام ، وأنه يأتيكم في هذا الموسم زوار الله ، يعظمون حرمة بيته ، فهم أضياف الله، وأحق الضيف بالكرامة ضيفه ، وقد خيركم الله بذلك وأكرمكم به ، ثم حفظ منكم أفضل ما حفظ جار من جاره ، فأكرموا ضيفه وزواره ، فانهم يأتون شعثاً[2] غبراً ، من كل بلد، على ضوامر كالقداح[3] ، وقد أعيوا وتفِلوا[4] وقملوا وأرملوا[5]، فاقروهم واغنوهم .

---

١ ـ الرفادة : شيء كانت قريش تترافد به في الجاهلية ، فيخرج كل إنسان مالاً بقدر طاقته ، فيجمعون من ذلك مالاً عظيماً ايام الموسم ، فيشترون به للحاج الجزر والطعام والزبيب للنبيذ ، فلا يزالون يطعمون الناس حتى تنقضي أيام موسم الحج ؛ وكانت الرفادة والسقاية لبني هاشم ،والسدانة واللواء لبني عبد الدار ، وكان أول من قام بالرفادة، هاشم بن عبد مناف وسمي هاشماً لهشمه الثريد. والترفيد : التسويد. يقال : رفّد فلان ، أي سُوِّد وعُظِّم . ورفّد القوم فلاناً : سودوه وملكوه أمرهم.

٢ ـ شَعِث الشعر : كان مغبراً متلبداً .

٣ ـ قدَّح الفرس: ضمَّره . والقِداح : السهام قبل ان تنصل وتراش .

٤ ـ تفل الرجل : أنتن ريحه لترك الطيب والادّهان فهو تفِل .

فكانت قريش ترافد على ذلك.

وكان هاشم يخرج مالاً كثيراً، ويأمر بحياض من أدم، فتجعل في موضع زمزم، ثم يسقي فيها من الآبار التي بمكة، فيشرب منها الحجيج، وكان يطعمهم بمكة ومنى وعرفة، وكان يثرد[1] لهم اللحم والسمن والسويق، ويحمل لهم المياه، حتى يتفرق الناس الى بلادهم. وكان أول من سن الرحلتين: رحلة الشتاء إلى الشام ورحلة الصيف الى الحبشة، فيخرج بتجارات عظيمة، فيمر بأشراف العرب، حاملاً لهم التجارات. ثم انتقل المجد بعده الى عبد المطلب، الذي أقرت له قريش بالفضل.

وكانت قريش وعامة ولد معد بن عدنان على دين ابراهيم (ع)، يحجون البيت، ويقيمون المناسك، ويقرون الضيف، ويعظمون الأشهر الحرم، وينكرون الفواحش والتقاطع والتظالم، ويعاقبون على الجرائم والجنايات.

وكانت عامة العرب في أديانهم على صفتين: الحمس والحلة، فأما الحمس، وهم المتشددون في الدين، وكانوا جماعات من قريش وكنانة والأوس والخزرج وبني

---

٥ ـ أرمل القوم: نفد زادهم.

١ ـ ثرد: اعد الثريد أو الثريدة. والثريد والثريدة: طعام من خبز تفته وتبله بالمرق.

تقيفوغطفان ؛ فكانوا اذا نسكوا لم يسلأوا سمناً[1]، ولم يدخروا لبنا ، ولم يحولوا بين مرضعة ورضاعها حتى يعافه، ولم يجزوا شعراً ولا ظفراً ، ولم يدهنوا ولم يمسوا النساء ولا الطيب ، ولم يأكلوا لحماً، ولم يلبسوا وبراً ولا صوفاً ولا شعراً ، ويلبسون جديداً ، ويطوفون بالبيت في نعالهم ، لا يطأون أرض المسجد تعظيماً له ، ولا يدخلون البيوت من أبوابها[2]. وكان سلوك الحلة ، وهم القبائل الاخرى، ! ردة فعل لنفرة هؤلاء الأفراد والجماعات من سلوك الحُمْس في الدين والمجتمع والصلات الشخصية . ثم دخل قوم من العرب في دين اليهود ، ودخل آخرون في النصرانية ، وتزندق منهم قوم آخرون .

كما كان للعرب حكام يرجعون إليهم في أمورهم ،

---

١ ـ نسكوا : أحرموا للحج . يسلأوا: يستخرجون السمن من دهن الانعام وشحمها.

٢ ـ ومن غريب أفعالهم أنهم إذا أحرموا للحج لا يدخلون بيوتهم من أبوابها المعهودة، بل من منافذها الخلفية. فقرّعهم الله تعالى على فعلهم : ﴿يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ سورة البقرة ـ آية ١٨٩ ـ

ويتحاكمون في منافراتهم ومواريثهم ومياههم ودمائهم ، حيث لم يكن دين يُرجع الى شرائعه ، فكانوا يحكِّمون أهل الشرف والصدق والأمانة ، والسن والرئاسة ، والمجد والتجربة .

وكانت العرب تستقسم بالأزلام في كل أمورها، وهي القداح ، ولا يكون لها سفر ولا مقام ، ولا نكاح ولا معرفة حال ، إلا رجعت الى القداح ؛ وكانت القداح سبعة : فواحد عليه : الله عز وجل ؛ والآخر : لكم ؛ والآخر : عليكم ؛ والآخر : نعم ، والآخر : فيكم ؛ والآخر: من غيركم ؛ والآخر الوعد . فكانوا إذا أرادوا أمراً ، رجعوا الى القداح ، فضربوا بها، ثم عملوا بما يخرج منها لا يتعدونه ؛ ولا يجوزونه .

وكانت العرب تقيم الشعر مقام الحكمة وكثير العلم ، فإذا كان في القبيلة الشاعر الماهر ، المصيب المعاني ، المخير الكلام ، أحضروه في اسواقهم التي كانت تقوم لهم في المواسم . فكانوا يختصمون في الشعر ، وبه يتمثلون ، وبه يتقاسمون ، وبه يتناضلون ، وبه يمدحون ويعابون .

وكان للعرب أسواق كثيرة، مفرقة في الحجاز ونجد، وموزعة في السنة كلها، وأشهرها سوق عكاظ، التي كانت تقام في مكان بين نخلة والطائف وذي المجاز، مدة عشرين يوماً، تبدأ في أول ذي القعدة من كل سنة، يجتمع فيه جمع غفيرٍ من أشراف العرب، يتبايعون وينشدون الشعر[١].

وكان الرجل عماد الأسرة، وربها وصاحب نسبها.

وكانت القبيلة أساس المجتمع العربي، تجمعها العصبية ويترأسها شيخها، الذي يصبح قائدها في الحرب ولسانها في السلم؛ له القول الصائب، والنظر الثاقب، والعقل الراجح، حيث يلزم الظالم بنصفة المظلوم.

ويمكننا استنتاجاً مما استعرضناه، وعلى ضوء ما بيناه في

---

١ ـ ومن أسواق العرب الأخرى دومة الجندل، في أول يوم من ربيع الأول، وسوق هجر في البحرين في ربيع الآخر، وسوق عمان باليمن في أواخر جمادي أول، وسوق المشقَّرأول جمادي الثاني، وسوق ضمار في العاشر من رجب وسوق عدن في رمضان، وسوق صنعاء من نصف رمضان الى آخره، وسوق حضر موت في الثاني من ذي القعدة. وسوق ذي المجاز بناحية عرفه وسوق الجنة قرب مكة أيام الحج، وسوق حباسة في رجب.

صدر هذه المقدمة ، انه نعتبر الكتاب ، مجموعة أخبار عربية فريدة ، اخترتها وعرضتها بأمانة وصدق وإخلاص ، وحرصت على ان تكون صورة صادقة لحالة من حالات العرب ، أو مجلساً من مجالسهم ، أو وقفة من مواقفهم فعنيت بتوضيح الصورة ما أمكنني ، بإبراز ما دار فيها من محاورات أو احاديث ، فتوخيت من ذلك العبرة من مضمونها ، والنصح والارشاد للناشئة ، الحبيبة ، حيث يجد القاريء المتعة والفائدة ، وتلك هي الغاية المرتجاة من نشر الكتاب .

والله المستعان في كل الأمور ، وعليه التكلان ، ومنه البداية وإليه النهاية .

المؤلف

أيمان العرب *

عن ابن العباس أحمد بن يحيى قال : من أيمان العرب قولهم :

«لا وقائت نَفَسي القصير»[1]. القائت :

وتقول العرب : «لا والذي لا أتقيه إلا بمَقْلَتَةٍ»[2]

وتقول: «لا والذي لا أتقيه إلا بمقْتله»[3].

ومن أيمانهم : «لا ومُقَطِّع القطر»

---

* القالي : أبو علي ـ ذيل الأمالي ص ٥٠

١ ـ القائت : من القوت، يعْطيه قليلاً قليلاً.

٢ ـ أي الموت في عنقي، فكل شيء حتف، من القَلَت: أي الموت

٣ ـ أي كل شيء مني مَقْتَل، من حيث شاء قتلني.

«لا وفالق الأصباح»

«لا ومُهبِّ الريح»

«لا ومنشر الأرواح»

«لا والذي مسحت أيمَنَ كعبته»

«لا والذي جلَّد الإبل جلودها»

«لا والذي شق الجبال للسيل والرجال للخيل»

«لا والذي شَقَّهُن خمساً من واحدة»[1]

«لا والذي وجهي زَمَمَ بيته»[2]

«لا والذي هو أقرب إلى حبل الوريد»

«لا والذي يَقُوتُني نَفَسي»

«لا وباريء الخلق»

«لا والذي يراني من حيث ما نظر»

«لا والذي نادى الحجيجُ له»

«لا والذي رقصن ببطحائه»

«لا والرقصات ببطن جَمْع»

---

١ ـ يعنون الأصابع.

٢ ـ الزمم: المقابلة.

«لا والذي أمُدُّ إليه بيدٍ قصيرة»
«لا والذي يراني ولا أراه»
«لا والذي كل الشعوب تدينه».

أخلاق العرب*

إن أكثر العرب أهل بدو، ولأهل البدو صفات خاصة ، يتمدحون بها ، ويكثرون في شعرهم من ذكرها والتغني بها .

ولعل من خير ما يمثل هذه الصفات ، ما جاء في قول «تأبط شراً» أحد الشعراء الجاهلين :

قليل التشكي للمهم يصيبه
كثير الهوى شتى النوى والمسالك
يظل بموماة [1] ويمسي بغيرها
جحيشاً ويعروري ظهور المهالك[2]
ويسبق وفد الريح من حيث تنتحي
بمنخرق من شدَّة المتدارك

* الهاشمي : السيد أحمد ـ جواهر الأدب ج ٢ ص ٧
١ ـ الموماة: المفازة التي لا ماء فيها
٢ ـ جحيشاً : وحيداً ؛ ويعروري ظهور المهالك : يركبها .

إذا جاء عينيه كرى النوم لم يزل
له كالىء من قلب شيحان فاتك
ويجعل عينيه ربيئة قلبه
الى سلة من حد أخلق صائك
إذا هزّه في عظم قرن تهللت
نواجذ افواه المنايا الضواحك
يرى الوحشة الأنس ويهتدي
بحيث اهتدى ام النجوم الشوائك

يمدح الشاعر ابن عم له ، فيصفه بانه قليل الشكوى من الهم ينزل به ، بعيد الهمة واسع الامل ، يسير وحيداً لا يهاب ويركب المهالك ولا يخشى مواجهتها، عداء يسبق الريح السريعة ، إن نام فإنما تنام عينه ولا ينام قلبه ، وإن صحا كانت عينه ديدن[1] قلبه ، وله سيف صارم ، إن أصاب به قرناً استقبلته المنايا متهللة ، لا يخشى الوحدة بل يأنس بها، ويعرف مسالك الصحراء فلا يضل في سيره كما

---

١ ـ الدين : العادة والشأن . تقول العرب : مازال ذلك ديني وديدني، أي عادتي (لسان العرب مادة دين)

لا تضل الشمس، وهذه الصفات هي المثل الأعلى للبدوي لا للحضري.

وقد تمدح العرب بالمروءة ، وأكثروا من ذكرها ، وهو لفظ يجمع قانون الشرف ، عماده الشجاعة والكرم والوفاء ، وأكثر ما تتجلى فيه الشجاعة عندهم ، النزال والقتال والدفاع ، عن الأهل والقبيلة ، ونجده المستصرخ ؛ وأكثر ما يتجلى فيه الكرم ، إيقاد النيران ونحر الجزور، واضافة اللاجيء.

فأما الشجاعة فيمثلها في نظرهم ، قول عمرو بن معد يكرب : (١)

لما رأيت نساءنا ... يفحصن بالمعزاء شدّا (٢)
وبدت «لميسُ» كأنها ... بدر السما إذا تبدّى

---

١ ـ عمرو بن معد يكرب : خطيب شاعر، وفارس قاهر، وصحابي جليل، شهد حربي اليرموك والقادسية، وأبلى فيهما البلاء الحسن، على كبرسنه وضعف جسمه.

٢ ـ المعزاء: الأرض الصلبة ذات الحجارة. وذلك أنهم يؤثرون في الأرض الصلبة لشدة عدوهن.

وبــدت محاســنهــا التي ... تخفي وكان الأمر جـدا
نــازلت كبشهــم[1] ولم ... أرى من نزال الكبش بدّا
هم ينـذرون دمي وأنـ ... ـذر إن لقيت بأن اشدَّا
كم من أخٍ لي صـالحٍ ... بـوأتـه[2] بيــدي لحـدا
ما إن جَزِعتُ ولا هلِـ ... ـتُ ولا يُردُّ بكاي زندا
ألبستــه أثــوابــه وخلقـ ... ـتُ يــوم خلِقتُ جلدا
أغـني غنــاء الــذاهـبـ ... ـين أعدُّ للاعـداء عدّا
ذهــب الــذين أحبّـهم ... وبقيت مثل السيف فردا

وأما الكرم ، فمن خير ما يمثله في نظرهم قول عتبة بن بجير:

فقالوا غـريب طارق طـوحت به[3]
متون الفيافي والخـطوب الطوائـح[4]

---

١ - كبش القبيلة : رئيسها.
٢ - بوأته : أسكنته.
٣ - طوَّح به : حمله على ركوب المهالك. يقال: طوَّحت به طوائح الزمن » أي رمت به حوادثه وقذفته قواذفه.
٤ - الخطوب الطوائح : أي المصائب المهلكة. طوح به : حمله على ركوب المهالك.

فقمت ولم أجثم مكاني ولم تقم
مع النفس علات البخيل الفواضح
وناديت شبلاً فاستجاب وربما
ضمنا قِرى عشر لمن لا نصافح[1]
فقام أبو ضيف كريم كأنه
وقد حد من فرط الفكاهة مازحُ[2]
الى جذم مال قد نهكنا سوامه
وأعرضنا فيه بواق صحائح[3]
جعلناه دون الذم حتى كأنه
إذا عدَّ مال المكثرين المنائح[4]
لنا حمدُ أرباب المئين ولا يُرى
الى بيتنا مال مع الليل رائح[5]

---

١ ـ شبل: اسم ابنه. قرى عشر: اي ضيافة عشر ليال لمن ليس بيننا وبينه مصادقة توجب مصافحته.

٢ ـ ابو ضيف: يعني نفسه.

٣ ـ جذم المال: أصل المال، ويعني هنا النوق جمع ناقة.

٤ ـ المنائح ج منيحة: وهي الناقة أو الشاة تدفع الى الجار لينتفع بلبنها ما دام فيها لبن.

٥ ـ المقصود بمجمل البيت هنا: أن مالنا قليل، فإبلنا باركة

لقد أحبو كثيراً ، وشربوا الخمر ، ولعبو الميسر ، وشغفوا بالصيد ، وطربوا للغناء، وتاقوا الى السمر . وكان هذا كله مادة لشعرهم وأدبهم .

بفناء الدار انتظاراً للضيف وهي ليست كثير حتى تصير سارحة ورائحة؛ ومع ذلك لنا من الحمد والثناء مثل ما للمكثرين أصحاب المئين.

علة سكنى البدو*

رأت العرب ان جولان[1] الأرض، وتخير بقاعها على الأيام، أشبه بأولى العز، وأليق بذوي الأنفة.

وقالوا: لأن نكون محكمين في الأرض، ونسكن حيث نشاء أصلح من غير ذلك، فاختاروا سكنى البدو، من أجل ذلك.

وذكر آخرون ان القدماء من العرب، لما ركبهم الله من سمو الأخطار، ونبل الهمم والأقدار، وشدة الانفة والحمية من المعرَّة، والهرب من العار، بدأت بالتفكير في المنازل، والتقدير للمواطن، فتأملوا شأن المدن والأبنية، فوجدوا فيها معرَّة ونقصاً، وقال ذوو المعرفة والتمييز منهم: إن الأرضين تمرض كما تمرض الأجسام، وتلحقها الآفات. والواجب تخير المواضع بحسب أحوالها من الصلاح. إذ الهواء ربما قوي

* المسعودي - مروج الذهب ج ٢ ص ١١٩

١ - جال جولانا في المكان: طاف ودار.

فأضر بأجسام سكانه ، وأحال أمزجة قطّانه . وقال ذوو الآراء منهم: إنَّ الأبنية والتحويط، حصر عن التصرف في الأرض ، ومَقْطعة عن الجَوَلان وتقييد للهمم ، وحبس لما في الغرائز ، من المسابقة الى الشرف ، ولا خير في اللبث على هذه الحالة .

وزعموا ايضاً ان الأبنية والأظلال، تحصر الغذاء وتمنع انفساح الهواء، وتسد سروحه عن المرور، وقذاه عن السلوك، فسكنوا البر **الأفيح**[1] ، الذي لا يخافون فيه، من حصر ومنازلة ضر، هذا مع ارتفاع **الأقذاء**[2]، وسماحة الأهواء، وعدم الوباء، ومع تهذيب الأحلام في هذه المواطن، ونقاء القرائح في التنقل في المساكن، مع صحة الأمزجة، وقوة الفطنة ، وصفاء الألوان ، وصيانة الأجسام . فإن العقول والآراء تتولد من حيث تولد الهواء، وطبع الهواء الفضاء ، وفي هذا الأمن من العاهات والأسقام ، والعلل والآلام ؛ فآثرت العرب سكنى البوادي ،

١ ـ الفَيْح والفَيَح: السعة . والأفيح: ذو الفيح، الواسع .
٢ ـ الأقذاء م القذى: التراب المدقق .

والحلول في البيداء، فهم أقوى الناس هماً، وأشدهم أحلاماً، وأصحهم أجساماً، وأعزهم جاراً، وأحماهم ذماراً[1]، وأفضلهم جواراً، وأجودهم فطناً، لما أكبهم إياه صفاء الجو ونقاء الفضاء؛ لأن الأبدان تحتوي أجزاؤها على متكاثف الأكدار، وعناء الأقذار، مما يرتفع إليه، ويتلاطم في عرصاته[2] وأفقه، من جميع المستحيلات، والمستنقعات من المياه، ففي أكنافه جميع ما يتصعد إليه، ولذلك تراكبت الأقذاء والأدواء والعاهات في أهل المدن، وتركبت في أجسامهم، وتضاعفت في اشعارهم وأبصارهم، ففضلت العرب على سائر من عداها، من بوادي الأمم المتفرقة، لما ذكرنا من تخيرها الأماكن، وارتيادها المواطن.

---

١ ـ الذمار كل ما يلزمك حمايته والدفاع عنه وإن ضيعته لزمك اللؤم/ الحرم/ الأهل. يقال: «هو حامي الذمار» إذا حمى ما لو لم يحمه ليم وعُنِّف؛ قيل: سمى ذماراً لانه يجب على أهله التذمر له أي التغضّب له.

٢ ـ العرصة ج عِرَاص وأعراص وعَرَصَات: ساحة الدار، وسميت بذلك لاعتراص الصبيان فيها/ كل بقعة ليس فيها بناء..

خصال الخير*

كتب الحسن بن سهل الى محمد بن سماعة القاضي:

أما بعد ، فإني احتجت لبعض أموري ، الى رجل جامع لخصال الخير، ذي عفة ونزاهة طُعْمةٍ[1]، قد هذبته الآداب، وأحكمته التجارب؛ ليس بظنين في رأيه ، ولا بمطعون في حسبه ؛ إن اؤتُمن على الاسرار قام بها، وإن قلِّد مهماً من الأمور أجزأ فيه ، له سِنٌّ مع أدب ولسان ، تُقعده الرزانة ويسكّنه الحلم ، قد فُرَّ عن ذكاءٍ وفطنة ، وعضّ على قارحة[2] من الكمال ؛ تكفيه اللحظة، وترشده السكتة؛ قد أبصر خدمة الملوك وأحكمها، وقام في

* القالي : أبو علي ـ الامالي ج ١ ص ٢٤٩ .
١ ـ الطُّعمة: المأكلة/ الدعوة الى الطعام/ الرزق.
٢ ـ القارح والقارحة: من شق نابه وطلع. ويقصد هنا بلوغ سن الكمال.

أمورهم فحمْد فيها ، له أناة الوزراء ، وصولة الأمراء، وتواضع العلماء ، وفهم الفقهاء ، وجواب الحكماء، لا يبيع نصيب يومه بحرمان غده ، يكاد يسترق قلوب الرجال ، بحلاوة لسانه وحسن بيانه؛ دلائل الفضل عليه لائحة ، وامارات العلم له شاهدة؛ مضطلعاً بما استُنهض، مستقِلّاً بما حمِّل ؛ وقد آثرتك بطلبه ، وحبوتك بارتياده؛ ثِقَةً بفضل اختيارك ، ومعرفة بحسن تأتِّيك .

فكتب إليه: إني عازم أن أرغب الى الله جلَّ وعزّ حولاً كاملاً في ارتياد هذه الصفة، وأفرق الرسل الثقات في الآفاق لالتماسه ؛ وأرجو ان يمن الله لك والسلام.

تاريخ العرب*

ليس تاريخ الأمة العربية قبل الاسلام معروفاً محققاً، لأن اكثر الأمة كانوا أهل بدو، لم تمكنهم بداوتهم من أن يدونوا تاريخهم ، أو ينقشوا حوادثهم حتى أن الذين تحضروا منهم ، كاليمانيين والحميريين ، لم يعثر الباحثون إلا على القليل من نقوشهم وآثارهم ، وإنما يعتمد الذين يؤرخون للعرب قبل الاسلام، على هذا القليل من الآثار ، وعلى ما كتبه اهل عصرهم من الأمم الأخرى ، كاليونان والرومان ، والمصريين، والعبريين ، والحبشيين ، وعلى ما يستنبطونه من بعض نصوص أدبية .

ولنقصر الآن كلامنا على حالة العرب قبيل الإسلام، فإن اللغة العربية التي نعني بآدابها وتاريخها ، إنما عرفت في هذا العصر.

هذا العصر سماه القرآن الكريم (الجاهلية)

---

* الهاشمي : السيد أحمد - جواهر الأدب ج٢ ص٦

ونسبنا إليه فقلنا : العصر الجاهلي ، والأدب الجاهلي ، وقد يكون اشتقاق هذا الاسم من الجهل ، وهو ضد العلم، لما كان يغلب فيه من السفه والفخر والأنساب ، والإمعان في سفك الدماء، والعصبية الحادة، ونحو ذلك مما كرهه الإسلام ونفر منه ، وقد نقل إلينا كثير ، مما يدل على حالة هذا العصر ، الاجتماعية والسياسية ، من شعر وأمثال وقصص .

ولكنها كلها لم تدون في الكتب ، إلا في القرن الثاني والثالث للهجرة ، فكان بعضها مثاراً لنقد الناقدين ، وأخذ العلماء والأدباء ، من قديم يمحصونها ، ويصححون بعضاً ويكذبون بعضاً ، ولكن بجانب ذلك ، ورد كثير من آيات القرآن الكريم ، وصحيح الحديث ، يروي لنا الشيء الكثير ، عن هذه الحياة الجاهلية ، ويكشف لنا من غموضها .

يدلنا ما صح من تاريخهم على أنه قد أنشيء ، على تخوم جزيرة العرب الشمالية إمارتان كبيرتان : إمارة الحيرة في العراق بجوار الفرس ، وإمارة الغساسنة في الشام بجوار الرومان ، وكان يحكم

هـاتين الامـارتين ، امـراء من العرب، يتبعـون في نظامهم ، نظام الدول المجاورة لهم . فامارة الحيرة تتبـع في كثير من شؤونها، نـظام الفـرس، وامـارة الغساسنة تتبع في كثير من شؤونها ، نظام الرومان .

وكان سكان هاتين الامارتين ، وسكان اليمن في الجنـوب ، يعيشـون عيشـة حضـارة، يـزرعـون ويصنعون ، وكثير من سادتهم مترفون ، وقد روي لنا الكثير عن ترف أمـراء الغساسنـة في الشام، وعن حضـارة الحيـريـين ، ومـا كـان لهم من خَـوَرْنَق وسدير[1] .

أما داخل الجزيرة والحجاز، إذا أنت استثنيت بعض سكـان المـدن المشهـورة ، كمكـة ويثـرب

---

١ ـ الخورنق: المجلس الذي يأكل فيه الملك ويشرب (فارسي معرَّب). والسدير: بناء وهو بالفارسية (سِهْدِلِيّ) أي ثلاث شعب، أو ثلاث مداخلات. وقال الأصمعي: السدير فارسية كأنَّ أصله سادلُ أي قبة في ثلاث قباب متداخلة ، وهي التي تسميها الناس اليوم سِدِلِيّ، فأعربته العرب فقالوا: سَدِير.

والطائف ، فكانوا أهل بدو ، يحتقرون الزراعة والصناعة والتجارة ، ويعتمدون في معيشتهم على الإبل ، ويوغلون بها في الصحراء ، ويتطلبون منابت العشب ، ومراعي الشجر ، ومواد البناء، ويأكلون مما تخرجه الأنعام .

العرب أبعد الناس عن الصنائع*

والسبب في ذلك أنهم أعرق في البدو، وأبعد عن العمران الحضري ، وما يدعو إليه من الصنائع وغيرها ، والعجم من أهل المشرق وأمم النصرانية عدة البحر الرومي ، أقوم الناس عليها ، لأنهم أعرق في العمران الحضري ، وأبعد عن البدو وعمرانه، حتى أن الإبل التي أدانت العرب على التوحش في القفر ، والإعراق في البدو مفقودة لديهم بالجملة ، ومفقودة مراعيها والرمال المهيئة لنتاجها، ولهذا نجد أوطان العرب وما ملكوه في الإسلام، قليل الصائع بالجملة ، حتى تجلب إليه من قطر آخر ، وانظر بلاد العجم من الصين والهند وأرض الترك وأمم النصرانية ، كيف استكثرت فيهم الصنائع ، واستجلبها الأمم من عندهم ، وعجم المغرب من البربر مثل العرب في ذلك لرسوخهم في البداوة ، منذ

* ابن خلدون ـ المقدمة ص ٤٠٤

أحقاب من السنين ، ويشهد لك بذلك ، قلة الامصار بقطرهم .

فالصنائع بالمغرب لذلك قليلة ، وغير مستحكمة الأماكن ، من صناعة الصوف من نسجه ، والجلد في خَرْزه[1] ودبغه ؛ فإنهم لما استحضروا بلغوا فيها المبالغ لعموم البلوى بها ، وكون هذين أغلب السلع في قطرهم ، لما هم عليه من حال البداوة ، وأما المشرق فقد رسخت الصنائع فيه ، منذ ملك الأمم الاقدمين ، من الفرس والنبط والقبط ، وبني اسرائيل ويونان والروم ، أحقاباً متطاولة ، فرسخت فيهم احوال الحضارة، ومن جملتها الصنائع، فلم يمح رسمها .

وأما اليمن والبحران وعُمان والجزيرة ، وإن ملكه العرب ، إلا أنهم تداولوا ملكه آلاف من السنين ، في أممٍ كثيرين منهم ، واختطوا أمصاره ومدنه ، وبلغوا الغاية من الحضارة ، والترف ، مثل عاد وثمود، والعمالقة وحمير من بعدهم ، والتتابعة

---

١ ـ خرز الجلد : ثقبه بالمخرز وخاطه .

والأذواء ، فطال أمد الملك والحضارة ، واستحكمت صبغتها وتوفرت الصنائع ورسخت ، فلم تبلَ ببلى الدولة ، فبقيت مستجدة حتى الآن، واختصت بدلك الوطن، كصناعة الوشي والعصب، وما يستجاد من حول الثياب والحرير فيها.

والله وارث الأرض ومن عليها ، وهو خير الوارثين .

التعزية عند العرب*

مات أخ لذي رعين ، فعزاه بعض أهل اليمن فقال : إن الخلق للخالق ، والشكر للمنعم ، والتسليم للقادر، ولا بد مما هو كائن، وقد حلَّ مالا يدفع، ولا سبيل الى رجوع ما قد فات ، وقد أقام معك ، ما سيذهب عنك وستتركه ، فما الجزع مما لا بد منه ، وما الطمع فيما لا يُرجى، وما الحيلة فيما سيُنقل عنك أو تُنقل عنه ، وقد مضت لنا أصول نحن فروعها ، فما بقاء الفرع بعد الأصل ! فأفضل الاشياء عند المصائب الصبر، وانما أهل الدنيا سفرٌ (١)، لا يَحلُّون عن الرِّكاب إلا في غيرها ، فما أحسن الشكر عند النعم ، والتسليم عند الغِيَر! فاعتبر بمن قد رأيت من أهل الجزع ، هل رَدَّ أحداً

* القالي : أبو علي - الأمالي ج ٢ ص ٩٨ / إبن عبد ربه - العقد الفريد ج ٣ ص ١٦٢

١ - السفر : يقال : «رجل سفر» أي مسافر؛ و«قوم سفر» أي مسافرون؛ و«ناقة سفر» أي مسافرة.

منهم الى ثقة من دَرْك[1]؟ واعلم ان أعظم من المصيبة سوء الخَلَف، فأفِقْ والمرجِع قريب ، واعلم انما ابتلاك المنعم ، وأخذ منك المعطي ، وما ترك أكثر ، فإن نسيت الصبر، فلا تغفل عن الشكر.

وعزّى رجل من العرب رجلاً على أخيه فقال : محبوبٌ فائت، وغُنْم[2] عارض، إن ضَيَّعته فات أيضاً وبقيتَ حسيراً ، أمَّا أخوك فلا أخوك ، فلا يذهب بك جزعُك فتَحُطَّ سؤددك ، وتقلَّ ثقة عشيرتك باضطلاعك بالأمور، وفي كثرة الأسى عزاءٌ عن المصائب .

نشأ لسلامة ذي فائشٍ ابن كأكمل أبناء المقاول[3]، وكان به مسروراً ، يرشحه لموضعه ، فركب ذات يومٍ فرساً صعباً فكبابه فوقصه[4]؛

١ ـ الدَّرْك : أقصى قعر الشيء. يقال : «بلغ الغواص دَرَك البحر» أي أقصى قعره .

٢ ـ استغنم الشيء: عده غنيمة. والغنيمة: ما يؤخذ من المحاربين عنوة/ المكسب عموماً.

٣ ـ المقاول والأقيال : دون الملوك العظماء.

٤ ـ وقصه : كسره.

فجزع عليه ابوه جزعاً شديداً وامتنع من الـط
واحتجب عن الناس، واجتمعت وفود العرب ب
ليعزوه ، فلامه نصحاؤه في إفراط جزعه ، فخرج
الناس فقام خطباؤهم يُؤسونه[1]، وكان في الذ
الملبب بن عوف بن سلمه الجعفي . . . وجعادة
أفلح بن الحارث. فقال الملبب فقال : أيها الملك ،
الدنيا تجود لتسلُب ، وتُعطي لتأخذ، وتجمع لتشتت
وتُحلي لِتُمِر، وتزرع الأحزان في القلوب ، بما تفجأ
من استرداد الموهوب ، وكل مصيبة تخطّأتك جلل
ما لم تُدِن الأجل، وتقطع الأمل ؛ وإن حادثاً
بك ، فاستبدَّ بأقلك ، وصفح عن أكثرك ، لمن أ
النعم عليك ! وقد تناهت اليك ، من رزيء فصب
وأصيب فاغتفَرَ ، إذ كان شوىً فيما يُرتقب ويُحذر
فاستشعر اليأس فيما فات ، إذا كان ارتجاعه ممتنعاً
ومرامه مُستصعباً ، فلشيءٍ ما ضُرِبت الأُسى ، وف
أولو الألباب، الى حسن العزاء.

وقام جعادة فقال : أيها الملك ، لا تُشعر قلب

---

١ ـ يؤسونه : يعزونه . وأصله ان يقال : لك أسوة بفا
وفلان .

الجزع على ما فات ، فيغفل ذهنك عن الإستعداد لما يأتي ، وناضل عوارض الحزن ، بالأنفة عن مضاهاة أفعال وَهْيِ العقول ، فإن العزاء لِحُزماء الرجال ، والجزع لربات الحجال ؛ ولو كان الجزع يردُّ فائتاً ، أو يُحيي تالفا ، لكان فعلاً دنيئاً ، فكيف به وهو مجانب لأخلاق ذوي الألباب ! فارغب بنفسك أيها الملك عما يتهافت فيه الأرذلون ، وصن قدرك عما يركبه المخسوسون ، وكن على ثقةٍ ، أن طمعك فيما استبدَّت به الأيام ، ضلة كاحلام النيام .

عن عائشة ام المؤمنين (رض) أنها قالت : ما رأيت أحداً من خلق الله أشبه حديثاً وكلاماً برسول الله (ص) من فاطمة (ع)، وكانت إذا دخلت عليه أخذ بيدها فقبلها ورحب بها وأجلسها في مجلسه ؛ وكان اذا دخل عليها قامت إليه ورحبت به وأخذت بيده فقبلتها . فدخلت عليه في مرضه الذي توفي فيه ، فأسرَّ إليها فبكت ، ثم أسرَّ إليها فضحكت . فقلت : كنت أحسب لهذه المرأة فضلاً على النساء، فإذا هي واحدة منهن ؛ بينما هي تبكي ، إذ هي تضحك ! فلما توفي رسول الله (ص) سألتها ؛

فقالت : أسرَّ إليَّ فأخبرني أنَّه ميت فبكيت ، ثم أسرَّ إلي أني أول أهل بيته لحوقاً به فضحكت .

لما توفي ابـراهيم بن محمد بكى (ص) عليـه ، فسئـل عن ذلك فقـال : تدمـع العينـان ، ويحـزن القلب ، ولا نقول ما يسخط الربَّ .

روي عن النبي (ص) أنه كان إذا دخل المقبرة قال : «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون» .

وكان علي بن أبي طالب (ع) إذا دخل المقبرة قال : «السلام عليكم يا أهل الديار الموحشة، والمحال المقفـرة ، من المؤمنين والمؤمنـات؛ اللهـم اعفر لنـا ولهم ، وتجاوز بعفوك عنا وعنهم ، ثم يقول : الحمد لله الذي جعل الأرض كفـاتاً[1] ، أحيـاءً وأمواتـا ، والحمد لله الذي منها خُلقنا وإليها معادنا ، وعليها محشرنا ؛ طوبى لمن ذكر المعاد، وعمل الحسنـات ، وقنع بالكفاف ، ورضي عن الله عز وجلّ .

---

١ ـ الكفات : الموضع يكفت فيه الشيء، أي يضم ويجمع . يقال : «مات كفاتاً» أي فجأة

وقف أعرابي على قبر رسول الله (ص) فقال: قلتَ فقبلنا، وأمرت فحفظنا وبلغت عن ربك فسمعنا، ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً﴾[1] وقد ظلمنا أنفسنا وجئناك فاستغفر لنا. فما بقيت عين إلا سالت.

عن أنس بن مالك، أنه قال: لما فرغنا من دفن رسول الله (ص)، أقبلت عليّ فاطمة (ع) فقالت: يا أنس، كيف طابت أنفسكم ان تحثوا على وجه رسول الله (ص) التراب؟ ثم بكت ونادت: يا أبتاه! أجاب رباً دعاه؛ يا أبتاه! من ربه ما أدناه؛ يا أبتاه! مَن ربُّه ناداه؛ يا أبتاه! الى جبريل ننعاه؛ يا أبتاه! جنة الفردوس مأواه. ؟قال: ثم سكتت فما زادت شيئاً.

وقف علي بن أبي طالب (ع) على قبر خبَّاب فقال: رحم الله خباباً! لقد أسلم راغباً، وجاهد طائعاً، وعاش زاهداً؛ وابتلي في جسمه فصبر، ولن يضيع الله أجر من أحسن عملا.

---

١ ـ سورة النساء الأية ٦٤

لما مات داود **الطائي**[1]، تكلم ابن السماك فقال:
إن داود نظر الى ما بين يديه من آخرته، فأعشى بصرُ القلب بصر العين، فكأن لم ينظر ما إليه تنظرون، وكأنكم لم تنظروا ما إليه ينظر، فأنتم منه تعجبون وهو منكم يعجب، فلما رآكم مفتونين مغرورين، قد اذهلت الدنيا عقولكم، وأماتت بحبها قلوبكم، استوحش منكم، فكنت اذا نظرت إليه حسبته حياً وسط أموات؛ يا داود، ما أعجب شأنك بين أهل زمانك، أهنت نفسك وأنت تريد إكرامها وأتعبتها وانما تريد راحتها، وأخشنت المطعم وإنما تريد طيبه، وأخشنت الملبس وإنما تريد لينه، ثم أمتَّ نفسك قبل ان تموت، وقبرتها قبل أن تقبر، وعذبتها قبل ان تعذب؛ سجنت نفسك في بيتك فلا محدِّث لك، ولا جليس معك، ولا فراش تحتك، ولا ستر عليى بابك، ولا قلة يبرد فيها ماؤك، ولا

---

١ ـ داود الطائي: كوفي زاهد، كان أحد من برع في الفقه ثم اعتزل. كان عديم النظير زهداً وصلاحاً ومن كلامه رحمه الله: صم عن الدنيا، واجعل فطرك الموت، وفر من الناس فرارك من الأسد. توفي سنة ١٦٢ هجرية.

صَحْفَة[1] يكون فيها غذاؤك وعشاؤك؛ يا داود، ما تشتهي من الماء بارده ، ولا من الطعام طيبه ، ولا من اللباس لينه ، بلى ؛ ولكن زهدت فيه لما بين يديك ، فما أصغر ما بذلت ، وما أحقر ما تركت في جنب ما رغبت وأمّلت، فلما متّ شهرك ربك بفضلك ، وألبسك رداء عملك ، فلو رأيت من حضرك ، علمت ان ربك قد أكرمك وشرّفك .

ووقف محمد بن الحنفية ، على قبر الحسين بن علي (ع) فخنقته العبرة ، ثم نطق فقال : يرحمك الله أبا محمد فلئن عزّت حياتك ، فلقد هدّت وفاتك ، ولنعم الروح روح ضمّه بدنك ، ولنعم البدن بدن ضمه كفنك ، وكيف لا يكون كذلك ، وأنت بقية ولد الانبياء ، وسليل الهدى، وخامس أصحاب الكساء، غذتك أكف الحق ، وربيت في حجر الإسلام ، فطبت حياً وطبت ميتاً ، وإن كانت أنفسنا غير طيبة بفراقك ، ولا شاكة في الخيار لك .

---

١ ـ الصحفة ج صحاف: قصعة كبيرة منبسطة تشبع الخمسة.

وقف أبو ذر الهمذاني على قبر ابنه ذرّ ، فقال : يا ذرّ ، شغلني الحزن لك عن الحزن عليك ، فليت شعري ما قلت وما قيل لك ! ثم قال : اللهم إنـي قد وهبت لك إساءته إليّ ، فهب لي إساءته إليك ! فلما انصرف عنه ، التفت الى قبره فقال : يا ذرّ ، قد انصرفنا وتركناك ، ولو أقمنا ما نفعناك !

وقفت أعرابية على قبر أبيها فقالت: يا أبت ، إن في الله تبارك وتعالى من فقدك عوضا، وفي رسول الله(ص) من مصيبتك أسوة ، ثم قالت : اللهم نزل بك عبدك مقفراً من الزاد، مُخشوشن المهاد، غنياً عما في أيدي العباد، فقيراً الى ما في يديك يـا جواد، وأنت أي ربِّ خير من نزل به المؤمِّلون ، واستغني بفضله المقلُّون ، وولج في سعة رحمته المذنبون ؛ اللهم فليكن قِرى عبدك منك رحمتك ، ومهاده جنتك . ثم انصرفت.

قال الشيباني: كانت امرأة من هذيل ، وكان لها عشـرة اخـوة وعشـرة أعمـام ؛ فهلكــوا جميعـاً في الطاعون ؛ وكانت بكراً لم تتزوج ، فخطبها ابن عم لهـا فتزوجهـا ، فلم تلبث ان اشتملت على غـلام

فولدته ، فنبت نباتاً كأنما يُمدُّ بناصيته وبلغ ، فزوجته وأخذت في جهازه، حتى إذا لم يبق إلا البناء أتاه أجله ، فلم تشق لها جيباً ، ولم تدمع لها عين ؛ فلما فرغوا من جهازه دعيت لتوديعه ، فأكبت عليه ساعة ثم رفعت رأسها ونظرت إليه وقالت :

ألا تلك المسرة لا تدوم
ولا يبقى على الدهر النعيم
ولا يبقى على الحدثان غُفر
بشاهقة له أمٌّ رؤوم

ثم أكبت عليه أخرى، فلم تقطع نحيبها ، حتى فاضت نفسها ، فدفنا جميعاً .

وعزّى ابن السماك رجلاً فقال : عليك بالصبر ، فيه يعمل من احتسب ، وإليه يصير من جزع ، واعلم أنه ليست مصيبة إلا ومعها أعظم منها ، من طاعة الله فيها أو معصيته بها .

قال الأصمعي : عزّى صالح المزي رجلاً بابنه فقال له : إن كانت مصيبتك لم تحدث لك موعظة، فمصيبتك بنفسك أعظم من مصيبتك بابنك ، واعلم

أن التهنئة على آجل الثواب ، أولى من التعزية على عاجل المصيبة .

عزَّى أعرابي رجلاً فقال : أوصيك بالرضا من الله بقضائه والتجز لما وعد به من ثوابه ، فإن الدنيا دار زوال ، ولا بد من لقاء الله .

وعزَّى أيضاً رجلاً فقال : إن من كان لك في الآخرة أجراً ، خير لك ممن كان لك في الدنيا سرورا .

قال العتبي : عزَّى أكثم بن صيفي[1] عمرو بن هند[2] ملك العرب على أخيه ، فقال له : أيها الملك ، إن أهل هذه الدنيا ، سفر لا يحلون عقد

---

١ ـ اكثم بن صيفي : أحد حكماء العرب ، واكثرهم ضربَ مثل . كان سديدا الرأي قوي الحجة. رآه كسرى أنو شروان فقال : لو لم يكن للعرب غيره لكفى.

٢ ـ عمرو بن هند: ابن المنذر اللخمي وهند الكندية ، ملك الحيرة (٥٤٤ ـ ٥٧٠ م) كان قاسياً شرس الأخلاق فلقبوه بـ «مضرط الحجارة». قتله الشاعر عمرو بن كلثوم وهو يتناول الطعام .

